تاريخ الصداقة بين العراق وتركيا

(إن مياه دجلة والفرات تربط
العراق وتركيا برابطة الأخوة .)

كتب مقدمته الدكتور مصطفى جواد

المؤلف
المقدم شاكر

مطبعة دار المعرفة - بغداد

تاريخ الصداقة
بين
العراق وتركيا

(إن مياه دجلة والفرات تربط العراق وتركيا برابطة الأخوة .)

كتب مقدمته الدكتور مصطفى جواد

المؤلف
المقدم شاكر

مطبعة دار المعرفة - بغداد

الإهداء

اليكم يا من فكرتم في توطيد اواصر الاخوة والصداقة بين الشعبين العربي والتركي ، تلكم الصداقة التي جعلتها عنوان كتابي هذا ، أقدم هديتي المتواضعة اعترافاً بما اجتمعتم له وكافحتم من أجله وعملتم في سبيله .



مولانا حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني المفدى
ملك العراق



حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الاله ولي العهد المعظم



صاحب الدولة الرئيس الجليل السيد جلال بايار رئيس الجمهورية التركية



صاحب الفخامة السيد نوري باشا السعيد رئيس وزراء العراق



صاحب الفخامة السيد عدنان مندرس رئيس وزراء الجمهورية التركية



صاحب السعادة أمير اللواء الركن محمد رفيق عارف

رئيس أركان الجيش العراقي



صاحب السعادة العميد الركن نور الدين بارافسل

رئيس اركان الجيش التركي

كلمـــة

صاحب الفخامة السيد نوري السعيد رئيس الوزراء
ووكيل وزير الدفاع

عزيزي المقدم شاكر

تسلمت كتابكم « تأريخ الصداقة بين العراق وتركية » وعلى الرغم من مشاغلي الكثيرة فقد تصفحته بامعان فاكبرت فيــكم روح البحث وقدرت ما بذلتموه من جهد في سبيل اخراجه راجياً ان يكون عملكم هذا قدوة حسنة لزملائكم الضباط الشباب متمنياً لكم التوفيق .

كلمة

صاحب السعادة امير اللواء الركن محمد رفيق عارف
رئيس اركان الجيش العراقي

عزيزي المقدم شاكر

تصفحت كتابك « تأريخ الصداقة بين العراق وتركيا » فوجدته حقاً بحثاً تأريخياً ممتعاً نتيجة دراسة عميقة وجهد واضح . وقد سرني ما ذهبت اليه في حصر جهدك هذا بالتأريخ وحده ومحاولة تثبيت ما صح من حوادثه في هذا الباب وتركت ما يتعلق بالسياسة في بحثك الى من امتهنها . وكانت خطوتك هذه موفقة بصفتك جندياً مخلصاً لنظاماته وقوانينه .

ولم استغرب عند تصفحي كتابك هذا الطابع الاسلامي الذي سيّر قلمك في درج سطوره وعقيدتك في الاخوة الاسلامية التي يدعو اليها الدين الحنيف . فقد عرفتك ضابطاً متمسكاً بشعائر دينه ومؤمناً بقرآنه .

والصداقة التركية العراقية ليست حدثاً جديداً ظهر للوجود بعهود ومواثيق تعودت الدول المتجاورة في العالم السير في سبيلها لدعم مصالحها المشتركة المتلابسة الناشئة من تجاورها . بل انها قديمة في تأريخها مبنية على وحدة في التقاليد والدين والقربى فضلا عما تتطلبه الاحوال الحديثة من تعاون في المصالح التي تهم الأمتين .

واني اذ اهنئك على تأليفك هذا ، ارجو مخلصاً ان يُقرأ بنفس الروح التي كتبته بها وبنفس الايمان وطيب القلب الذي دفعك اليه ، مؤملا ان ارى مزيداً من اخواني الضباط في الجيش يتتبعون في الدراسة والتأليف في الميدانين العسكري والثقافي والسلام عليكم .



الوفد العسكري العراقي برئاسة صاحب السعادة أمير اللواء الركن محمد رفيق عارف عند زيارته المنشئات والمرافق العسكرية التركية . (في حزيران ١٩٥٥) . وقد ظهر في الصورة معالي أدهم مندرس وزير الدفاع التركي .

المقدّمة

بقلم العلامة الدكتور مصطفى جواد

قد كنت كتبت في مجلة الدليل سنة « ١٩٤٦ » مقالة في تاريخ الأتراك بالعراق ، ذكرت فيهـــا أدوار دخول الأتراك العراق باختصار واستخلاص ، وأعطيت المقالة نفسها بعض المؤلفين في بلدان العراق فأدمجها في كتابه من غير أن يشير الى كاتبها ، وكفى العلم شرفاً أن يدعيه غير صاحبه .

وكنت أود تأليف كتاب في تاريخ الأتراك الذين خالطوا العراقيين على اختلاف العصور واختلاف الأحوال منذ أيام بني أمية إلى اليوم ، واثبتت في دفاتري قسماً من مادة ذلك الكتاب المزمع تأليفه ، ثم علمت أن صديقي المحقق الباحث المقدم السيد شاكر صابر قد بذل مجهوده واستفرغ طاقته في جمع كتاب في الموضوع نفسه سمـــاه « تاريخ الصداقة بين العراق وتركيا » واراد به الصداقة بل الاخوة بين العرب والأتراك ، التي هي حقيقة تاريخيـــة مسجلة ، ولا جدال في الحقائق البتة ، وألفيته حقاً قد ملأ الفراغ الذي كنت أحس به في تاريخ العراق خاصة ، لأن هذا الموضوع ، إذا استثنيت الخلاصة التي أومأت اليها آنفاً ، لم يعالج إلا معالجة عامة في التاريخ العام ، من غير تأكيد للاخوة ولا نص على الصداقة التي ابتدأت منذ اكثر من ثلاثة عشر قرناً .

لقد عالج المؤلف الفاضل موضوع كتابه بروح المسلم المؤمن الذي يعتقد الأخوة الاسلامية بين جميع الامم والشعوب المسلمة ، ويكره الاختلاف بينها ، فكتابه يمثل إيمانه وعقيدته ، وجميل أن يكتب الانسان فيما يرضي عقيدته

وايمانه ، وخصوصاً ما يبعث على توثيق التآخي والتصافي والتخالص بين أمتين امتلأ تاريخ الشرق بأخبـارهما وحوادثهما وسياستهما وآدابهما ، وحضارتهما وبداوتهما ، وأعيانهما . وها هنا يصح التمثل بقول الشاعر :

قالت أتبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري

وقد يمر القارئ لهذا الكتاب بما يستوقفه ويحدوه على التأمل وانعام النظر والامعان في الاستبانة ، فذلك محمول على ما قدمت من إيمان المؤلف وصدق نيته وصفاء طويته . ولعل من الواجب علي أن أذكر أن المؤلف الفاضل أرادني على التبسط في كتابة المقدمة لثقته بي وسكونه إلي واعتماده علي ، فترددت لئلا يعزى إلي غير ما انتويته ، وينسب إلي غير ما احتويته ، فأعد من ذوي سياسة خاصة او خلصانهم وتبعهم ، ثم أقدمت وتركت التمييل ، جرياً على عادتي في خدمة التاريخ الصحيح ولا أقول الحقيقي لأن ذلك من أعسر الامور .

وبعد عزمي على التبسط في التقديم وقفت أسائل نفسي ماذا أنقـل وما أقول ؟ فان المؤلف ، كما يدل عليه الكتاب قد رسم الخطوط الرئيسة وحشى ما بينها بالمعلومات النفيسة ، فلم يبق لي إلا ذكر نكت تاريخية تعتمد على الذوق وتستند الى الاختيار ، ليس غير ، وفي ذلك أقول :

لقد لحظت في دراستي تاريخ الامتين العربية والتركية تشابهاً بينهما في اكثر الشمائل والسجايا والأمور والاحوال وكان ذلك من الأسباب القوية في حدوث الاتصال والاتحاد والتعايش والتصاهر بينهما طوال تلك العصور السابقة ، إن العرب هم الذين حملوا الاسلام إلى بلاد الترك ، وعلموه من حمل الى بلادهم من الاتراك ، ولم يتردد الاتراك في كلتا الحالتين عن الدخول في هذا الدين المتين ولا عن السعي في تشييده وتأييده ، وعضد ملكه وتوسيع ممالكه حتى أصبح مرهوب الدولة مخشي الصولة في غاية العظمة والضخامة .

اتصل العرب بالاتراك غازين لهم وفاتحين بلادهم ، وكان متوقعاً أن تنشأ

بينهم عداوة مزمنة ، وبغضاء شديدة ، على ما هو معلوم من طبيعة الاحوال الاجتماعية ، فاذا الامر بالعكس ، فلقــد نشأ بينهم تواد وتعاطف ، ولما أدرك الاتراك سمو الدين الاسلامي وجلاله ودخلوا فيه أفواجاً على اختلاف العصور حصل اتحاد واختلاط بين الأمتين يصح أن يضرب مثلا لكل أمتين مختلفتين جنساً متفقتين روحاً وخلقاً يجمعها دين واحد .

ومن غريب ما ذكر المؤرخون أن سلمان بن ربيعة الباهلي دخل بلاد الخزر من جهة باب الابواب وشروان وهم من الاتراك ، في خلافــة عمر بن الخطاب ـ رض ـ ففتح مدينة « بلنجر » وتجاوزها فلقيه خاقان ملك الخزر فى جيشه خلف نهر بلنجر وجرت بين الجيشين وقعة استشهد فيها سلمان بن ربيعة الباهلي وكثير من أصحابه من العرب وكانوا أربعة آلاف ، وكان الترك قد خافوهم وقالوا : إن هؤلاء ملائكة لا يؤثر فيهم السلاح، فاتفق أن تركياً اختفى في غيضة ورشق عربياً بسهم فقتله ، فنادى فى قومه : إن هؤلاء يموتون كما تموتون فلماذا تخافونهم ؟ فاجترؤا عليهم وأوقعوا بهم حتى استشهد قائدهم فأخذ الراية أخوه ولم يزل يقاتل حتى استطاع أن يدفن أخاه بنواحى بلنجر ورجع ببقية العرب على طريق جيلان ، وكان الاتراك يرون في كل ليلة نوراً عظيماً على مصارع شهداء العرب فدفنوهم ، وأخذوا جثة قائدهم سلمان بن ربيعــة الباهلي وجعلوها فى تابوت واحتفظوا بها في بيت عبادتهم فكانوا إذا امتنع نزول المطر في أرضهم وأصابهم القحط أخرجوا التابوت وكشفوه واستمطروا واستسقوا به وفي ذلك يقول عبدالرحمن بن جمانة الباهلي :

وإن لنا قبرين قبر « بلنجر » وقبراً بصينستان يا لك من قبر !

فهذا الذي بالصين عمت فتوحه وهذا الذي يسقى به سبل القطر

وقد أراد بصينستان بلاد الصين ، وأراد بقبر الصين قبر القائد قتيبة بن

مسلم الباهلي [١] أحد قواد بني أمية الذين قهروا الاتراك وفتحوا عدة مدن من بلادهم وكان من اعظم قواد بني امية والعرب جمعاء .

ولم يعرف في التاريخ أن قوماً احترموا أعداءهم وقدسوهم كهؤلاء الاتراك والظاهر أنهم ندموا على قتلهم لما بلغهم من دينهم الاسلام وسيرة نبيهم (ص) وعدلهم بين الناس وصحة عقيدتهم ، ولما رأوه من فروسيتهم وخوضهم الموت خياضاً ، فاستدركوا على أنفسهم بما ذكرنا من تقديسهم لموتى العرب .

وفي سنة ٣٨ أو ٣٩ هـ في خلافة علي بن أبي طالب - ك - توجه الى أرض قيقان من بلاد الصغد أو السند مما يلي خراسان الحارث بن مرة العبدي متطوعاً باذن علي وغزا وظفر وأصاب مغنماً وسبيا وقسم في يوم واحد ألف رأس من الرقيق ثم إن الترك أجتمعوا عليه بأرض قيقان فقتل هو ومن معه إلا قليلا وكان مقتله سنة (٤٢) هـ ثم غزاهم المهلب بن أبي صفرة ولاقي في طريقه ثمانية عشر فارساً من الترك على خيل محذوفة الأذناب أي مقطوعتها فقاتلوه فقتلهم جميعاً ومنهم استفاد المهلب حذف أذناب الخيـــل فهو أول من أمر بحذفها من قواد المسلمين [٢] .

وفي الحق أن العرب لم يحاربوا الاتراك إلا تنفيذاً لما أمرهم به الاسلام وأن الأتراك لم يقاتلوا العرب إلا دفاعاً عن أنفسهم وذباً عن بلادهم ، وقد تكافأت الأمتان في الحروب وهذا قليل الحدوث في التاريخ ، ففي سنة (٧٧) هـ عبر أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد نهر بلخ لغزو الترك ، قال أبو جعفر الطبري « عبر النهر للغزو فحوصر حتى جهد هو وأصحابه ثم نجوا بعدما أشرفوا على الهلاك فانصرف والذين معه من الجند الى مرو بخراسان » [٣] . وأعاد الحركة قائد

---

(١) مادة { باب الابواب } و { بلنجر } من معجم البلدان لياقوت الحموي .
(٢) مادة ايضاً قيقان من معجم البلدان .
(٣) تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٢٧٩ من مطبعة مصر الاولى .

العرب العظيم أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة سنة (٨٠) هـ فقطع نهر بلخ ونزل على مدينة كش ولبث فيها سنتين فقيل له : لو تقدمت الى الصغد وماوراء ذلك . فقال : ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند حتى يرجعوا إلى مرو سالمين (١) . فتأمل قول هذا القائد الكبير الذي نجى الدولة الأموية من الخوارج الشديدي المراس ، الذي خاض هوائل الحروب وقاسى فيها قواسي الكروب ، كيف أراد أن يخرج من غزو الترك رأساً برأس ؟!

ومما يصور لنا كراهة الترك لقتال العرب ما ذكره الطبري من أن الحجاج ولي عبيدالله بن أبي بكرة سجستان سنة (٧٨) هـ غزا رتبيل أحد ملوك الترك وكان مصالحاً للعرب يؤدي اليهم خراجاً أحياناً ويمتنع أحياناً فكتب الحجاج الى ابن أبي بكرة أن يناجزهم بمن معه من العرب وغيرهم من المسلمين فلا يرجع حتى يستبيح أرضهم ويهدم قلاعهم ويقتل جنودهم ويسبي ذريتهم فتحرك اليهم فى جيش كثيف من أهل الكوفة والبصرة وتوغل فى بلاد رتبيل فأصاب من الأموال والبقر والغنم ما شاء وهدم قلاعاً وحصوناً وغلب على أرض واسعة من أراضيهم ، وكان جيش رتبيل يتراجع خديعة ، حتى أمنوا في البلاد ، فأخذوا على العرب الشعاب والعقاب ، فلم يستطيعوا الرجوع وجرت بينهم وقعة هائلة قتل فيها من العرب من قتل ونجا من نجا ، ولما بلغ ذلك الحجاج عظم عليه وأخذه منه المقيم المقعد ، وفي سنة (٨٠) هـ وجه اليهم عبدالرحمن بن محمد ابن الأشعث وبلغ ذلك رتبيل فكتب الى عبدالرحمن كتاباً يعتذر اليه فيه من إصابته العرب ويخبره أنه كان كارهاً لحربهم ، وأنهم ألجؤوه الى ذلك ويسأله الصلح ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج ، فلم يجبه عبدالرحمن الى ما سأل ولم يقبل منه بل سار إليه فى الجنود ووطئ أرضه واستولى على مواضع شاسعة

(١) للوجيز المذكور ج٨ ص٣ من الطبعة المذكورة .

منها ورتب فيها المسالح « النقط العسكرية » ومراكز البريد لاسراع الأخبار » ثم توقف وقال : نكتفي هـذا العام بما أصبناه من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها ثم ندخل في العام المقبل ما وراءها ثم لم نزل ننتقصهم في كل عام طائفـة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وفي أقصى بلادهم ، وممتنع حصونهم ثم لا نزايل بلادهم حتى يهلكهم الله . ولكنه كان في الحقيقة غير راغب في قتالهم إلا أن الحجاج كان يحثه ويحضه ويستنفره ويذمره حتى خرج على الحجاج وعصاه وخلع ولايتـه وطاعته على ما هو مشهور من سيرته (١) .

هذا وقد نقل المؤلف الفاضل أبياتاً من قصيدة معزوة الى علي بن أبي طالب - ك - منها قوله :

سينصر جيش الترك دين محمد على من طغى في كفره بالنواقم

ومن أغرب ما ينتظم في هذا السلك ويدخل في هذا القبيل ما ورد في « نهج البلاغة » وقد جمعه الشريف الرضي المتوفي سنة (٤٠٦) على ما هو معروف منسوباً إلى الامام المذكور ما هذا نصه في وصف الاتراك :

« كأني أراهم قوماً كأن وجوههم المجان (٢) المطرقة ، يلبسون السرق والديباج ، ويعتقبون الخيل العتاق ، ويكون هناك استمرار قتـل ، حتى يمشي المجروح على المقتول ، ويكون المفلت أقل من المأسور » .

قال الشريف الرضي « فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت - يا أمير المؤمنين - علم الغيب، فضحك علي - عليه السلام - وقال للرجل - وكان كلبياً - : يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة

---

(١) المرجع المذكور ج ٧ ص ٢٨٩ و ج ٨ ص ٠ - ٨

(٢) المجان جمع المجنة وهي الدرقة التي يتقى بها ضرب السيوف والمطرقة : المضاعفة .

وما عدده الله - سبحانه - بقوله « إن الله عنده علم الساعة ، الآية » فيعلم الله - سبحانه ... ما في الأرحام من ذكر وأنثى وقبيح أو جميل ، وسخي أو بخيل ، وشقي أو سعيد ، ومن يكون فى النار حطباً ، أو في الجنان للنبيين مرافقاً ، فهذا علم الغيب ، الذي لا يعلمه أحد إلا الله ، وما سوى ذلك فعلم علم الله نبيه - صلى الله عليه وعلى آله - فعلمنيه ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي » (١) .

ومن المؤمنين بأخبار الملاحم أي الوقائع المستقبلة من عد هذا القول نعتاً للسلجوقيين ،الاتراك وخروجهم من أواسط بلاد آسيا فى أواسط القرن الخامس للهجرة نحو الغرب واستيلائهم على البلاد حتى قاربوا القسطنطينية أيام السلطان ألب أرسلان ، ومنهم من عد القول وصفاً للمغول التتار ، قال عزالدين بن أبي الحديد : « واعلم أن هذا الغيب الذي أخبر به علي - عليه السلام - قد رأيناه نحن عياناً ووقع في زماننا (في القرن السابع للهجرة) وكان الناس ينتظرونه من أول الاسلام حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام وفعلوا بملوك الخطا وقفجاق وببلاد ما وراء النهر وبخراسان وما والاها من بلاد العجم ما لم تحتو التواريخ منذ خلق الله - تعالى - آدم الى عصرنا هذا على مثله ، فان بابك الخرمي لم تكن نكايته ، وإن طالت مدته نحو عشرين سنة ، إلا في إقليم واحد وهو اذربيجان ، وهؤلاء دوخوا المشرق وتعدت نكايتهم إلى بلاد أرمينية والى الشام ووردت خيلهم الى العراق ، وبختنصر الذي قتل اليهود ، انما اخرب بيت المقدس وقتل من كان بالشام من بني اسرائيل ، وأي نسبة بين من كان بالبيت المقدس من بني

---

(١) شرح نهج البلاغة لعز الدين عبد الحميد بن ابي الحديد ج ٢ ص ٠٦١ - ٢ طبعة مصطفى البابي بمصر .

اسرائيل الى البلاد والامصار التي أخربها هؤلاء ، والى الناس الذين قتلوهم من المسلمين وغيرهم » [١]

وفي الحق أن التتر كانوا على ما وصفهم به ابن أبي الحديد وكانوا يدعون أن آلههم أرسلهم لتطهير العالم وتشذيبه وتهذيبه وجاء طاغيتهم جنكيز خان بقانونه المشهور « الياسه ـ اليسق » فكان قانوناً فظيعاً نكبت به الدنيا نكبة لا مثيل لها ، وأي إله يأمر بقتل الالوف المؤلفة من غير تمييز بين المقاتل والطفل والشيخ والعجوز ، وباحراق المدن أو إغراقها بمن فيها وبما فيها من حي وجماد ؟ لا شك في أن قانوناً كذلك القانون لم يتحمله البشر ، وذهب مع الذواهب غير مأسوف عليه ولا مرنو إليه ، وتغلب الاسلام على أولئك التتر الغلاظ الاكباد القساة القلوب فاجتذبهم الى حظيرته وأضاء قلوبهم بنور هـــداه ، وهذب نفوسهم بمكارم أخلاقه ، فأسلموا وانضموا إلى الدنيا الاسلامية في أشـــد أيام ضعفها فقويت بهم ، حتى لقد شيدت الخاتون «توقا كج بنت هولاكو» سنة (٧٠٠) هـ مدرسة ورباطاً « تكية » بخفتيان من كردستان ، وهي أول مدرسة بنيت في الاسلام هناك [٢] . وأسلم أخوها أحمد تكدار منذ صباه ثم أسلم حفيد أخيها محمود غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو وأسلم معه اكثر التتار ، كما هو معروف في التواريخ ، وبلغ حبهم للاسلام وتعظيمهم إياه أن غازان المذكور كان ينفق من ارتفاع مملكته وخراجها أربعة ملايين دينار على العلماء في كل سنة (٣) ، وأن مملوكاً من من مماليك نسائهم وهو أمين الدين مرجان اقتدى بالعباسيين وعظماء المسلمين فبنى للحنفية والشافعية المدرسة المرجانية القائمـــة الى اليوم في بغداد المعروفة بين العامة بجامع مرجان ، التي فيها من الزخرف الآجري

---

(١) الشرح المذكور ص٣٦٢ ـ ٣ .

(٢) تلخيص معجم الالقاب لكمال الدين ابن الفوطي ج٤ ص ٢١ من نسختي الخطية الاولى .

(٣) المرجع المذكور ج٥ في ترجمة محمود غازان طبعة لاهور .

والريازة كل نفيس وكل عجيب وقد قاومت صولات الزمان وحوادث الطبيعة بقوة

ونعود الى العرب بعد اسلامهم والاتراك قبل إسلامهم فنذكر أن أوسع فتوح العرب في بلاد الترك كانت في أيام القائد العربي العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي المذكور ، وقد أشار اليه المؤلف الفاضل في كتابه، ففي سنة (٨٦) ه على عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك ولى الحجاج بن يوسف قتيبة بن مسلم هـــذا على خراسان ، لتكون قاعدة ومركز جند وعتاد لغزو بلاد الترك ، فاستولى على الصغانيان وبيكند ونوفشكث ورامیثنة وبخارى وسمرقند وخجندة وكاشان بفرغانة والشاش وكاشغر وغزا بلاداً أخرى من بلادهم حتى بلغ حدود الصين (١) ، وكان قتيبة شديد العقاب ففي سنة (٩٠) أو سنة (٩١) أوقع بأهل طالقان طخارستان من الاتراك وصلب منهم من كان امتدادهم صفين على مسافة أربعة فراسخ في نظام واحد (٢) أي مسافة أربعة وعشرين كيلو متراً أو أكثر منها . والظاهر أن المسافة بين المصلوب والذي يليه كانت غير قصيرة ، وجيء إليه من اتراك خوارزم بأربعة آلاف أسير سنة (٩٣) ه فأمر أن يقتل بين يديه الف وعن يمينه الف وعن يساره الف وخلف ظهره الف (٣) .

وفى الزمن الذى كانت جيوش الامويين تتقدم في بلاد الترك بقيادة القائد الكبير قتيبة بن مسلم المذكور وفي بلاد الهند بقيادة القاسم بن محمد الثقفي كانت تتقدم في الأندلس بقيادة طارق بن زياد تحت إمرة موسى بن نصـــير . وكان الاتراك يهتبلون الفرص للانتقاض على العرب وينتهزون الفرة للهجوم عليهم كما فعلوا سنة (٩٩) ه قال الطبري « وفي هذه السنة أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعـــة ونالوا منهم ، فوجه إليهم عمر بن

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري ج٨ ص٥٩ ـ ٢٠٠ .
(٢) المرجع المذكور ص٧٠ .
(٣) المرجع المذكور ص٨٠ ـ ٤ .

عبدالعزيز حاتم بن النعمان الباهلي فقاتل أولئك الترك فلم يفلت منهم إلا اليسير وقدم منهم على عمر بن عبدالعزيز وهو بخناصرة ، بخمسين أسيراً (١) .

وقد فصل أبو جعفر الطبري كثيراً من أخبار حرب العرب للترك وحرب الترك للعرب والمعاهدات والمعاقدات والمصالحات التي أجريت بينهم خصوصاً في أيام بني أمية ، ولم نذكر من ذلك إلا ما دعت الحاجة إليه للتمثيل والاستشهاد . وقد اختصر المؤلف ذلك والحق معه لأنه يكتفي أحياناً بالاشارة بدلا من العبارة فليس كتابه بسطاً للاحداث والحوادث بل مبحثاً مركزاً لتأييد فكرته التي ألف في إيضاحها الكتاب .

وعقد المؤلف فصلا جميلا جليلا هو « الترك في معونة العرب » ومن البين الواضح أن خدمة الاتراك للعرب كانت من اجل الخدم التي لقيها العرب من حلفائهم ومماليكهم واصحابهم ، خدموهم قواداً وحكاماً وسلاطين وملوكا وعبيداً ، ورأى المماليك الاتراك في الاسلام ما لم يره مملوك في دين آخر من الاديان ، فقد بلغ العطف الاسلامى على المملوك الى ان صيره اميراً وقائداً وأميراً ، وحاكماً وعالماً ، وملكا وسلطاناً ، وما ظنك بعبودية تكون لصاحبها طريقاً الى الامارة الملكية والسلطنة ؟ ! ومن اعجب الاخبار أن طريق الحج الى بيت الله الحرام ، فى اكثر العصور الاسلامية ، كان في حراسة الاتراك من قوادهم امراء الحاج وجنود مستبسلين كما دلت عليه التواريخ والرحل كالكامل لابن الاثير والرحل كرحلة ابن جبير .

وكان الاتراك يقدسون الاسر التي تميزت بخدمة الاسلام خدمة عظيمة كالعباسيين والعلويين ، وسيمر القارىء الكريم بأن « الترنجان خاتون » زوجة طغرلبك السلجوقي لما توفيت أوصت زوجها ان يتزوج ابنة الخليفة القائم بأمر الله

---

(١) المرجع المذكور ص ١٠٠ .

ليجمع بين شرف الدنيا والآخرة ، وأوصت بجميع مالها لبنت الخليفة على افتراض أنه سيتزوجها . ونفذ طغرلبك وصيتها فلم ينل من العباسيين الا زواجاً اسمياً بغير اتصال ولا اجتماع واكتفى بالمعنى، وكفاه قدوة ان عمر بن الخطاب -رض- لما اراد أن يتزوج أم كلثوم بنت علي بن ابي طالب - ك - ذكر السبب الذى يبعثه على زواجه وقال : سمعت رسول الله - ص - يقول : « كل سبب ونسب مقطوع يوم القيامة الا سببي ونسبي » .

وكان أشد ما يعاقب به المملوك التركي من مماليك بنى العباس وهم أبناء عم النبى - ص - ان يسلم اليه كتاب « إعتاقه » بيديه دلالة على قطع نسبه الولائي بآل العباس ، ومما نذكر بهذه المناسبة خبر نجم الدين ابي الفضائل بكبرس بن يلنقليج الفقيه الحنفي ، مملوك الخليفة الناصر لدين الله ، كان فقيهاً فى مذهب الامام ابي حنيفة ومؤلفاً فيه وكان يلبس لباس الجند : القباء والسربوش وعرض عليه الخليفه المستنصر بالله حفيد الناصر المذكور ان يوليه قضاء القضاة « بمثابة وزارة العدلية » وان يلبس العمامة فامتنع من ذلك وعاش مملوكاً ولم يطلب الى سادته إعتاقه وتزوج بامرأة حرة غنية ، فولدت له بنتاً ثم ماتت زوجته وورثت منها مالا وافراً ثم ماتت البنت فجمع جميع ماكان لابنته من الاموال وسيره الى الخليفة المستنصر وقال : « انا عبد لا أرث من ابنتي شيئاً وهي حرة » . فرد الخليفة عليه الاموال وأذن له في التصرف بها على حسب اختياره وتوفي ببغداد سنة « ٦٥٢ هـ » ودفن بمقابر الخيزران الى جانب قبر الامام ابي حنيفة تحت القبة (١)

واعقب المؤلف سير مشهورات التركيات من نساء الخلفاء بحثاً في « الاتراك والاسلام » ومما نذكره في هذا الباب إسلام قبائل البلغار من طوائف الاتراك مع ملكهم في اوائل القرن الرابع للهجرة على عهد الخليفة المقتدر بالله ، وقـــد

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية لمحي الدين القرشي ج١ ص ١٧٠ - ١ .

أرسلوا الى بغداد رسولا اسمه « نذير الحزمي » يعرفون المقتدر ذلك ويسألونه إنفاذ من يعلمهم الصلوات والشرائع، فارسل اليهم المقتدر محمد بن سليمان وكان معه مولاه احمد بن فضلان بن العباس بن راشد ، فعمل احمد رحلة في هذه الرسالة وصف فيها قبائل البلغار من الاتراك . وكان ارتحالهم من بغداد في صفر من سنة « ٣٠٩ هـ » ووصولهم الى الملك في المحرم سنة « ٣١٠ هـ »(١) وهذه الرسالة قد طبعت في اوربة .

ثم نقل ما قاله الراوندي في كتابه « راحة الصدور » وهذا يذكر من باب الاستحسان لا عن عقيدة وإيمان . والحق أن السيف في سنة « ٥٩٩ » هـ التي ذكرها الراوندي ، لم يكن بيد الاتراك بل بيد الخلفاء العباسيين وأتباعهم من أيوبيين وغيرهم : هذا باستثناء قول من يعد الايوبيين منهم . وكانت اقوى دولة للاتراك في ذلك الزمان « الدولة الخوارزمية » بما وراء النهر وما والاه من الشرق والغرب وهي التي أدى سوء سياسة ملوكها وتجبرهم وظلمهم وقسوة قلوبهم إلى زوال دولتهم وتشردهم في البلاد ، وفتح الطريق للمغول الى الدول الاسلامية الاخرى ، وما قولك في دولة تتقوض بين عشية وضحاها مع اتساع ممالكها ، ووفارة جنودها ، وكثرة حشودها ؟ إن سوء السياسة والجور والقسوة تهد الدول العظيمة هداً وتزيل آثارها من الوجود

وخاص المؤلف بعد بيان أثر الاتراك في الحضارة الاسلامية الى المشهورين منهم وذكر منهم جماعة للتمثيل ، والا فان اعيان الاتراك الذين اختلطوا بالعرب وخدموا الاسلام تحتاج تراجمهم وسيرهم إلى عدة مجلدات . وعلى ذكر المؤلف « العراق وتركيا » في التاريخ نود ان نشير الى ان خراسان كانت من المناطق الفارسية وفي شرقيها يكون اختلاط الفرس بالترك ، وكانت خراسان ايضاً شافعية

---

(١) مادة « بلغار » من معجم البلدان

المذهب بعكس مافي شرقها فقد كان المذهب الحنفي هو الشائع هناك . ومن تلك المنطقة المذهبية أخذ السلجوقيون والخوارزميون مذهبهم الحنفي ومنهم أخذ العثمانيون التمذهب بذلك المذهب .

وتطرق المؤلف الى الحادثة المشؤومة التي أتاها الطاغيـــة المغولي الثاني هولاكو « هولاوو » في قرضه دولة بني العباس وتقتيله أسرة الخلافة العباسية برجالها ونسائها وأطفالها وكهولها وشبابها ماعدا ابن الخليفة المستعصم الأصغر « المبارك » وأختيه الصغيرين خديجة وأختها ، وفى إباحته بغداد والبلادوسكانهما قتلا ونهباً وإحراقاً وتخريباً ، ولقد أحسن المؤلف بمؤاخـــذة من شمتوا من المؤرخين وغيرهم بمصاب العرب الاسلام ذلك المصاب الذي أنقض ظهر الامـة العربية انقاضاً شديداً ، لم يخفف اسلام المغول من أثره السيء الا شيئاً قليـلا ، كالذى أومأنا اليه قبل هذا ، وقد ذكر ابن فضل الله العمري أن بركة بن جوجي أخا سلطان المغول بروسية جاء في جيش عدته « مائة ألف فارس » الى البـلاد الشرقية من قبل أخيه « باتو بن جوجي » لنصب « منكوقان بن طولي بن جنكيزخان » على عرش المغول الشرقي ، فأجلسه عليه وعاد ، فلمـا مر ببخـارى اجتمع بالشيخ سيف الدين الباخرزي الزاهد المشهور ، فأسلم على يده وتأكدت الصحبة بينهما ، فأشار عليه الباخرزي بمكاتبة الخليفة المستعصم بالله ومبايعتـه ومهاداته ، فكاتب الخليفة وبعث اليه بهديته وترددت بينهما الرسائل والمكاتبات والتحف واستمرت المهاداة والمصافاة .

ثم ان منكوقان لما استقل بالسلطنة جاءت إليه رسل أهل قزوين وبـلاد الجبال يشكون سوء مجاورة الملاحدة « الباطنيـة » وضررهم لهم ، فجهـز أخاه هولاكو في جيوش كثيرة لقتال الملاحدة وأخذ قلاعهم التي يعتصمون فيهـا وقطع دابر دولتهم ، فحسن هولاكو لأخيه منكوقان اخذ مملكة الخليفة المستعصم مع مملكة الباطنية وخرج على هذه النية ، فبلغ ذلك بركة بن جوجي فغضب

عليه لما تأكد بينه وبين الخليفة من الصحبة وقال لاخيه السلطان «باتو» :

(اننا نحن أقمنا منكوقان فلم يكن جزاؤنا منه الا المكافأة بالسوء في اصحابنا ، فهو ينقض عهدنا ويخفر ذمتنا ويتعرض لممالك الخليفة المستعصم ، وهو صاحبي وبيني وبينه عقود ومودة وفي هذا مافيه من القبح) .

وعاب عند أخيه السلطان باتو مايفعله هولاكو . فبعث باتو الى هولاكو يأمره بأن لايتعدى مكانه ، فجاءته رسالة باتو وهو وراء نهر جيحون . فأقام في موضعه بمن معه سنتين كاملتين حتى مات باتو وسلطن بعده اخوه (بركة) المذكور ، فحينئذ قويت أطماع هولاكو وبعث الى أخيه منكوقان يستأذنه في إمضاء ما كان أمره به وأجازه له من قصد مملكة الخليفة وانتزاعها منه ، وحسن له عاقبة ذلك ، فأجابه اليه ودخل هولاكو البلاد وأوقع بالملاحدة واتهم سبعمائة رجل من أكابر همذان وتلك البلاد التابعة لباتو ومن بعده لبركة ، بالميل الى بركة والمخامرة على هولاكو ومنكوقان فقتلهم عن آخرهم ، وامتد في البلاد ثم قصد هولاكو دشت القبجاق وعبر اليه وأقام ثلاثة أيام لا يجد مقاتلا من عسكر بركة ، فلما كان اليوم الرابع دهمتهم خيل بركة وداسوهم بجنود وعساكر تملأ الفضاء ودارت الدائرة على هولاكو حتى هم بالهزيمة ، فنزل امير كبير كان معه اسمه « سنتاي » وهو المنسوبة اليه « عقبة سنتاي » بالعراق ، وأمسك برأس فرأس هولاكو وقال له : اين نذهب ؟ ثم اشتد القتال واستمر القتل على جيوش هولاكو ، فتراجع حتى بلغ نهر الكر ، وصار النهر حاجزاً بينهما ، وجاء السلطان بركة حتى وقف على نهر الكر فلم يجد سبيلا الى العبور .

ثم رجع هولاكو وعاث في البلاد وعام في تيار الفساد وفعل فعلته ، وقويت العداوة بينه وبين بركة قان (١) ومن هذا يعلم ان هولاكو لما انقض على الدولة

(١) مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري الدمشقي، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٦٧ الورقة ٤٠ ـ ٢ .

العباسية لم يكن فاتحاً حسب بل فاتحاً ومنتقماً ، ونعلم أيضاً ان اشراف المغول وأجلاءهم كالسلطانين « باتو وأخيه بركة » لم يكونوا راضين بأفعاله الشنيعة الفظيعة ، وقد قاومها بعضهم بالحرب والغضب كما حكى ابن فضل الله العمري ، ولكن هولاكو كما يظهر لنا كان شديد المراس عاتياً جباراً كما كان سفاكاً غداراً .

وفي الفصل الذي عقده المؤلف في « تسلم الترك ادارة بلاد العرب والعراق وكردستان وغيرها » نلاحظ أن الترك لم ينتزعوا البلاد من العرب أنفسهم بل من أمم غير عربية لم يكن للعرب رغبة ولا خير ولا صلاح في حكمها ، انتزعوا العراق وكردستان من الصفويين ، ومصر والشام من المماليك الشراكسة وغيرهم ، والحجاز يومئذ تابع لمصر ، كما جرت العادة فيه منذ عصر المماليك الأتراك ، ولم يقدموا على اليمن إلا للخلاف المذهبي ، كما هو شأن الدول القديمة في اعتماد سياستها في بعض أمورها على الدين والمذهب . فنحن نعلم مثلا أن السلطان طغرلبك التركي السلجوقي لم يقتل الأمير أرسلان البساسيري وهو تركي مثله إلا لكونه مخالفاً له في السياسة والمذهب ، فعل ذلك في خدمة الخليفـــة القائم بأمر الله عظيم العرب والمسلمين يومئذ ، وفي خدمة الاسلام المتمثل فيه . وبهذا المبدأ أنقذوا العالم العربي من الافرنج الصليبيين حتى قال شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي الأديب الشاعر المشهور في فتح الملك الأشرف خليل بن قلاوون التركي ملك مصر والشام لقلعة عكا أعظم معقل بفلسطين ورميه الافرنج في البحر سنة (٦٩٠) ه .

الحمد لله ذلت دولة الصلب	وعز بالترك دين المصطفى العربي
هذا الذي كانت الآمال لو طلبت	رؤياه في النوم لاستحيت من الطلب
ما بعد عكا وقد هدت قواعدها	في البحر للشرك عند البر من أرب
قد فاجأتها جنود الله يقدمها	غضبـــان لله لا للملك والنشب
جيش من الترك ترك الحرب عندهم	عار وراحتهم ضرب من الضرب

لم ترض همته إلا الذي قعدت للعجز عنه ملوك العجم والعرب (١)

وهي في اكثر من ستين بيتاً. ولا لظن أننا نذكر أمراً غريباً إذا قلنا إن سيلا من دماء الأتراك جرى فى أرض فلسطين وغيرها من بلاد الشام والجزيرة فى دفع الافرنج الصليبيين بين أواخر القرن الخامس للهجرة والقرن السابع لها وإنهم ـ أعني الاتراك ـ هم الذين أعادوا فلسطين إذ ذاك الى البلاد العربية بعد أن فقدها والشام معها العرب الفاطميون والعرب المرداسيون ، ومنذ ذلك الزمان أبغض الغربيون الاتراك وأساؤوا ذكرهم وظلت بغضاؤهم لهم مع التاريخ نامية كلما قرؤوه حتى نشأت الدولة العثمانية وأخترقت أوربة في عدة جهات فبلغت بغضاؤهم للاتراك ذروتها ، ورأينا آثارها فيما يكتبه المستشرقون المغرضون على اختلاف أديانهم ومذاهبهم من الدس في التاريخ ، ودعوى العداوة بين العرب والاتراك للتضريب بينهم في الأزمنة المتأخرة ، وقلدهم فى ذلك اشباه المؤرخين من الشرقيين لغلبة التقليد عليهم واسعبهم في غير الحقائق .

وسيعرض علينا المؤلف الفاضل ذلك كله خدمة لدينه وللتاريخ وللحقيقة التي يرعاها هو ومن أجلها ألف هذا الكتاب .

بغداد مصطفى جواد

---

(١) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج١ ص٣٠٥ ـ ٦ من الطبعة الجديدة .

توطئة

هناك دوافع كثيرة حملتني لهذا اقدم هذا الكتاب الى القراء لكي يستطيعوا تفهم الحقيقة التي غطاها المبغضون والانتهازيون الذين لا يهمهم شيء سوى التفريق بين أمتين كانتا ولا تزالان تربطاهما روابط كثيرة . منها ما كان بين الأمتين العريقتين (العرب والترك) من أخوة صادقة وغاية سامية واحدة ولقد ملئت صفحات تأريخها بالفخر والاعتزاز بالتعاون والتآخي والتآزر التي كانت بين الأمتين مما لم يكن له شبيه منذ الخليقة الى اليوم .

عاش العرب قروناً طويلة . وما إن انبثق نور الهدى بظهور الاسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، حتى امتد من بين صفوف العرب الى الأمة التركية فدخلوا فيه افواجاً . فعاش العرب والأتراك والأمم الأخرى التي اسلمت تحت راية واحدة عصوراً عديدة ، وكانوا كالبنيان المرصوص غير مستضعفين تحت لوائه واعتزموا ان ينشروا تعاليمه في ربوع العالم من شرقه الى غربه ، وسلكوا سبيل الرشاد الذي اعتقدوا أنه كفيل بتحقيق الغاية التي أسسها نبينا محمد « صلعم » مبلغ الفرقان وصاحب لغة القرآن لغة الدين الاسلامي الحنيف الذي لا يفرق بين أحد من المسلمين ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم - الآية ﴾ ﴿ ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى - حديث نبوي ﴾ وهكذا عاش الجميع قروناً طويلة دون أن يشعروا بالفرق بين عنصر وآخر رافعين راية الاسلام

وقد أخذوا يهدون العروش والتيجان المتحكمة بالظلم والجور ، فأنقذوا البشرية من الشقاء والبؤس ، ورفعوا شأنها عالياً وأزالوا الفوارق بينها ، وتعاونوا جميعاً على اعلاء كلمة الله وكانت تجمعهم كلمة التوحيد ،فاستمروا أجيالا متعددة فاتحين الطريق امام الناس فحاربوا وناضلوا وقاتلوا وقتلوا واستشهدوا ، تارة كان الزمام بيد العرب وتارة اخرى بيد اخوانهم الأتراك الذين ساروا على نفس الطريق ، لأتمام حمل أمانة الرسالة عن رسول الله « صلعم » التي فهموها حق الفهم وقدروها حق التقدير وآمنوا بها أصدق الأيمان .

آمن الأتراك بدين (الاسلام) عن بينة ونور ، فخالطت حلاوة الايمان بشاشة قلوبهم ، ودافعوا عنها دفاع المستميت فحاربوا وجاهدوا لاعلاء نوره في الخافقين .

لم يفصل العرب عن الترك فواصل ولا حدود ، طوال الأجيال الخالية كما لم يفصل بين أفراد الامتين فوارق ، وعليه امتزجت واختلطت وتصاهرت الأمتان منذ ظهور محمد « صلعم » ودامت الحالة بينهما الى الان وستدوم الى ماشاء الله وادت هذه الى القرابة بين الامتين العريقتين ان يكون (في كل دار من دور العرب على اتساع بلادهم ، عربي ينتسب الى الترك بخؤولة ، وفي كل دار من دور الترك برغم اعتزالهم في ديارهم تركي يمت إلى العرب بخؤولة) .

ومن الدوافع إلى عملي التأريخي هذا علاقة العرب عامة والعراق خاصة بالامة التركية كما ذكرت والسعي في اعادة روح التآخي بين المملكتين بعد النزاع المستميت الذى حصل بين الطرفين على أثر أنتهاء الحرب العالمية الأولى ، وهما الأمران اللذان سعى فيهما باني كيان الحكومة العراقية ساكن الجنان (صاحب الجلالة الملك فيصل الأول) وباني كيان الجمهورية التركية المرحوم

(مصطفى كمال اتاتورك) و بفضلها أزيل أثر النزاع من الأذهان وجددت الصداقة والأخوة ومنذ ذلك التأريخ حتى اليوم نجد أن الصداقة وحسن الجوار والود قائمة بين الحكومتين الجارتين الشقيقتين فضلا عن الشعبين اللذين اخوتهما طبيعية .

ومنها اللطف السامي الذي كان يكنه ولي العهد (سيدنا صاحب السمو عبد الاله المعظم) الجارة (التركية) طوال وصايته على المملكة العراقية للتقريب بينهما وسد الثغرة التي حدثت في فترة من الزمن .

ومن الدوافع التي شجعتني على القيام بوضع هذا الكتاب وساطة الخير التي قام بها صاحب الفخامة (نوري باشا السعيد) بأمر من (مولانا صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني) حفظه الله وجعله ذخراً للعرب والمسلمين لتوطيد العلائق وتوثيقها بين الجارتين وذلك اتماماً للمعاهدتين الموقعتين بين البلدين في (١٩٢٦ م و ١٩٤٦ م) .

أما سفرات فخامته المتعددة والمتواصلة التي قام بها لزيارة تركيا ودعوته المسؤولين الأتراك لزيارة العراق فما أثبت براعته وحنكته في تنظيم الانسجام للتعاون بين القطرين الشقيقين اللذين تربطانهما أواصر متعددة فضلا عن روابط الدين والجوار .

عندما سطرت هذا الكتاب لاحظت موقفي من السياسة وحاولت جهد المستطاع الأبتعاد عنها كلياً ، وذلك لأني انتمي الى سلك الجندية ، والجندية لاتتحمل المسؤولية الناشئة من الاشتغال بالسياسة ، ولذلك جعلت مواضيع بحثي تدور حول العلائق التأريخية البحتة ، فان كان عنوان الكتاب يدل في الظواهر على نهج سياسي أو له مساس بالسياسة فان الواقع يخالف ذلك ، لأن محتويات هذا الكتاب هي تأريخية فقط .

وقبل أن اختم كلامي على تقديم هذه المقدمة لايسعني الا ان أزجي خالص شكري لسعادة (الزعيم الركن صالح زكي توفيق) قائد الفرقة الثانية

لتشجيعه أياى دوماً على الكتابة والتأليف . وإلى الأستاذ الكبير وصديق العالم الجليل والمؤرخ الشهير العلامة (الدكتور مصطفى جواد) لمعاضدته لي فى تأليفي ولطفه الكريم بكتابة مقدمة هذا الكتاب .

وفي الختام أتمنى أن أكون قد وفقت لتفهيم المراد ، لعلي ابلغ به القصد مبلغاً يدعونا الى الأطمئنان الى مستقبلنا والاجيال التي تأتي من بعدنا ومن الله استمد التوفيق .

كركوك ـ ١٥ ـ ٣ ـ ١٩٥٥   المقدم شاكر صابر

الفصل الأول

الامتان العربية والتركية في التاريخ

١ـ علاقة العرب بالاتراك قبل الفتح الاسلامي ٢ـ الفتوحات الاسلامية والتماس بين العرب والترك ٣ـ الترك فى معونة العرب ٤ـ المصاهرة والامتزاج بين الامتين ٥ـ الاتراك والاسلام

◎◎

١ ـ علاقة العرب بالاتراك

قبل الفتح الاسلامى

ان الامتزاج والعلاقة بين الامتين العريقتين التركية والعربية لم يكونا وليدي اليوم ولا هذا العصر بل كانا منذ أمد طويل قبل الاسلام وبعده ، ولا شك فى أن تماس المزاجين والتفكير الحر كان لها أثر كبير في تأسيس الصداقة ، وتوثيق أواصر الأخاء بين الأمتين ، في هذا الكتاب ، ولضيق المجال

نترك الشطر الأول الخاص بالصداقة والامتزاج بين الامتين قبل الاسلام [١] ونحاول الآن البحث في الشطر الثاني .

إن العرب والترك أمتان تسكنان في قارة آسيا غير أن بينهما مسافات شاسعة جداً ومع هذا البعد بين حدود كل منهما فكل أمـة كانت تعرف الاخرى حق المعرفة . والدليل على ذلك أقوال كثيرة ومصادر متعددة ، ولعل خير دليل على ما أقول هذه الأبيات للنابغة الذبياني التي انشدها في رثاء النعمان بن الحارث الغساني :

قعوداً له غسان يرجون أوبة   وترك ورهط الاعجمين وكابل [٢]

ولسيدنا (أبى طالب) رضى الله عنه :

يطاع بنا العدى وودوا لو أننا   تسد بنا ابواب ترك وكابل [٣]

وللشاعر العربى المشهور (الاعشى) :

ولقد شربت الخمر ترك   ض حولنا ترك وكابل [٤]

وهناك أحاديث نبوية كثيرة قد جاءت بحق الأمة التركية ، يحـذر بها المسلمون من الدخول معهم في حرب إن لم يكونوا هم البادين اولا .

١ ـ « أتركوا الترك ما تركوكم ... » أي لا تتعرضوا لهم مدة تركهم لكم وقد خصوا بذلك لشدة بأسهم وبرد بلادهم ففى غزوهم مشقة ، فان لم يتركونا

---

(١) « القصد والاستطراد فى اصول معنى بغداد » ص ٤٩ . لمعالي توفيق وهبي

(٢) « عربجه نك تورك ديليله قرولوشو » ج ١ ص ١٨ ـ (شعراء النصرانيـة) ج ٥ ص ٧٠٣ بيروت

(٣) « عربجه نك تورك ديليله قرولوشو » ج ١ ص ١٨ ـ (طلبة الطالب) ص ٣٥ استانبول ١٣٢٧

(٤) « عربجه نك تورك ديليله قرولوشو » ج ١ ص ١٨ ـ (شعراء النصرانيـة) ج ٣ ص ٣٨٦

بأن يدخلوا دارنا فقتالهم فرض عين (١) .

٢ـ روى أبو يعلى عن معاوية بن خديج قال كنت عند معاوية بن أبي سفيان ، فأتاه كتاب عامله ـ عامله على خراسان ـ أنه وقع بالترك فهزمهم فغضب ثم كتب اليه : ﴿ لا تقاتلهم حتى يأتيك أمري فأني سمعت رسول الله (ص) .. ﴾ وذكر حديثاً يدل على فضل الاتراك وقوتهم . الى ان قال معاوية : « فانا اكره قتالهم لذلك » (٢)

٣ — يقول محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري (٣) : (اخبرنا الشيخ الامام الزاهد الحسين بن خلف الكاشغري قال اخبرني ابن الغرقي قال حدثنا الشيخ ابو بكر المقيد الجرجرائي عن المعروف بابن ابي الدنيا في كتابه المؤلف في آخر الزمان باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ﴿ يقول الله حل وعز ، ان لي جنداً سميتهم الترك واسكنتهم المشرق ﴾

٤ — وقد ورد في كتاب (الدر المنظم في السر الاعظم) للشيخ كمال الدين ابي سالم محمد بن طلحة العدوي حديث نصه (قال عليه الصلاة والسلام ، حاكياً عن ربه تعالى ، ان لي جنوداً في المشرق سميتهم الترك فمن عصاني انتقم بهم ممن عصاني) (٤) .

٥ — ومن معجزات الرسول ﴿ صلعم ﴾ انه قال : لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير اميرها ولنعم الجيش جيشه (٥) وبعد مئات السنين فتحها قائد

---

(١) (الشرح الكبير المسمى بفيض القدير بشرح الجامع الصغير) ج ١ للشيخ الامام عبد الرزاق المناوي (شرح المصابيح) ج٢ مخطوط . للامام علي بن عبد الله بن احمد المعروف بزين العرب) ومن حديث الطبراني في مسنده الكبير ومسنده الاوسط عن عبد الله بن مسعود كما من اخبار قازان والبلغار لمحمد مراد لرمزي ج ١ ص ٢١ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) (ديوان لغات الترك) ج٣ ص ٢٧٤ (تاريخ تأليفه ٤٦٦ هـ طبعه ١٣٣٣هـ) .

(٤) (الدر المنظم في السر الاعظم) .

(٥) (المرجع المذكور) .

الاسلام السلطان محمد الفاتح المشهور .

٦ — كما اخبرنا محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري هذا الحديث الشريف تعلموا لسان الترك لأن لهم ملكا طوالا .[١]

وبالمناسبة ندرج ادناه الأبيات المختارة من القصيدة الغراء المنسوبة الى سيدنا امير المؤمنين علي عليه السلام [٢] مطلعها :-

ومن عجب الدنياه ذل الضراغم	ورفع لذي جهل وخفض لعالم
سينصر جيش الترك دين محمد	على من طغى في كفره بالنواقم
يبيعون لله العظيم نفوسهم	صفوفا على الكفا وسل الصوارم
فجنات فردوس لهم قد تزخرفت	سيلقون فيها خير حور نواعم

٢ — الفتوحات الاسلامية

والتماس بين العرب والترك :-

في نتيجة الحرب التي جرت في موقعة « نهاوند » بين جيوش العرب والفرس في سنة « ٦٢٢ م - ٢١ هـ » والحروب المتعاقبة لم يبق لأنبراطور الفرس « يزدجرد » أمل في اعادة عرشه والوقوف بازاء جيوش العرب ، فأداه الأمر الى الهروب الى خراسان والتجأ الى « مرزبان » مدينة مرو

---

(١) (ديوان لغات الترك) ج ١ .

(٢) وهذه النسخة مستنسخة من النسخة الاصلية التي كانت محفوظة في الخزانة الحميدية في اسطنبول في ١٠٣٣ هـ وهي (١٢٩) بيتاً وقد آهداها الينا صديقنا الاستاذ الفاضل (الملا صابر افندي بن شيخ القراء حافظ الملا محمد الكبير الكركوكي) . والقصيدة هذه محفوظة بين مخطوطات مكتبته ونشكره على ذلك

فاستقبله استقبالا حسناً ، وا كرم ضيافته وقدره قدر الملوك ، وبعد ان مكث مدة من الزمن رحل والتجأ الى نيزك طرخان خاقان اتراك المغرب نسبة الى تركستان ـ آملا منه مساعدته لأعادة ملكه وعرشه ، فبقي ضيفاً لدى نيزك خاقان الترك شهراً واحداً (١) فعلم مقصده من زيارته وهيأ له جيشا مجهزاً تجهيزاً كاملا ، وتقدم لمحاربة العرب في (٢٢ هـ) ولكنه تشاءم بقتل من قتلهم العرب من جيشه ولم تحصل المصادمة التامة فرجع قبلها بليلة (٢)

لم يبق حاجز بين الامة العربية المسلمة التي ابتعدت عن وطنها مئات اميال لاعلاء راية الاسلام ونشر تعاليمه السامية . والامة التركيةالتي كانت تعيش فيوسط آسيا وشرقيها بأخلاق وعادات اجتماعية مقاربة ومشابهة نسبياً لتلك التى جاءت بها الأمة العربية .

ان الحاجز بعد ايغال العرب فى الشرق اصبح مرفوعا بين الامتين ،ولكن المانع الحقيقي لم يزل قائماً اذ ذاك لأن الحديثالنبوي ﴿ اتركو الترك ماتركوكم ﴾ شغل بال المسؤولين من العرب . ان الخليفة سيدنا عمر رضى الله عنه بكونه القائد الاعلى لجيوش الاسلام كان متردداً في مبادأة الاتراك بالحرب فعندما كتب اليه الاحنف بن قيس بفتح خراسان فى سنة (٢٢ هـ) تأثر وقال : (لوددت اني لم اكن بعثت اليها جنداً ولوددت انه كان بيننا وبينها بحر من نار) فقال سيدنا علي (رضى الله عنه) : (ولماذا ياأمير المؤمنين ؟) فقال : (لأن اهلها سينقضون منها ثلاث مرات فيجتاحون فى الثالثة فكان ان يكون ذلك بأهلها احب اليّ من ان يكون بالمسلمين) (٣)

---

(١) كتاب فتوحات البلدان ص ٣١١ للبلاذري ، وتاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٦٤
(٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ص ٢٤٦ سنة ٩ ١٩م واشرح قصيدة ابن عبدون البسامة ص ٩ ٢ ـ ١٤٠
(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ص ٢٤٦

نجحت الجيوش الاسلامية في فتوحاتها نجاحا باهراً وفي سنة (٣٠هـ) سلمت مدينتي (طيس ، وكرين) صلحاً ثم تمكن الاحنف بن قيس في اجبار (قوهستان) بأعطاء (٦٠٠) ستمائة الف درهم سنويا كجزية ثم دخلت مدينة (نيسابور) وقراها تحت نفوذ العرب وجعل قيس بن هيثم وكيلا له لجمع وارداتهـا ثم دخلت المدن (مرو ، هرات ، باذغيس) تحت ادارة العرب مصالحة (١)

وعندما سمع الخليفة (عمر رضى الله عنه) بالتوفيق الذي حالف العرب في زحفها وفتح مدن خراسان ومنها مدينتي (مروين وبلخ) كتب الى قائد الجبهة الاحنف بن قيس بالرسالة الآتية : (اما بعد فلا تجوزن النهر واقتصر على مادونه وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدم لكم النصر واياكم ان تعبروا (٢) فتنفضوا) (٣)

ويخبرنا الجاحظ بان سيدنا (عمر بن الخطاب رضي الله عنه) قد قال يصف الاتراك بـ ﴿ هذا عدو شديد طلبه قليل سلبه ﴾ فنهى عن التعرض لهم بأحسن كناية (٤)

إن المانع المار ذكره زال بوفاة سيدنا (عمر رضي الله عنه) فبعد وفاته اخذت الجيوش العربية تتقدم في بلاد الترك واخذت المدن تفتح أبوابها لتلك الجيوش المؤمنة المصممة صلحاً او قتالا . والذي ساعد العرب في حروبهم وتقدمهم واحتلالهم المدن هو وضع الاتراك الداخلي حيث كانت المدن تحكم على شكل إمارات مستقلة وكان الامراء متنافسين بينهم كـ (الصغد ، بخارى ، اشروسنه والشاش ، كش ، فرغانه ، طوغارستان ، خابطال ، ختل ، جانبو لستان ، كومت

---

(١) فتوح البلدان ص ٣٣٠ البلاذري - وما تبعها من الصفحات
(٢) يقصد نهر جيحون
(٣) الطبري تأريخ الامم والملوك ج ٣ ص ٣٤٦
(٤) مجموعة الرسائل الجاحظية ص ٤٦

واهان » ، كل واحدة منها امارة يحكمها أميرهم ضعفاء منفردون بازاء جيوش العرب المتحدة .

تمكن « قارن » بالقيام بحركة تحريرية في سنه « ٣٢ هـ » وهدفه اخراج العرب من خراسان غير ان الحركة أخمدها عبد الله بن حازم وعلى أثرها جعل والياً على خراسان (١).

وفي خلافة سيدنا علي رضي الله عنه في السنوات ٣٥ـ ٣٨ هـ ـ فمها كانت الروايات حول قيام ولاة خراسان بغارات وفتوحات جديدة غير ـ كان العرب قد اخلوا خراسان ولو لمدة قليلة (٢)

عند انتقال الحكم الى الامويين قضت خراسان فترة من الزمن هادئة في زمن معاوية اول خليفة من خلفاء الدولة الاموية (٤١ هـ/ ٦٦١م) لان معاوية كما قلنا كان يقدر ما سيحدث في النتيجة فقد روي ابو يعلى عن معاوية بن خديج قال : (كنت عند معاوية فاتاه كتاب عامله ـ عامله على خراسان ـ انه وقع بالترك فهزمهم فغضب ثم كتب اليه لا تقاتلهم حتى يأتيك امري .. فانا اكره قتالهم (٣) ولكن عند انتقال ادارة خراسان الى يد ابن عامر بوشر في عهد محاولات الغزو والفتح فتمكنت الجيوش العربية التي كانت بقيادة قيس بن الهيثم من اخماد الحركات التحريرية التي قامت في (باذغيس وهرات وبلخ ـ غير ان الجيوش العربية لم تتمكن من التقدم بصورة منتظمة ـ) (٤) حتى سنة (٤٥ هـ/ ٦٦٥م) ففي ذلك التأريخ اودعت ادارة خراسان الى زياد بن ابيه فارسل الحكم بن عمر الغفاري وكيلا عنه والحكم اتخذ مدينة (مرو) مركزاً له وقسم خراسان الى اربع مقاطعات

---

(١) الطبري تأريخ الامم والملوك ج ٣ ص ٣٥٩

(٢) فتوحات العرب في آسيا الوسطى الترجمة التركية لمؤلف *HA.R.GIBB*

(٣) الشرح الكبير المسمى بفيض القدير بشرح جامع الصغير لشيخ المناوي ج ١

(٤) فتوحات العرب في آسيا الوسطى الترجمة التركية .

مقاطعة مرو . مقاطعة ابو شهر مقاطعة مرو الروذ والفاريات . والطالقان ومقاطعة هراة ، باذغيس ، قادس ، بوشيخ ، واستعمل ولاة لكل مقاطعة (١)

هناك حوادث تأريخية لها وقع حادثة الاختلاط بين الأمتين العربية والتركية منها ما اوردها المؤرخ الشهير الطبري في كتابه(٢) باسكان العرب في خراسان على الشكل الآتي : (فكتب زياد الى خليد بن عبدالله الحنفى بولاية خراسان ثم بعث الربيع بن زياد الحارثي الى خراسان فى خمسين الفا ومن البصرة خمسة وعشرين الفاً ، ومن الكوفة خمسة وعشرين الفاً كان على اهل البصرة الربيع وعلى اهل الكوفة عبدالله بن أبي عقيل وعلى الجماعة الربيع بن زياد تخبرنا ايضاً والي خراسان الربيع بن زياد - بعد عزل خليد بن شهر - في اول سنة ٥١ هـ - ٦٧١ م فنقل الناس عيالاتهم الى خراسان وأوطنوا بها (٣)

ويقول الاستاذ الكبير محمد رضا الشبيبي : وفي كتب الفتوح ذكر لخطط العرب ومنازلهم في البلاد المذكورة .. خراسان وبلاد الترك .. وقد أشار غير واحد من الكتاب والمؤلفين الى فصل البيئات الأجنبية من تركية وخراسانية وغيرها واثرها فيمن نزل بها من القبائل العربية فمن نزل من العرب «فرغانة» ، لاتستطيع تمييزه عن اهل «فرغانة» ، في السحنة واللون والهيئة ومثلهم في ذلك من نزلوا في غير «فرغانة» من الخطط والأقاليم التركية والخراسانية .

وقد وصف الجاحظ تأثر بعض هذه القبائل العربية بتلك البيئات . والمكتشفات الحديثة تؤيد أقوال الجاحظ ، فقد عثر الباحثون في تركستان

---

(١) الطبري تأريخ الامم والملوك ج ٤ ص ١٤٩

(٢) تأريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١٧٠

(٣) الطبري تأريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢١٧

أو في ما وراء النهر على قبائل رحل تعيش في عزلة عن غيرها ، ولها لغية أو لهجة تقارب اللهجات العربية . ومن رأيهم أنها من بقايا العرب الأولين في تلك البلاد (١)

وقد صار ذلك من المسلمات بعد ما نقلنا خبر نقل الناس عيالاتهم الى خراسان وايطانهم بها آنفاً .

على ثر وفاة الربيع بن زياد في سنة «٥٣ هـ ـ ٦٧٢ م جعل ابنه (عبيدالله) والياً عوض ابيه . وفي زمانه باشرت جيوش المسلمين محاربة الأتراك وهم في قلب ديارهم ، وحاول الوما اليه تقديم الجيوش عبر النهر الفاصل جيحون للاستيلاء على المدن التركية الغنية « كنجاري » وغيرها من المدن . إن « بخاري ، كانت امارة تحكم فيها عائلة تركية (شاو ـ أو »ومدينة « بيكند» كانت مركز الأمارة . وقلعة « بخارى » أسسها أو عمرهـــا الأمير « بخار اخدايدون » أحد امراء العائلة المذكورة .

وبعد وفاته ترك له ولداً لا يتجاوز سنتين من العمر وعلى إثرها أخذت الوالدة الملكة « قبيج خاتون ، في ادارة شئوون الأمارة ، وقد صادف هجمات العرب على أمارة بخارى في زمن الملكة المذكورة . «٢»

قام عبيدالله في ربيع الأول لسنة (٥٤هـ ـ ٦٧٣ م) بهجماته عبر نهر (جيحون) على بخارى ثم على (بيكند) فقاومه الجيش التركي الذي تحت أمرة الملكة (قبيج خاتون) مقاومة شديدة جداً جلبت انتباه واعجاب القائد العربى (عبيدالله بن زياد) لما لمسه من شجاعة فائقة وحسن استعمال الأسلحة لديهم فأختار منهم ألفين كلهم جيد الرمي بالنشاب فبعثهم الى العراق

---

(١) كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي ج ١ ص ٣٥

(٢) فتوحات العرب فى آسيا الوسطى الترجمة التركية .

واسكنهم (البصرة) . (١) فبعمله هذا الذي قام به بهذ الاختيار أصاب ثلاثة مقاصد ابعـــادهم عن ساحة الحرب والمحافظة على الثغر العربي وهو (ميناء البصرة) والتدريب لشباب العرب باستعمال الرمي بالسهام عن القوس) ولذا يعتبر (عبيدالله بن زياد) أول قائد عربي استخدم من جند الترك قطعة عسكرية (٢)

لم تدم ادارة (أسلم بن زرعة الذي جاء خلفاً لعبيدالله فقـــد عقبه في الادارة (سعيد بن عثمان) سنة (٥٦ هـ ٦٧٥ م) .

في المدة الماضية قد حصل التماس بين العرب والترك وهذا مما جعلهم يعرف بعضهم البعض وفي نتيجة ذلك قدمت الملكة (قبج خاتون) شروط الصلح الى (سعيد بن عثمان) فقبلها . وعلى أثرها أمرت جيشها بمرافقة جيش العرب عند عزم سعيد على فتح مدينة (سمرقنـــد) و بتعاضد الجيشين التركي والعربي تمكن سعيد من اجبار مدينة (سمرقند) على اعطاء الجزية و تقديم اولاد الامراء والرؤساء ـ هناك اختلاف بعددهم من قال أربعين ومن يقـــول ١٥ ـ رهناً لديه (٣) .

وهكذا تمكنت جيوش العرب من التقدم بفتح المدن المستحكمة منها صلحاً ومنها حرباً ناشرين بين سكانها الأتراك تعاليم الدين الحنيف وقد وجدهم العرب أهلا لها ولهم رغبة بقبول تلك التعاليم السامية لتقارب عاداتهم وتعاليم الدين الجديد من حيث المبدأ . (٤)

---

(١) الطبري (تاريخ الامم والملوك) ج٤ ص ٢٢٢ .

(٢) فتوحات العرب في آسيا الوسطى الترجمة التركية .

(٣) (فتوحات البلدان) ص ٤٠١ للبلاذري . طبري عند سعيد بن عثمان في سنة ٥٦هـ ـ ٦٧٥م) لصغد فصالحوه اهلها واعطوه من ابناء عظامهم خمسين غلاماً رهناً لديه (تاريخ الامم والملوك) ج ٤ ص ٢٢٧

(٤) التفصيل في بحث الاتراك والاسلام .

كاد يتم فتح ما وراء النهر بأجمعه بأقصر وقت لولا ظهور التعصب القبائلي بين صفوف العرب (١) وهذه الغلطة كانت عظيمة جداً لولا لطف الله وتسلم القائد العربي « قتيبة بن مسلم » إدارة خراسان فقد وضع نصب عينيه كلمة الحق وعدم التساهل فى الفتح والتقدم وحصل في زمانـه فتوحات واسعة الأطراف وتقسم الى أربعة ادوار (٢)

١ — في سنة ٨٦ هـ ـ ٧٠٥ م . استرجاع طوغارستان السفلى .

٢ — فى سنة ٨٧ هـ ـ ٧٠٦ م ـ ٩٠ هـ ـ ٧٠٧ م فتح مدينة بخارى .

٣ — في سنة ٩١ هـ ـ ٧٠٩ م ـ ٩٣ هـ ـ ٧١١ م تقوية نفـوذ العرب والتقدم حتى الصغد .

٤ — في سنة ٩٤ هـ ـ ٧١٢ م ـ ٩٦ هـ ـ ٧١٤ م الهجمات على ولايات قسارت

(ويبدو لنا بشيء من المقارنة بين منهج الامويين ومنهج العباسيين فى السياسة التى ساروا عليها في المشرق ان ادارة العباسيين امتازت بقسط لا يستهان به من الرفق والمحاسنة بخلاف إدارة الامويين وعمالهم التى تميزت بالشدة والجفاء ..

ولا غرو إذا رأينا العباسيين أبعد نظراً واكثر توفيقاً في الأصلاح من الامويين إذ كانت لبني العباس سياستهم الانشائية ومثلهم العليا فى ادارة تلك الاقاليم بخلاف بني أمية على الاكثر إذ كان مثلهم الأعلى فيما نحن فيه طلب الملك من أجل الملك والسلطة لغرض السلطة ..

ولا بد لنا من القول إن اكثر مغازي المسلمين لبلاد الترك وقعت في الدولة الأموية ويلاحظ أن شطراً واسعاً من بلاد الترك أو ما وراء النهر فتح

---

(١) ـ فتوحات العرب في آسيا الوسطى ـ الترجمة التركية كما ذكر .
(٢) ـ فتوحات العرب في آسيا الوسطى ـ الترجمة التركية كما ذكر .

صلحاً في أواخر المائة الأولى .) (١)

(مرت بلاد الاتراك والشرق المذكور باسره في الفترة الواقعة بين أواخر خلافة هارون الرشيد الى أواخر خلافة المأمون وأوائل خلافة المعتصم بمرحلة خطيرة في مراحل الانتقال مرحلة امتازت باقبال الاتراك على حظيرة الاسلام وهي ثمرة من ثمرات السياسة الانشائية التي انتهجها المأمون في ولايتـــه على خراسان بل في خلافته باسرها وولاية عهد قبل ذلك) (٢)

(امتازت الفترة الأخيرة من عصر العباسيين الأول ـ أعني عصر المأمون واخيه المعتصم ـ بضرب من السياسة الانشائية فى بلاد الشرق وما وراء النهر ـ كما قلنا ـ ، وقد نحا المأمون نحو سياسة مثمرة أساسها الكف عن الغزو والأثخان في البلاد النائية وقوامها التعاون مع أهل البلاد المفتوحة والميـــل الى الصلح وتسوية ما بين الفريقين من الخصومات تسوية سلمية مهما أمكن .) (٣)

ويقول الاستاذ الكبير محمد رضا الشبيبي : « اتجـــه الأول في الخلفاء العباسيين الى المشرق وكان هوى الخلفاء مع اشياعهم من ابناء الشرق بل حاولوا الانفراد بهؤلاء الاشياع وتوثيق رابطتهم بتلك البلاد واهلها فلم تنقطع صلتهم

---

(١) كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي ج ١ ص١٨٢ ـ ٨٣ للمربي محمد رضا الشبيبي .

(٢) كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي ج١ ص ١٨٠ وراجع فى هذا قول العالم المشهور ف بارتولد في كتابه الدعوة الى الاسلام ص ١٨٧ من الترجمة العربية قال « ولكن جمهور اهالى هذه البلاد لم يعتنقوا الاسلام حتى عهد المعتصم ٨٣٣ ـ ٨٤٢م والسبب الظاهر هذه القضية هو ان الأتراك الذين كانوا قد هاجروا افواجاً لينضموا الى جند الخليفة كانوا من اهم العوامل التي ساعدت على انتشار الاسلام بين الأتراك » وسيأتيك تمام الخبر .

(٣) كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي ج ١ ص١٨٢ محمد رضا الشبيبي ومعلوم أن المأمون مات غازياً لبلاد الروم مثخناً في بلاد نائية !!

بالقوم وتتابعت رحلات الخلفاء وولاة العهد والامراء الى الاقطار الشرقية وكانت وجهة القوم خراسان وما وراء النهر لتصفح احوالها او لتصريف شؤونها وما الى ذلك كما فعل المنصور والمهدي والهادي والرشيد والمأمون فنصب المنصور ولي عهده المهدي أميراً على خراسان وحذا المهدي حذو ابيه فنصب ولي عهده الهادي اميراً على تلك البلاد ونسج على منوالهما الرشيد فعين المأمون أميراً على خراسان ولم يعن الخلفاء بالمغرب مثل عنايتهم بالمشرق من هذا القبيل بل كانوا يعمدون احياناً الى ادارة شؤون المملكة باسرها من خراسان » (١)

وبديهي ، ان سلوك الدولة العباسية الذي ذكرناها كان منسجماً كل الانسجام مع واقع سياستها لأن دولتها نشأت على اكتاف الخراسانيين ومن جاورهم من الاتراك ولذلك كانوا ينظرون الى تلك الاصقاع نظرة تقدير واكبار لانها منبع قوتهم ومراكز جنودهم الاصلية كما سنفصله في المباحث الآتية :

وفي أثر لغة الضاد في تلك الاصقاع ، يقول الشبيبي : « وقد توالت بعد هذه الفترة - يعني عصر المأمون وأخيه المعتصم - عصور أزدهرت فيها - بلاد المشرق وما وراء النهر - الثقافة الاسلامية ونهضت آداب اللغة العربية نهضة منقطعة النظير وأصبحت لغة الضاد فضلاً عن كونها لغة الدين لغة العلم والكتابة والتأليف وتغلبت في تلك الاصقاع الواسعة - يعني بلاد المشرق وما وراء النهر - على اللغات كافة ووضع فيها عدد لا يستهان به من أمهات الاسفار في العلوم والفنون » (٢)

يقول المستشرق الكبير ﴿ ادوارد جرانفيل براون ﴾ في عين المعنى كما يلي:

---

(١) كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي ج ١ ص ١٨٢

« ظلت تستعمل اللغة العربية كلغة الأدب المعترف بها في الولايات الممتدة من اسبانيا الى سمرقند ـ منذ الفتح الاسلامي حتى ظهور المغول (١) . ويقــول المستشرق « بارتولد » : ان فضل انتشار الحروف العربية في تركستان من الصغد الى بحر المحيط الهادى يرجع الى جماعة أويغور ، والمغوليين . واقدم الكتابة بهذه الحروف التي سميت فيما بعد بالكتابة « الاويغورية » يرجع تاريخها الى نصف الاول من العصر التاسع الميلادي » (٢)

٣ ـ الترك فى معونة العرب

هكذا ثبت بأن الحروب الدامية والتجارب القاسية التي وقعت بين الأمتين العربية والتركية في بدأ الأسلام أعطت دروساً ذات فوائد لكلتا الامتين، فعرف الاتراك سبب تقدم العرب وغايتهم هي نشر تعاليم دينهم ، فدخلوا تحت راية الأسلام رغبة منهم وكانوا آمنين مطمئنين كما عرف العرب خصائص الامة التركية واخذوا يستفيدون منهم بمقياس واسع ، فأستخدمت الدولة الأموية الأتراك في جيشها ثم استخدمت الدولة العباسية وبالحرى كان للاتراك اليد الطولى في تأسيس الدولة العباسية كما أوضحنا في فصل العراق والترك في التأريخ » .

ونضرب مثلا لذلك قول العـــالم الشهير « ابي عثمان عمرو بن محبوب المعروف بالجاحظ » في رسائله : « خرج رسول المأمون على حميد بن عبد

---

(١) تاريخ الادب في ايران ص١٠٧ ـ ٨ النسخة العربية .

(٢) اورته أسيا تورك تاريخي حقنده درسلر ص٤٤ و٤٥٦ استانبول١٩٢٧ للبروفسور و . بارتولد .

الحميد ومعه قوم من اصحاب التجارب والمراس وطول المعالجة والمعاناة بضاعة الحرب وهم في دار الخلافة مجتمعون وهي دار العامة. فقال لهم: « يقول لكم أمير المؤمنين متفرقين ومجتمعين ليكتب كل رجل منكم دعواه وصحبته وليقل أيما أحب الى كل قائد منكم اذا كان فى عدته من صحبته وثقاته أن يلقى مائة تركي أو مائة خارجي » فقال القوم جميعاً « نلقى مائة تركي أحب الينا من أن نلقى مائة خارجي» وحميد ساكت فلما فرغ القوم من حججهم قال الرسول الحميد « قد قال القوم فقل واكتب قولك وليكن حجة لك أو عليك » قال « بل ألقى مائة خارجي احب الى لأنني وجدت الخصال التي فضل بها الخارجي جميع المقاتلة غير تامة فى الخارجي، ووجدتها تامة في التركي. ففضل التركي على الخارجي بقدر فضل الخارجي على سائر المقاتلة ». وقال: « الشدة الأولى التركي فيها أحمد اثراً واجمع أمراً وأحكم شأناً لأن التركي من اجل أن تصدق شدته ويتمكن عزمه لا يكون مشترك العزم ولا منقسم الخواطر. . والخوارج. . ليست لهم رماية مذكورة على ظهور الخيل والتركي يرمى الوحش والطير والبرجاس والناس والمجثمة والمثل الموضوعة والطير الخاطفي. . وللتركي أربع اعين عينان في وجهه وعينان في قفاه. . . والتركي في حال شدته معه كل شيء يحتاج اليه لنفسه وسلاحه ودابته وأداة دابته. فأما الصبر على الخبب وعلى مواصلة السفر وعلى طول السرى وقطع البلاد فعجيب جداً. . . واذا سار التركي في غير عسا كر الترك فسار القوم عشرة أميال وسار التركي عشرين ميلا.

فلما انتهى الى المأمون قال: « ليست بالترك حاجة الى حكم حاكم بعد حميد فان حميداً قد مارس الفريقين وحميد خراساني وحميد عربي فليس للتهمة عليه طريق.

وأتى الخبر ذا اليمينين طاهر بن الحسين فقال : ما أحسن ما قال حميد أما انه لم يقصر ولم يفرط (١) اسفرت السياسة الانشائية التى انتهجها المأمون ـ كما قلنا ـ عن نتائج في تلك البلاد اذ نعمت بعهد منقطع النظير من الطمأنينة والرخاء في عصر المأمون ثم استخلص المعتصم فحذا حذو أخيه ومن ذلك الحين انتظم في سلك عسكره من انتظم من أتراك ما وراء النهر صغداً وفراغنة وأشروسنية وغيرهم وحضر ملوكهم بابه وغلب الاسلام على من هنالك من القبائل التركية بالحرب مرة وبالمكاتبة والدعوة تارة ، وكفى هؤلاء الاتراك جيش بني العباس فى الفترة المذكورة مؤونة الحرب في الثغور وراح الاتراك المسلمون يغزون من وراءهم تركاً ومغولا ... فهذا ـ اعني غناء الاتراك وكفايتهم فى الفتوح ـ من أهم الاسباب ركون المعتصم إلى هؤلاء الاتراك وفي مقدمتهم كاوس وابنه الافشين . » (٢)

وبما ان الاتراك ماهرون في الحرب أخذ الخلفاء يستخدمونهم فى الجيش رغبة فى اضعاف نفوذ العجم وتخفيف سلطنتهم لان السلطة في الدولة كانت لمن له يد في الجيش ، وقد ارتقى بعض الرجال الترك الى مراتب القواد الكبار (٣)

كما ان ابلى الاتراك بلاء حسناً ـ فى عصر المأمون ـ في الدفاع عن حدود الدولة في بوادي تركستان وعلى تخوم الشرق الاقصى . وهي ثمرة من ثمرات السياسة التي سار عليها المأمون ورجال الدولة كما قلنا (٤)

« وكل من قرأ تاريخ بني العباس علم ما بلغه من المراتب المماليك الاتراك

---

(١) مجموعة الرسائل الجاحظية ص ٢٤ـ٣٤

(٢) كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي ج ص ١٨٠ ـ ١٨١ المربي الكبير محمد رضا الشبيبي

(٣) كتاب « دروس التاريخ العربي » محمد دروزة .

(٤) كتاب « مؤرخ العراق ابن الفوطي » ج ١ ص ٢٨٢ لمربي شبيبي .

منها صدر الدولة مثل مبارك وحماد ، والاخشيد ، وابي سليم فرج باني طرسوس « ١٧٠ هـ ـ ٧٨٦ م » للرشيد ودوليار قاتل الوليد بن طريف الشاري الذي اقلق دولة هارون الرشيد » (١) فيتميز الخليفة المعتصم على من سبقه من الخلفاء بأنه تزيا بزي الاتراك يقول السيوطي : ﴿ ان المعتصم اول من تزيا بزي الاتراك ولبس التاج . رفض زي العرب ﴾(٢) وجعل جل اعتماده على الاتراك واستخدمهم في الجيش بكثرة فبعد ما بويع له لم يكتف بالاتراك الموجودين عنده بل شجع الاتراك على القدوم الى العراق . « فالبسهم أنواع الديباج والمناطق والحلى المذهبة وأباتهم بالزي على سائر جنوده(٣) وجلب عدداً غفيراً من الفراغنة وغيرهم من الاشروسنية فكثر جيشه » .

وهذا هو الأمر الذي جعل مدينة بغداد لاتتسع لاسكانهم فعزم المعتصم على نقل جيشه من بغداد ، ثم انتخب له ولجيشه محلا آخر فاختار منطقة القاطول وبني فيها مدينة « سامراء المشهورة وجعل للاتراك قطائع متميزة وجاورهم بالفراغنه والاشروسنية وغيرهم من مدن خراسان واقطع اشناس وأصحابه من الاتراك الموضع المعروف بكرخ سامراء ومن الفراغنة من أنزلهم الموضع المعروف بالعمري ، الجسر (٤)

واتخذ الخليفة كل الاحتياطات اللازمة لبقاء العنصر التركي محافظاً على عاداته وتقاليده وصفاته وعدم زواجه من الاقوام الأخرى ، ولذلك جلب لهم فتيات من بلادهم تركستان للتزوج بهن .

لقد حافظ الاتراك على عاداتهم التى انطبعت نفوسهم عليها وأتو بها من

---

(١) مجلة الدليل للدكتور مصطفى جواد العدد ٢ .

(٢) ﴿ الوسائل الى مسامرة الأوائل ﴾ ص ١٠٣ للسيوطي

(٣) ﴿ مروج الذهب ﴾ للمسعودي ج٢ ص ٣٤٩

(٤) ﴿ مروج الذهب ﴾ ج٢ ص ٣٥٠

بلادهم وظهر آثرها في خدمة الدول العربية ويضاف الى ما تقدم إن امراء « KHATTELAN » كانوا قد اشتهروا في تربية الخيول الاصيلة وهـــذه الخيول قد استخدمت في الجيوش العربية . (١)

وكانت الاصطبلات التى انشئت فى مدينة سامراء لهذه الغاية تستوعب « ١٦٠ » الف رأس من الخيول . (٢)

ان سكنى المعتصم مع جيشه فى سامراء جلب نظر الشعراء فقال احدهم :

ايا مساكن القاطرل بين الجرامقة تركت ببغدادالا كباش البطارقة (٣)

فاصبح جيش « المعتصم » من اعظم جيوش عصره مهارة وكفاية وكان بامكانه في أول حرب القضاء على « الدملة » المستعصية فى جسم الدولة العباسية وهي حركة « بابك الخرمي » .

وبابك الخرمي كان قد اتخذ مدينة (بذ) مركزاً لحركته وخرج على الدولة العباسية منذ سنة ٢٠١ هـ ـ ٨١٦ م (٤)

فاختار المعتصم الافشين التركي قائداً لجيشه ووجهه فى سنة ٢٢٠ هـ ـ ٨٣٥ م لمقاتلته . فوجد الافشين خصمه متحصناً فى الجبال التي يتعذر التغلب عليه . ولـكن الافشين ابدى مهارة فائقة وتمكن من اقتحام تحكيمات العدو بغتة وفتح مدينة (بذ) والقى القبض على الهارب (بابك الخرمي) ثم استأذن الافشين المعتصم في الرجوع ، وفي عام ٢٢٣ هـ رجع ومعه اسيره بابك وعند وصوله أعدم بابك . ولمكافأة الأفشين اجلسه المعتصم على سرير بحضرته وعقد التاج على رأسه (٥)

---

(١) كتاب « عمومى ترك تاريخته كيريش » ج١ ص ١٦٧
(٢) كتاب « مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي » لجرجي زيدان ص٢٤٣
(٣) مروج الذهب ج٢ ص ٣٤٩
(٤) تاريخ الـكامل لابن الاثير ج٦ ص١١١
(٥) الاخبار الطوال الدينوري ص٣٤٦

(وكان التاج من الذهب مرصعاً بالجواهر) والاكليل ليس فيه من الجوهر إلا الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر قد شبك بالذهب والبس وشاحين[١] وفي ذلك يقول الشاعر اسحاق بن خلف في قصيدته التى مدح فيها المعتصم بالله على انصافه للقائد الافشين [٢]

ما غبت عن حرب تحرق نارها	بالبذ كنت هنا وأنت هناكا
عزت بأفشين حسامك أمـة	والدين ممتسك به استمساكا
لما أتاك ببابك توجتـــه	وأحق من أضحى له تاجاكا

كما مدحه شعراء كثيرون منهم أبوتمام [٣] وابراهيم بن المهدي[٤] مدحاً يليق باعماله الباهرة التي قام بها .

ويخبرنا المسعودي ان الخليفة المعتصم زوج « الحسن بن أفشين » بـ « أترجة بنت اشناس » وزفت اليه وأقيم لها عرس يجاوز المقدار في البهاء والجمال ، وكانت توصف بالجمال والكمال ولما كان في ليلة الزفاف ما عم سروره خواص الناس وكثيراً من عوامهم قال المعتصم أبياتاً يصف حسنها وجمالها واجتماعها وهي [٥] :

زفت عروس الى عروس	بنت رئيس الى رئيس
أيهما كان ليت شعري	أجل فى الصدر والنفوس
أصاحب المذهب المحلى	أم ذو الوشاحين والشموس

بعد ازالة بابك من الوجود أراد المعتصم أن يعطي درساً قاسياً للبزنطيين

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص٣٥٢
(٢) الأخبار الطوال الدينوري ص ٣٤١
(٣) تاريخ الامم والملوك للطبري ج ٧ ص٢٦٣
(٤) مروج الذهب ج ٢ ص٣٥٢
(٥) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٢

لأنهم كانوا يتجاوزون على حدود الدولة العباسية في كل فرصة ينتهزونها فسار المعتصم في جيشه في سنة ٢٢٣ هـ ٨٣٧ م وبرفقته قادة الجيش الأتراك «الافشين» و «وصيف» و «بغا الكبير» وكل واحد منهم يقود قطعته. ففتح المعتصم حصوناً كثيرة ونزل على مدينة «عمورية» ففتحها الله على يديه (١)

يقول الدينوري: «وكان في خلافته ـ المعتصم ـ فتوحات لم تكن لأحد من الخلفاء الذين مضوا مثلها قبله. (٢)

وكل هذا حصل مما أظهره الاتراك من الشجاعة وحسن القتال والتدبير، ونتيجة ما قام به القادة الاتراك الذين توفرت لديهم الادارة الحازمة والقيادة المحنكة ولمرؤسيهم من الأتراك لما اظهروا في الحرب من الطاعة والشجاعة الفائقة.

ومن قواد الاتراك الذين خدموا الدولة العباسية منذ تأسيسها الى دور (البويهيين) وهم : الافشين، أشناس، ايتاخ، بغا الكبير، موسى بن بغا، جعفر بن دينار الخياط، محمد بن بغا، وصيف، ابراهيم بن سيما، أتامش، اسحاق بن يحيى، احمد بن طولون، وغيرهم. «اكتفينا بهذا والتفصيل في كتابنا ـ مفصل تأريخ الاتراك في العراق ـ».

٤ ـ الامتزاج الروحي والاختلاط الجنسي

بين الامتين ـ

◎◎

بدأ الامتزاج والتزاوج بين العرب والترك منذ توغلت الجيوش العربية في بلاد الترك وان الآية الكريمة التي نزلت على النبي «صلعم» فيما يحل

---

(١) (مروج الذهب) ج ٢ ص ٣٥٣، ٣٥٤

(٢) (الأخبار الطوال) ص ٨٨

المرأة للرجل من كونها (ملك اليمين) أعنى ملكية الرجل للأمة نص قوله تعالى «فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ماملكت ايمانكم» «والذين هم لفروجهم حافظون . الا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين» فمن ملك جارية جاز أن يتسراها فتحل له سواء أكان متزوجاً أم عزباً ويحل له أن يتزوج الى أربع وأن يملك من الجواري ويتسرى منهن ما شاء من العدد ومن أجل ذلك كان بيت الاسلام في الأغلب فيه زوج أو زوجات . وكان بجانبهن عدد من الجوارى (١) ولا يخفى أن في فتح الاسلام وفي العهدين العباسى والاموي كانت اكثر الجواري من الأتراك . فاذا ليس من شك فى أن هذه الصلات التي وصلت بين العرب والترك أدت الى حدوث نسل فى اثناء هذا الاختلاط .

كان العرب في أول فتوحاتهم حتى عهد الدولة الاموية يرون هؤلاء الموالى دونهم رتبة وشرفاً ولا يجيزون زواجهم بنات العرب مع كون العرب يملكون زوجات أو جوارى تركيات غير ان ذلك لم يدم طويلا فان الاتراك خالطوا الشعب مخالطة تامة في المعاملة والمعيشة والمصاهرة حتى صار العرب يستجيزون ان يتزوج الأتراك من بناتهم بعد أن كانوا أخوالهم حسب (٢) وامتزجوا بمرور السنين وتزوج الترك من العربيات بحرية ودام ذلك الاختلاط قروناً طويلة وشمل هذا العامة والخاصة من أبناء الأمتين وبقي مستمراً حتى يومنا هذا .

نثبت من الشواهد ما ينطق بالحق ويؤيد ما نقول وما تم في اثناء هذا الاختلاط والتداخل من أثر فعال حياة الأمتين « حتى إن جماعة من الخلفاء

---

(١) ضحى الاسلام احمد امين ج ١ س ٨٣

(٢) مجلة الدليل العدد ٢ للدكتور مصطفى جواد .

أنفسهم فى العصر العباسي كانت أمهاتهم جواري تركية « فالمعتصم » أمه تركية — اسمها « ماردة » من بلاد « الصغد » (١) — المتوكل كذلك أمه « خوارزميه» والمكتفى بالله أمه تركية اسمها ﴿ جيجك ﴾ و ﴿ المقتدر بالله ﴾ أمه أم ولدقيل إنها تركية ﴾ (٢) كما ان أم الخليفه المأمون تركية — اسمها ﴿ مراجل ﴾ من مدينة ﴿ باذغيل ﴾ (٣) — كما ذكر المؤرخ الشهير ﴿ رشيد الدين ﴾ فى كتابه ﴿ جامع التواريخ ﴾

ان السيدة شجاع : (٤) أم الخليفة المتوكل على الله كانت تركية الاصل ﴿ خوارزمية ﴾ وكان مملوكة ﴿ للمعتصم بن هارون الرشيد ﴾. وولدت منه ﴿ ابا الفضل جعفراً المتوكل على الله سنة ٢٠٥ هـ فانه ولى الخلافة العباسية بعد وفاة أخيه (من الاب) أبى جعفر هارون ﴾ الملقب ﴿ بالواثق ﴾ في سنة ٢٣٢ هـ وكانت شجاع مقبلة على الاعمال الخيرية والاثار الحسنة توفيت ٢٤٧ هـ .

« وان قطر الندى » :- كانت بنت ﴿ خمارويه ﴾ أمير مصر ﴿ ابن احمد بن طولون ﴾ القائد التركي طلب الخليفة ﴿ المعتضد بالله ﴾ العباسي الزواج بها فبعث الى أبيها مليون درهم مع شيء كثير من المتاع والطيب والتحف الصينية والهندية والعراقية وبعث إلى ﴿ خمارويه ﴾ خاصة بكيس من الجوهر الثمين فيه در وياقوت وأنواع من الجوهر ووشاح وتاج وأكاليل وقلنسوة وكان وصول ذلك إلى مصر سنة ٢٨٠ هـ . وحينئذ أخذ ﴿ خمارويه ﴾ في تجهيز ابنته

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٥

(٢) ظهور الاسلام ج١ ص٥

(٣) مروج الذهب ج١ ص٣١٦

(٤) تراجم السيدات اللواتي نذكرهن فى هذا البحث قد اقتبست من كتاب سيدات البلاط العباسي (للدكتور مصطفى جواد) .

﴿ قطر الندى ﴾ بجهاز يليق بعظمه الخلافة العباسية وأمن لها الراحة في السفر ورافقها عمها ﴿ شيبان بن أحمد بن طولون ﴾ ودخل موكب ﴿ قطر الندى ﴾ بغداد سنة ٢٨٢ هـ وبهذه المناسبة أنشد ابن الرومي القصيدة الآتية :ـ

يا عيد العرب الذي زفت له	باليمن والبركات سيـــدة العجم
اسعد بها لسعودها بك إنها	ظفرت بما فوق المطالب والهمم
ظفرت بمالىء ناظريها بهجـــة	وضميرها نبلا وكفيها كرم
شمس الضحى زفت إلى بدر الدجى	فتكشفت بهما عن الدنيا ظلم

خديجة خاتون السلجوقية ـ كانت زوجة الخليفة (القائم بأمر الله) :ـ

كان اسم هذه السيدة ﴿ أرسلان خاتون ﴾ فاضافت إليه اسم خديجة تيمناً به ، وأبوها ﴿ داود جغري بك ﴾ هـــو أخو السلطان ﴿ طغرل بك ﴾ مؤسس الدولة السلجوقية ، وكان السبب في تزويجها بالخليفة القائم بأمرالله ، رغبة عمها طغرل بك في توثيق الصلة بين البيت السلجوقي والبيت العباسي ، بعد أن استولى على العراق وأزال الدولة البويهية المتداعية الواهية . وكان عقد زواج في سنة ٤٤٨ هـ وكان صداق النكاح ﴿ مائة ألف دينار ﴾ وقد ظل هذا الصداق مضرب الامثال .

وبقيت خديجة خاتون في دار الخلافة العباسية حتى ردها طغرل بك على أثر سوء التفاهم الذي حصل بينه وبين الخليفة بمناسبة طلب الاقتران بابنتـــه ﴿ السيدة ﴾ . وفي ٤٥٣ هـ قدمت أرسلان خاتون دار الخلافة ومعها الصداق والجهاز لابنة الخليفة بناء على موافقة الخليفة على زواج ابنته طغرل بك زواجاً مخصوصاً . وهكذا بقيت أرسلان خاتون في دارالخلافة العباسية حتى سنة ٤٥٦هـ في هذه السنة خرجت من بغداد إلى الري وانقطعت أخبارها في التواريخ .

السيدة بنت القائم بأمر الله - زوجة السلطان طغرل بك السلجوقي :-

عندما توفيت « ألتونجان خاتون » زوجة طغرل بك في سنة ٤٥٢ هـ اوصت زوجها قبل وفاتها بان يتزوج ابنة الخليفة القائم ، لينال شرف الدنيا والآخرة ، واوصت بجميع مالها لبنت الخليفة المنوية خطبتها واراد طغرل بك ان ينفذ وصية زوجته التونجان خاتون ، فأرسل رسولا الى الخليفة القائم بأمر الله يخطب اليه السيدة ابنته ، وبعد الرد والبدل واعتزال طغرل بك عن الخليفة وتهديده اياه ضمناً وافق الخليفة على طلب طغرل بك وجعل الزواج مخصوصاً بالاسم فقط ، كما ذكر وفي سنة ٤٥٤ هـ ارسل طغرل بك رسولا مع الصداق ثم قدم هو بغداد فزفت اليه السيدة بنت الخليفة في سنة ٤٥٥ هـ وضربت البوقات والطبول العظيمة عند دخولها الدار فجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان طغرل بك حجرتها فقبل الارض بين يديها وخدمها ودعا لأبيها الخليفة وجلس على مقربة منها ، ليس غير ، ثم خرج

وظل أصحابه في صحن دار المملكة يرقصون ويغنون باللغة التركية فرحاً وسروراً . وخرج طغرل بك من بغداد في السنة التي تزوج فيها ، وتوفي في الري . فأرسل السلطان الب أرسلان ابن أخيه « السيدة بنت القائم » الى أبيها .

السيدة بنت ملكشاه السلجوقية - (زوجة الخليفة المقتدي بأمر الله) :-

هي بنت جلال الدولة ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقي وقد اشتهرت بلقب « خاتون » ولما دخل كل من « نظام الملك الطوسي والسلطان ملكشاه » إلى زوجته « تركان خاتون » ليخاطبا أمها قال لها وزير الخليفة « ان أمير المؤمنين راغب في ابنتك » فقالت له « قد رغب إلي في هذا ملك غزنة وملوك الخانية بما وراء النهر وطلبوها وخطبوها لأبنائهم ، وبذل كل واحد منهم أربعمائة الف دينار ، فان أعطاني أمير المؤمنين هذا القدر من المال فهو أحق بها منهم

وزواجه احب إلي » . فقال لها الوزير « رغبة أمير المؤمنين لا تقابل بهذا »
وجرت في ذلك مراجعات انتهت بقبول الطلب بشرط أن يعجل وزير الخليفة
بخمسين ألف دينار عن حق الرضاع . وكان هذا من عادة الاتراك إذ ذاك عند
الزواج . وفى سنة ٤٨٠ هـ دخلت بغداد بنت السلطان مع أمها تركان خاتون
ونزلتا دار المملكة ثم نقل جهاز الخطيبة من دار المملكة إلى دار الخلافة العباسية
وفيه مقادير عظيمة من الذهب والفضة ، ونقل الجهاز على أربعة وسبعين بغلا
مجللة بالديباج الملكي وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة ولما وصل الجهاز
محلة نهر المعلى نثر الناس على السائرين فى موكبه دنانير وثياباً ، إعلاناً منهم
بالفرح والسرور . ثم نقلت الخاتون بمراسيم فخمة جداً الى دار الخلافة وأدخلت
على الخليفة وكانت تلك الليلة من الليالي البديعة الجميلة من تأريخ بغداد .

ثم أخذت الخاتون تشكو زوجها الخليفة إلى أمها وأبيها السلطان ملكشاه
فبعث الى بغداد سنه ٤٨٢ هـ رسولين يطلبان الى الخليفة الاذن فى سفر الخاتون
إلى اصفهان فأذن الخليفة في ذلك فخرجت من بغداد ، وكان ذلك بعد سنتين من
زواجها ، وأخذت معها ابنها الأمير « أبا الفضل جعفر بن المقتدى بأمر الله »
وشيعها الوزير أبو شجاع إلى بلدة النهروان فوصلت إلى المدينة المذكورة
وتوفيت في نفس السنة .

السيدة بنت ملكشاه الثانية زوجة الخليفة المستظهر بالله العباسي :-

وهي الخاتون بنت ملكشاه الثانية فى سنة ٥٠٢ هـ أراد الخليفة المستظهر
بالله أن يتصل بالسلاجقة بالمصاهرة وكان سلطانهم « محمد بن ملكشاه » وكانت
في حمايته الخلافة العباسية فخطبت إليه أخته « الخاتون بنت ملكشاه الثانية »
فلبى طلبه وتم عقد القران بمدينة (اصفهان) عاصمة الدولة السلجوقية في سنة
٥٠٢ هـ المذكورة ، وفى سنة ٥٠٤ هـ بعث الخليفة (القاضي زين الاسلام) إلى

اصفهان لاستحضار زوجته « الخاتون » فجيء بها إلى بغداد ثم نقل جهازها من بعد إلى بغداد محمولا على ﴿ مائة واثنين وستين جملا و ٧ بغال ﴾ وانزلت بدار المملكة وزينت بغداد وأغلقت الاسواق ونصبت القباب وزفت الخاتون الى المستظهر بالله . فالخاتون عاشت مع زوجها الخليفة ﴿ ثماني سنوات ﴾ وتوفي عنها.

فاطمة خاتون بنت السلطان محمد السلجوقي :-

هي زوجة الخليفة العباسي « المقتفي لأمرالله » وإن سبب زواجها من السلطان السلجوقي أنه أراد بزواجه أن ينفي عن نفسه تهمة قتل الخليفتين « المسترشد بالله والراشد بالله » . وفي سنة ٥٣٤ هـ دخلت فاطمة خاتون بغداد في صحبة اخيها السلطان مسعود . ثم زفت الى الخليفة المقتضى فى زي عجيب وموكب مهيب . زينت بغداد عشرة ايام ابتهاجاً بذلك الزواج العظيم المشهور . وفي ليلة من سنه ٥٤١ هـ احترق القصر كله الذي كان يسكنه الخليفة والسيدة وخرج المقتضي وفاطمة خاتون ليلا من القصر هاربين من النار وفي يوم التالي أمر المقتضي باطلاق سراح المسجونين ، وتصدق على الفقراء باموال كثيرة شاكراً لله على سلامته وسلامة زوجته . ولم تعش فاطمة خاتون فى دار الخلافة العباسية طويلا اذ وافاها الأجل في سنة ٥٤٢ هـ ودفنت قرب مدفن الخليفة المستظهر بالله والد زوجها بالرصافه في بغداد، وكان ذلك تعظيما لها ،قال عنها المستشرق «لسترنج» فى كتابه الخططي المرسوم فى بغداد في عهد الخلافة العباسية : اشتهرت بكونها أميرة ذات عقل وعلم وسلطان وقدرة في الشؤون السياسية اذ ذاك .

السيدة زبيدة بنت المقتفي :-

عندما زوج السلطان المسعود السلجوقي أخته فاطمة خاتون للخليفة المقتفي حمل الخليفة المذكور على ان يزوجه ابنته السيدة زبيدة اظهاراً منه لمصافاته .

وفي سنة ٥٣٤ هـ عقد املاك السلطان مسعود للسيدة زبيدة وكان صداقها مائة الف دينار ولصغر سنها احتقر ان يتأخر العرس خمس سنين وكان عرساً معنويا على الطريقة التي نزوج بها طغرل بك السيدة العباسية بنت الخليفة القـائم وتوفى السلطان في سنة ٥٤٧ هـ وتوفيت هي ببغداد سنة ٥٨٩ هـ .

السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بالله :-

وكانت في اول امرها فتاة تركية مملوكة جلبها الجلابون من بلاد تركستان الشرقية ، فاصبحت جارية للامير ابي محمد الحسن بن يوسف العباسي الذي تولى الخلافة ولقب بالمستضيء بامر الله سنة ٥٦٦ هـ ، ثم اعتقها الخليفة فصارت زوجة له . وفي سنة ٥٥٢ هـ ولدت زمرد خاتون ابناً فسماه ابوه بـ احمد وكناه بأبي العباس . وعندما استخلف احمد لقب بالناصر لدين الله . واشتهرت زمرد خاتون بالصلاح والخير والنسك والعبادة فبنت مدرسة للشافعية بجوار تربة الشيخ معروف الكرخي ورباطاً أي تكية ومدفناً لنفسها . وبنت أيضاً مسجداً في موضع الحظائر على دجلة ويعرف اليوم بمسجد الخفافين توفيت سنة ٥٩٩ هـ وهي مدفونة في القبة التي تسمى بقبة الست زبيدة ـ خطأً في الجانب الغربي من بغداد عنـــد تربة الشيخ معروف .

السيدة سلجوقة خاتون :-

هي بنت قلج أرسلان بن مسعود السلجوقي ولدت في سنة ٥٥٤ هـ في قونية في قصر ابيها فتزوجها نورالدين محمد بن قره أرسلان ملك حصن كيفا الذي عرف في الاخير بحسنكيف . غير أن نورالدين أساء عشرتها ومعاملتها وأحب مغنية فتزوجها ولما علم أبو السيدة سلجوقة تأثر وطلب استرجاع بنته والحصون التي التي اعطاها له بمناسبة زواجه بها الا ان نورالدين كتب الى السلطان صلاح الدين يستنجد به على قلج أرسلان ووصل التوتر بينهما الى درجة أراد معها صلاح الدين

التقدم نحوه ، ولكن اخيراً تمكن رسول قلج ارسلان من استعمال دهائه واقناع صلاح الدين ، فقال للرسول والله الحق بيدك فان الامر لكما تقول ، ولكن هذا الرجل دخل عليّ واستجار بي وتصبح بي تركه لكنك أنت اجتمع به واصلح الحال بينكم على ما تحبون وانا اعينكم عليه واقبح فعله . وتمكن الرسول بعد ذلك من ازالة العداوة بين الملك قلج آرسلان والملك نورالدين بطرد المغنية.

وفي سنة ٥٧٩ هـ حجت سلجوقة خاتون الى بيت الله الحرام وكانت في طريقها الى مكة قد مرت ببغداد وسافرت صحبة أمير الحاج العراقي طاشتكين وكان عمرها نحو خمس وعشرين سنة .

ولما توفى زوجها سنة ٥٨١ هـ أرسل الخليفة « الناصر لدين الله » يخطبها من أبيها فأجابه بالموافقة فارسل الخليفة الشيخ « أبا يعقوب يوسف » باحضارها فجاء بها الى بغداد سنة ٥٨٢ هـ . واحبها الخليفة حباً جماً وتأثر تأثراً عميقاً عند وفاتها وذلك سنة ٥٨٤ هـ . وكانت قد أمرت أن تبنى لها تربة أي مدفن على الشط بالجانب الغربي من بغداد في مشرعة الكرخ المعروفة اليوم بشريعة خضر الياس ، قرب مشهد عون ومعين من ابناء الامام علي بن أبي طالب فتمت العمارة بعد وفاتها وبنى الى جانب التربة رباط « تكية » باسمها أيضاً ، وكانت العمارتان من أجل الآثار العباسية الفخمة وقد وصفها السياح أمثال « نيبهر » الدانيمركي الزائر بغداد سنة ١١٨٠ هـ - ١٧٦٦ م واستولت دجلة عليها وعلى مشهد عون ومعين فمواضعها اليوم في داخل نهر دجلة .

٥- الاتراك والاسلام

كان الاتراك يعيشون في أراضي واسعة جداً وكانوا يدينون بدين (الشامانية) ومتأثرين بأديان اخر (كالبوذية والزردشتية والنصرانية

واليهودية)وغيرها . أما عاداتهم وصفاتهم فيكمن القول بأن هناك بعض الاختلاف في العادات بين زمر الاتراك غير أن اكثريتهم توفرت لديهم الرجولة الكاملة والانسانية الحقة والشفقة على الضعفاء والدفاع عن المبدأ والوطن كما كانوا يجيدون صفة الحرب والفروسية وغيرها من الصفات الحميدة .

ولذا وجد العرب الاتراك أهلا لقبول تعاليم الدين الاسلامي وراغبين في الأنضواء تحت راية الله وذلك لمقاربة عاداتهم لتقاليد الدين الجديد من حيث المبدأ .

وللمثال ندرج ماذكره العلامة الشهير (أبو عثمان عمرو بن محبوب) المعروف (بالجاحظ) في مجموعة رسائله قال (ان خاقان ملك الترك واقف مرة الجنيدبن عبد الرحمن أمير خراسان وقد كان الجنيد هاله أمره وأفزعه شأنه وتعاظمه جموعه وجمعه . وبعل به وبلغ منه وفطن به خاقان وعرف ماقد وقع فيه فارسل اليه (إني لم اقف هذا الموقف وأمسك هذا الامساك وانا اريد مكروهاً أو غلبة ، ولو كنت أريد غلبة أو مكروها لقد كنت انتسفت عسكرك انتسافا أعجلك فيه عن الروية ، وقد أبصرت موضع العورة ولولا ان تعرف هذه المكيدة فتعود على غيري من الاتراك لعرفتك موضع الانتشار والخلل والخطأ في عسكرك وتبعيتك ، وقد بلغني أنك رجل عاقل وأن لك شرفاً في بيتك وفضلا في نفسك وعلماً بدينك ، وقد أحببت أن أسأل عن شيء من احكامكم لاعرف به مذهبكم فاخرج إلي في خاصتك لأخرج اليك وحدي وأسألك عما احتاج اليه بنفسي ولا تحتفل ولا تحترس فليس مثلي من غدر وليس مثلي يؤمن نفسه من نكره وكيده ثم ينكث بوعده ، ونحن قوم لانخدع بالعمل ولا نستحسن بالخديعة إلا في الحرب ولو استقام أمر الحرب بغير خديعة لما جوزنا ذلك بأنفسنا) .

فأبى الجنيد أن يخرج اليه إلا وحده ففصلا من الصفوف وقال الجنيد ـ

(سل عما أحببت فان كان عندي جواب أرضاه أجبتك وإلا اشرت عليك بمن هو أبصر بذلك مني) . قال خاقان ملك الترك — : — ما حكمكم في الزاني ؟

فاجابه الجنيد : — الزاني عندنا رجلان . رجل دفعنا اليه أمرأه تغنيه عن حرم الناس وتكفه عن حرم الجيران — ورجل لم نعطه ذلك ولم نخل بينه وبين أن يفعل ذلك لنفسه ، فاما الذي لازوجة له فانا نجلده مائة جلدة ونحضر ذلك الجماعة من الناس لنشهره ونحذره به ونعرفه في البلدان لنزيد في شهرته وفي التحذير منه وليزجر بذلك كل من كان يهم بمثل عمله . وأماالذي قد اغنياه فانا نرجمه بالجندل حتى نقتله .

قال — حسن جميل وتدبير كبير فما حكمكم فى الذى يقذف عفيفاً بالزنا ؟

فاجابه بـ (نجلده ثمانين ولانقبل له شهادة ولانصدق له حديثاً)

قال — حسن جميل وتدبير كبير . فما حكمكم في السارق ؟

فاجابه — السارق عندنا رجلان . رجل يحتال لما قد احرزه الناس من اموالهم حتى يأخذها بنقب حيطانهم أو بالتسلق من اعالي دورهم فهذا نقطع يده التي سرق بها ونقب بها واعتمد عليها ، ورجل آخر يخيف السبيل ويقطع الطريق ويكايدعلى الاموال ويشهر السلاح فان منعه صاحب المتاع قتله فهذا نقتله او نصلبه على المناهج والطرق .

قال — حسن جميل وتدبير كبير . فما حكمكم في الغاصب المستلب ؟

فاجابه — كل مافيه الشبهة ويجوز فيه الغلطة والوجوه كالغصب والاستلاب والجناية والسرقة لما يؤكل أو يشرب فانا لانقطع فيما فيه شبهة ويحتمل لذلك وجه غير السرقه .

قال — حسن جميل وتدبير كبير — فما حكمكم في القاتل وقاطع الاذن والانف ؟

فاجابه — النفس بالنفس والعين بالعين والأذن بالأذن والانف بالانف وان قتل عشرة رجلا قتلناهم ونقتل القوي البدن بالضعيف البدن وكذلك اليد والرجل.

قال - حسن جميل وتدبير كبير - فما تقولون في الكذاب والنمام ؟ والضراط

فاجابه — عندنا فيهم الاقصاء لهم وابعادهم واهانتهم ولا نقبل شهادتهم ولا نصدق أحكامهم

قال — ما قلت كلاما أشرف من هذا ولقد ألقيت لي فكراً طويلا . (١)

ولدينا مثال آخر هو المجادلة التي جرت بين جنكيزخان - الطاغي المغولي - وبين (القاضي أشرف) ومعه واعظ آخر (٢)

سأل جنكيزخان - ما المسلمون ؟ ولماذا أنتم مسلمون ؟

فاجابته الجماعة : — المسلمون عبيد الله . والله واحد . وليس له مثـــل ولا شريك

جنكيزخان — انا ايضاً اعتقد ان الله واحد

الجماعة — ولله رسل . وهم سفراء الله — أرسلهم ليبينوا أوامره ونواهيه.

جنكيزخان — وهذا مقبول .

الجماعة — ونحن نصلي في خمسة اوقات نعبد الله فيها .

جنكيزخان — وهذا حسن .

الجماعة -- ونصوم شهراً في السنة

جنكيزخان — وهذا حسن أيضاً .

الجماعة — ان لله بيتاً في مكة . فاذا تمكنا من الذهاب اليه فعلينا

جنكيزخان — لا أوافق على هذا فالعالم كله بيت الله فلماذا يخصص به ل معين ؟

ان هذه المجادلة وما مر قبلها خير مثال لما قلنا من أن العادات والتقاليد

---

(١) مجموعة رسائل للجاحظ ص ٤٧ - ٥٠

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين للاستاذ المحامي عباس العزاوي ج ١ ص ١٣٠

التركية كانت متقاربة مع تعاليم الاسلام السامية ، ولذا عشقت أرواح الترك الدين الجديد الدين الاسلامي الحنيف وانضموا الى لوائه رغبة منهم ودخل الترك في صفوف العرب بالفتوحات فقهروا دولا ومماليك وامتدت فتوحاتهم من الصين شرقا الى الاندلس غربا واشرقت الحضارة الاسلامية بنور ربها على وجه الارض وأخذت تزدهر بهم الحضارة والعدل ينشر لوائه ، فكان للاتراك الكلمة المسموعة والهيبة الراعبة كيف لا وهم.

اعتنقوا المبادئ السامية فرفعوا بها لواءهم عالياً وبقوا متمسكين بهذا الدين تمسكا شديداً وشاركوا إخوانهم العرب جنباً الى جنب وجاهدوا وقاتلوا وقتلوا وماتوا واستشهدوا وما بدلوا تبديلا. يقول العلامه الدكتور مصطفى جواد: { لم يأثر التاريخ أنهم كانوا يسرون الكفر بعد إسلامهم ولا يبطنون الزندقة بعد ايمانهم ولا يكرهون العنصر العربي كما كان غيرهم من الامم المغزوة المغلوبة. ومن الثابت في التاريخ والتجارب والحوادث ان الترك من أصبر الامم ان لم يكونوا أصبرها على الحرب وأعلمها بالطعن والضرب وأبرعها في الرمي واستعمال الاوهاق واكثرهم بلاء من الملاحم وقد تنبه الى خصائصهم اديب العرب الكبير (ابو عثمان عمرو بن محبوب الجاحظ (فألف فيها كتابه المشهور. مناقب الترك وعامة جند الخلافة) والف بعده بقرنين (ابو العلاء محمد بن علي) المعروف بأبن حسول (كتاب تفصيل الاتراك على سائر الأخبار ومناقب الحضرة العالية السلطانية) (١)

يقول العالم (ف ـ بارتولي) في كتابه : (٢) كان انتشار الاسلام في بلاد ما وراء النهر بطيئاً بطئاً ظاهراً فقد استجاب جماعة من الاهلين الى دعوة عمر

{١} مجلة الدليل الخفيفة العدد ٢ سنة ١٩٤٦ الدكتور مصطفى جواد .

(٢) الدعوة الى الاسلام لارتولد الترجمة العربية ص١٨٧ ، وتأريخ انتشار الاسلام لابرتولد الترجمة التركية ص ٢٢٣

الثانى (٧١٧ ـ ٧٢٠م) للتدين بالاسلام . وتحول عدد كبير منهم على يد ابى الصيد الذي أخذ في نشر هذه الدعوة بسمرقند فى عهد هشام الثانى (٧٢٤ ـ ٧٤٣ م) ولكن جمهور أهالي هذه البلاد لم يعتنقوا الاسلام حتى عهد المعتصم ٨٣٣ـ٨٤٢م والسبب الظاهر لهذه القضية هو أن الأتراك الذين كانوا قد هاجروا أفواجاً لينضموا الى جند الخليفة كانوا من اهم العوامل التي ساعدت على انتشار الاسلام بين الأتراك . وان تدين جماعة من ملوك ورؤساء عشائر الاتراك جعل عدداً كبيراً من القبائل التي ينتمون اليها تدخل فى الاسلام .

يقو الاستاذ الكبير محمد رضا الشبيبي «عاند الوثنيون والمجوس وحافظوا على وثنيتهم في كثير من الاقاليم المتأخمة لما وراء النهر فى العصر الاموي ، بيد أن القوم سرعان ما تخلوا من الوثنية ودخلوا أفواجاً في دين الاسلام وذلك في اواخر العصر الأول من عصور بني العباس وخصوصاً في عصر المأمون » ، لأن كان الأمويون قد استعملوا سياسة الشدة والجفاء بينما كان العباسيون يستعملون الرفق والمحاسنة في سياستهم في الشرق » . (١) ويقول ايضاً : « كان عدد المسلمين من الترك غير كثير في العصر الأموي ولكن زاد عددهم في أواخر العصر المذكور على ان الأسلام غلب على تلك البلاد في العصر الأول من عصور بني العباس نشأ الاسلام بين الترك فى عصر المأمون ثم في عصر المعتصم وان بدأ في العصر الأموي ويلاحظ ان الاتراك الغربيين أسبق من اخوانهم الشرقيين الى ذلك » (٢)

ان لاسلام « ساتوق بغرخان » مؤسس اسرة ايليخان الأسلامية في « كشغر » لأسطورة عجيبة « رغبة منه طبعاً » ، وهذا مما سبب اسلام رعايا هذا الحاكم على اثره اذ انه فى سنة « ٩٦٠م ـ ٣٤٩ هـ » اعتنق هذا الدين

---

(١) كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي ج ١ ص ١٨٢

(٢) كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي ج١ ص ١٨٢

مائتا ألف « ٢٠٠٠٠٠ » من الأسر التركية التي كانت تعيش في الخيام (١) كما اعتنق عشرة آلاف أسرة تركية من سكنى هضبة التبت الأســـلام في سنة (١٠٤٣ م - ٤٣٥ هـ) (٢)

يقول بارتولد : (كان لدخول الأتراك السلجوقيين في الاسلام اهمية عظيمة وليس لدينا نص نستدل منه على تحولهم الى الاسلام ، الا انه في سنة (٩٥٦ م - ٣٤٥ هـ) هاجر سلجوق مع قبيلته من بلاد تركستان الى بخارى حيث دان هو واتباعه بالاسلام . واصبحوا من المتحمسين له ، وهذا هو أصل الأتراك السلجوقيين المشهورين الذين أحيوا بانتصاراتهم وفتوحاتهم مجد الجيوش الاسلاميه بعد ان خبا ، ووحدوا الممالك الأسلامية في غرب آسيا في امبراطورية واحدة (٣)

يخبرنا الراوندي في كتابه (راحة الصدور) ان الأمام ابا حنيفه هو احد الأئمة الأربعة وصاحب المذهب الحنفي الذي انتشر اكثر من غيره من المذاهب بسعي الأتراك دعا الله في يوم من الأيام أن يوطد اركان مذهبه ويبقيه ، فسمع من عالم الغيب من يقول له (لن يضعف مذهبك ما دام السيف في يد الأتراك) ويعلق الراوندي على تلك العبارة بقوله (ومن يمن الطالع ان السيف في ايديهم الآن - ٥٩٩ هـ - ١٢٠٢ م في بلاد العرب وايران والروم (آسيا الصغرى) وروسيا وقد ازدهرت دراسة الدين والعلوم والتصوف في حمايتهم وخصوصاً في بلاد خراسان وقد محقو الكفر والألحاد . . . والفلسفة والمذاهب المادية والمتعلقة بالتناسخ ولم يبقوا على شيء من سائر المذاهب الا ما وافق طريق الاسلام الصحيح) (٤)

---

(١) الدعوة الى الاسلام ص ١٨٥ و٧٦ تاريخ انتشار الاسلام ص ٢٢٠
(٢) الدعوة الى الاسلام ص ١٨٧ تاريخ انتشار الاسلام ص ٢٣٣
(٣) الدعوة الى الاسلام ص ١٨٨ تاريخ انتشار الاسلام ص ٢٣٣
(٤) تاريخ الأدب في ايران ص ٢١١ النسخة العربيه .

كان من طبائع الأتراك احترام الأديان وتأييداً لذلك ننقل ما قاله بارتولد في كتابه (الدعوة الى الاسلام ص ١٩١) : كان البوذيون النصارى وأئمة المسلمين محل العطف والرعاية في بلاد ما تكوخان (١٢٤٨ ـ ١٢٥٧ م) وقوبيلاي (١٢٥٧ ـ ١٢٩٤ م)[١] كما يصرح ايضاً بأنه (انتشر الدين الاسلامي في القرن الرابع للهجرة في قبائل الترك الراحل وفي قسم من مدن تركستان الصينية بالتجارة وبغير استخدام السلاح) [٢]

لقد خدم الأتراك وشاركوا اخوانهم العرب والمسلمين الآخرين في تأسيس الحضارة الاسلامية ويقول العالم (*LEONKAHON*) لولاهم الاتراك لما علت المدينة الاسلامية هذا العلو ولما انتشرت الى الاقاليم الواسعة كما هى الان) [٣] يقول العلامة المعالى (محمد فؤاد كويرلى) في مقدمة كتاب (تأريخ الحضارة الاسلاميه)[٤] ذاكراً شيئاً عن مشاركة الأتراك في تأسيس الحضارة الاسلامية ما يلي :

(ان عهداً طويلا من تأريخ الترك يقارب ألف عام ، منذ دخول الترك في الاسلام الى (التنظيمات) داخل اطار عام يسمى تأريخ الأسلام وقد دخل الأتراك في جامعة الأمم الأسلامية وعملوا مع العرب والايرانيين وعناصر اسلامية اخرى على ازدهار الحضارة العظمى التي تسمى الحضارة الأسلامية اكثر من ألف عام وأسسوا في ساحات الاسلام المختلفة دولا قائمة على الاستقراطية العسكرية ، وجعلوا في ايديهم قيادة العالم الأسلامي منذ ظهور الدولة السلجوقية الكبرى حتى العصر

---

(١) الدعوة الى الاسلام ص ١٨٨ أريخ انتشار الاسلام ص ٢٢٣ .

(٢) الدعوة الى الاسلام ص ١٩١ .

(٣) تورك تأريخ تونغره سى ـ ١ ص ٢٨٩

(٤) ترجمة حمزه طاهر .

الأخير (١) فمن الطبيعي ألا يفهم تأريخ الأسلام دون معرفة تأريخ الترك الذين أثروا تأثيراً كبيراً مستمراً في شؤون العالم كله وفي العالم الأسلامي خاصة ، كما أنه من الطبيعي أيضاً الا يمكن فهم تأريخ الترك في القرون الوسطى من غير ادخاله في اطار تأريخ العالم الأسلامي . وقد اصبح معروفاً اليوم أنه لا يمكن البحث في تأريخ من التواريخ القومية دون أن يوضع في مكانه الطبيعي من التأريخ العالم . فاذا تركنا جانب ما أحرزه التأريخ ولا يزال يحرزه من الخطورة في التربية القومية فانما يقاس قيمة كل تأريخ قومي وخطورته بعظمة تأثيره المادي والادبي ودوامها في اطار التأريخ العام. واذا لم نبلغ هذا الحد من فهمنا للتأريخ التركي *Synihetique* فاذا درس تاريخ كل أمة ضمن دائرة ثقافاتها التي تتصل بها ضرورة لاشك فيها فليس ضرورة علمية حسب بل من الضرورات القومية أيضاً أن يبحث الأتراك الدين أمضوا ألف عام من تأريخهم في دائرة ثقافة تأريخ الاسلام في الشرق الأدنى ، وكان لهم شأن عظيم فيها – وأن من هذه الثقافة بحثاً جديراً بهـــا . وتبدوه هذه الضرورة في درس تأريخ الفكر والفن ، وتأريخ الشريعة وتأريخ الدين ، أو بكلمة واحدة ، تبدو في جميع شعب التأريخ الاجتماعي . وكما انه لا يكون من معرفة تأريخ التشريع الأسلامي معرفة نظرية وعلمية لدرس تأريخ شرائع الأتراك المسلمين ، تأريخ المؤسسات المشابهة لها عند العرب والايرانيين ، وبهذه الصورة يتضح أنه لا يمكن فهم المسائل التشريعية الخاصة بأمة منها فهماً حقيقياً من غير فهم تأريخ تكامل التشريع بدراسة موازنه لشرائع تلك الأمم الثلاث الداخلة ضمن دائرة ثقافة واحدة . ومع أن لكل أمة من الأمم الداخلة ضمن الثقافة الأسلاميه ماضيها وتقاليدها الخاصة بها قبل الاسلام ، وعبقريات نشأت

---

(١) يستثنى من ذلك عهد استيفاظ الدولة العباسية بين سنة ٥٤٧ وسنة ٦٢٢ الدكتور مصطفى جواد .

من البيئات الجغرافية والحضارات القطرية ، كان لها ميزات عامة نشأت من اجماعها في دائرة ثقافة واحدة (وتأريخ مشترك) . انتهى)

لم تنحصر خدمة الأتراك فى صنعة الحرب فقط بل تعدتها الى خدمات مختلفة فنشأ منهم حال خدموا العالم الأسلامي والبشرية جماء خدمات ويعترف بفضلهم الخاص والعام منهم : ـ

الفارابي : ـ

هو (ابو نصر محمد بن محمد أوزلغ بن طر خان) وينتسب الى (فاراب) من اعمال بلاد التركستان فى ما وراء النهر .

وقد اقام مدة من الزمن ببغداد ثم ارتحل الى الشام وأقام بها ردحاً طويلا من حياته ثم توفى في دمشق عام ٣٣٩ هـ ـ ٩٥٠ م عن نحو ثمانين عاماً . ترك الفارابي من الكتب الخاصة بالفلسفة وفروعها عدداً كبيراً من المؤلفات وعنى بالأخلاص والسياسة والموسيقى والمنطق حتى أصبح أوحد زمانه في العلوم بل (فيلسوف المسلمين غير مدافع) كما يقول صاعد الأندلسى في كتابه طبقات الأمم . (١)

ويذكر ابن خلكان « أن اعظم فلاسفة الأسلام الأول هو الفارابي وأنه يرجع الى أصل تركي » . (٢)

وكان من أبرز فلاسفة المسلمين فى الاختلاف والعقل والخير . والحقيقة التي يجب أن تقال هي أن « الفارابي » خدم الاسلام والمسلمين خدمة صادقة كما وصفه المرحوم أحمد أمين :

---

(١) تاريخ الاخلاق ص ١٧٤ لمحمد يوسف موسى

(٢) تراث الاسلام ج١ ص ٢٦١

« نبوغ الفارابى من بين الاتراك مفخرة كبيرة لهم فقد عنى بفلسفة أرسطو وأخرجها للمسلمين بشكل جديد . فظهوره من الترك رجح كفتهم وكانت شائلة وأثقل ميزانهم وكان خفيفاً » يقول ايضاً (استاذ كل فيلسوف اسلامى بعـــده) (١)

ابن سينا : ـ

ابو علي الحسين بن عبدالله بن سينا ٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م .

انحدر من أسرة نشأت في (بلخ) وانتقلت الى بخارى (٢) وقام بخدمة الملوك السامانيين في بخارى والأمراء البويهيين في همذان واصفهان وكان وزيراً لأحدهم مدة . تلقى القرآن والآداب فى صباه على أستاذه فى قريته . ودرس العلوم الرياضية والطبيعية والفقه على مذهب الأمام أبي حنيفة النعمان وكان أبوه وأخوه قد انتقلا من الحنفيـــة الى الاسماعيلية بسبب لدعاة الاسماعيلية الذين كانوا يقدمون الى بخارى فى ذلك العهد . ولكنه بقى على مذهبه الحنفي بالفروع . وأتم دراسة جميع العلوم ومنها الطب في الثامنة عشرة من عمره . وكان الطب أسهل العلوم عنده . واستصعب ابن سينا ما وراء طبيعة أرسطو ، ولم يقدر على حل معضلات هذا العلم الكثيرة الا بعناء كبير ، مستعيناً بكتاب للفارابي وجده في السوق اتفاقاً . وفتحت له معلوماته الطبية طريقاً الى قصر ملك الدولة السامانية ثم الى دار كتب القصر الغنية . وفي أواخر القرن الرابع غادر ابن سينا بخارى خوفاً من الاضطهاد ، وانتقل أولا الى (خوارزم) ثم انتقل الى الأقاليم انواقعة على ساحل بحر الخزر وايران الغربية . والى علمه بالطب يرجع الفضل في اتصاله بالأمراء البويهيين . ولابن سينا مؤلفات كثيرة

---

(١) ظهر الاسلام ج ١ ص ٤٥

(٢) تراث الاسلام ج ١ ص٢٦٤

إذا بن سينا اكتسب شهرة عظيمة في العالم الاسلامي ثم في اوروبا فيما بعد ذلك بفضل علمه وخدماته وتآليفه كالقانون في الطب (١).

اسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى

نبغ من الأتراك في القرن الرابع ﴿ اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابى ﴾ أيضاً وكان نابغة زمانه، كان إماماً في علم اللغة والأدب والعروض، كما كان يضرب به المثل في جودة الخط. أخذ علم العربية عن أشهر علماء العراق، مثل أبي علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافي، ثم سافر الى الحجاز فأخذ اللغة عن أهلها بالسماع والمشافهة وطوف في بلاد ربيعة ومضر، وحقق ما يشك فيه مما يرويه العلماء، ولما استكمل دراسته وضع في اللغة كتابه ﴿ الصحاح ﴾ الذي يعد من أسس كتب اللغة. وكما اجتهد في تصحيح الألفاظ وضبطها كان له الفضل في اختراع الطريقة التي ألف عليها كتابه، وحذا حذوه فيها صاحب القاموس ولسان العرب وغيرها. وكانت كتب اللغة قبله ترتب ترتيباً مهوشا. وقد مات في حدود سنة ٤٠٠ هـ (٢).

ابو بكر محمد يحيي الصولى

رجل من الأتراك من سلالة ملك من ملوك جرجان. كان الصولي عالماً بفنون الأدب، حسن المعرفة بآداب الملوك واسع الاطلاع، كان ألعب اهل زمانه بالشطرنج حتى لقب بالشطرنجي وضرب به المثل. واتخذه الخليفة (الراضي بالله) نديماً ومعلماً. ثم (المقتدر بالله). له مصنفات كثيرة توفي في ٣٣٥ هـ (٣).

---

(١) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٧٦.

(٢) ظهر الاسلام ج ١ ص ٤٧ و ٤٨ لأحمد أمين

(٣) ادب الكتاب للصولى.

الفتح بن خاقان

ومن البارزين الأتراك في الدولة العباسية الفتح بن خاقان كان من أولاد الملوك وكان عالماً واديباً وكانت له خزانة كتب لم ير أعظم منها كثرة وحسناً، كان يحضر داره فصحاء العرب وعلماء الكوفة والبصرة، وكان يجيد الشعر، واتخذه الخليفة المتوكل أخاً ووزيراً . وكان يقدمه على جميع أولاده، قتل مع المتوكل في سنة ٢٤٧ هـ (١) .

ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري

هو من عظماء المحدثين في الاسلام ومن مؤلفاته القيمة في الحديث جامع لأحاديث المعروف «بصحيح البخاري» الشريف . خدمته للعالم الاسلامي عظيمة جداً توفي سنة ٢٥٦ هـ . وقيل انه فارسي الأصل ولا شك فى أن المناطق الحدودية بين الاتراك والفرس تشتبه وتشتبك فيها الانساب .

الزمخشري

هو العلامة ابوالقاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ولد في سنة ٤٦٧ هـ (بزمخشر) قرية من قرى خوارزم، قال ابن خلكان « كان أمام عصره غير مدافع » له تصانيف كثيرة خدم الاسلام والعرب بتصانيفه ومن أهمها « اساس البلاغة في اللغة » « جواهر اللغة، والمفصل والانموذج » في النحو « شرح كتاب سيبويه، صميم العربية » و « الكشاف » في تفسير القرآن الكريم و « الفائق » في الأحاديث و (المستقصى) في الأمثال وكان يلقب « العلامة » لكثرة علومه . وله « ديوان شعر » وغيرها من الكتب التي تغذي

---

(١) « ظهر الاسلام » ج ١ ص٤٦ .

العقل بشتى العلوم . توفي ٥٣٨ ﻫ بجرجان [١] .

محمد بهاء الدين النقشبندي

هو من أبرز المفكرين والمتصوفين الاسلام ولد في احدى قرى (بخارى) وسلك سلوك التصوف وبرز فأسس طريقة سميت بالطريقة (النقشبندية) ولا يزال الملايين من مريديه منتشرين فى جميع أنحاء البلاد الاسلامية ، توفي فى ٧٩٢ ﻫ وله من المؤلفات (دليل العاشقين) (حياتنامه) .

جلال الدين الرومي (١٢٠٧ﻫ - ١٢٧٣ ﻫ)

هو ابن (بهاء الدين ولد) الملقب بسلطان العلماء تركي الأصل وهو من سلالة « خوارزمشاه » جاء أبوه الى (قونيـة) بأنضول [٢] وهو مؤسس الطريقة المولوية . وله كتابه « المثنوي » المشهور . ومن نصائحه لأصحابه [٣]

أوصيكم بتقوى الله في السر والعلانية وبقلة الطعام

وقلة الكلام وهجران المعاصي والاثام ومواظبة الصيام ودوام القيام .

وترك الشهوات على الدوام واحتمال الجفا من جميع الانام .

وترك مجالسة السفهاء والعوام وملازمة مصاحبة الصالحين الكرام .

وان خير الناس من ينفع الناس ، وخير الكلام ما قل ودل .

يقول أحمد امين : اخذت طائفة من الاتراك يتعلمون اللغة العربية والدين وربما كان خير مثل لتعلم الطبقة الممتازة من الاتراك ما كان من « احمد بن طولون » [٤] وهو الذي اسس الدولة الطولونية في مصر .

---

(١) { عقود الجوهر من تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فمائة فأكثر } ص٢٩٤

(٢) { تورك مشهور لرى } ص٧٩ ابراهيم علاء الدين

(٣) { مخزن العلوم } القسم الأول ص ٢٣٢

(٤) { ظهر الاسلام } ج ٢ ص ٤٥ .

كما برز من الاتراك علماء كثيرين ولضيق المجـــال نشير الى اسمائهم فقط (١).

ابوالليث السمرقندي ، مولانا الشيخ علي السمرقندي ، ابو حفص عمر بن اسحاق بن أحمد الغزنوي . وغيرهم كانوا من المفسرين .

ومن عظماء المحدثين الاتراك :ـ

محمد بن عيسى الترمذي ـ من ترمذ ومن مؤلفاته ، صحيح الترمذي . وفاته ٢٧٩ هـ — ابراهيم سكستاني ـ من قرى سمرقند — اسماعيل بن مسلم شكاني ـ من قرى بخارى . وفاته ٣٢٠ هـ .

ومن عظماء المتكلمين الاتراك :ـ

مولانا بقاني خوارزمي ـ له تآليف كثيرة وفاته ٥٦٢ هـ — سراج الدين علي بن عثمان الأوشي الفرغاني ـ من آثاره المشهورة القصيدة البائية التي مطلعها : يقول العبد في بدء الأمالي — مولانا عبدالله بن مسعود بخارى ـ من آثاره : كتاب تنقيح الأصول ، وفاته سنة ٧٢٢ هـ . وغيرهم .

ومن الاتراك من برز في العلوم الادبية :ـ

ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى ـ وقد ذكرناه آنفاً — العلامـــة محمود الغزنوي ـ صاحب كتاب روضة العارفـــين — أبو عبدالله محمد بن علي الترمذي ـ من مؤلفاته : النهج ، نوادر الاصول — أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي ـ وهو خال الجوهري عالم فى اللغة ومن مؤلفاته : ديوان الادب ، وشرحه لكتاب أدب الكاتب — ابو محمـــد الخوارزمي ـ له : مجموعة رسائل .

---

(١) كتب بروسه لى محمد طاهر رفعت

ومن أعاظم حكماء واطباء الاتراك :

« الفارابي وابن سينا » وقد قدمنا تراجمهما في محل آخر من هذا البحث.
« بدرالدين السمرقندي ـ من مشاهير اطباء الاسلام له كتاب الأقرباذين » .
« نجيب الدين أبو حامد السمرقندي ـ من مشاهير أطباء الاسلام من آثاره : كتاب الاسباب والعلامات ، كتاب الاقرباذين الكبير » وغيرهم .

ومن الاتراك من اشتهر في علوم الرياضيات والفلك : ـ

« محمد بن موسى الخوارزمي ـ من آثاره كتاب الفخري في علم الرياضيات والسند والهند ، والحكمة الداخلة . كان من علماء عصر الخليفة المأمون » « احمد بن كثير الفرغاني ـ من مؤلفاته : كتاب الحركات السماوية . جوامع النجوم . إنه من علماء عصر الخليفة المأمون » (شمس الدين السمرقندى . من علماء الاسلام الرياضيين له كتاب ، أشكال التأسيس . وفاته سنة ٦٠٠ هـ) . « عبدالله بن سهل الفرغاني ـ من مشاهير علماء عصر الخليفة المأمون » . وغيرهم .

ومن الاتراك من أشتهر في التاريخ والجغرافية : —

(غياث الدين محمد خوندمير . من مؤرخي ماوراء النهر . ومن آثاره خلاصة الأخبار غرائب الاسرار . جواهر الأخبار . مآثر الملوك وغيرها) .
(صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي مؤلف الوافي بالوفيات وغيره من كتب التأريخ العظيمة .) (أبو المحاسن يوسف بن تغري يردي (طنكري وردي) مؤلف النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة وغيره من التواريخ الواسعة النفيسه) . (محمد الفرغاني من مشاهير مؤرخي الأسلام له ذيل كتاب تأريخ الطبري) .

ان الحركة الفكرية في الاسلام قد زادت بوجود الأتراك المسلمين أيضاً

وأول مدرسة اسست والتى سميت بمدرسة الحركة العقلية قد أسسها (واصل بن عطا الغزالى) (٨٠ ـ ١٣١ ه) وسمي أتباعه بالمعتزلة ومن بعده وضع أساس هذه الحركة (عمرو بن عبيد بن باب «١») (٨٠ ـ ١٤٤ ه) يقول المدرس (شمس الدين) إنه تركي (٢) كما يقول مؤلف (كتاب المعتزلة) إنه مولى . وكان من (سبي كابل) (٣) كما ان (أبا الهذيل العلاف) (١٣٥ ـ ٢٢٦ ه) ، مولى عبد القيس هو شيخ المعتزلة البصرية كان من الاتراك وبهذه المناسبة نود درج ما قال المستشرق بروفسور بارتولد : (كان مذهب المعتزلة متأصلا في بلاد الخوارزم . اذا نتأكد من ذلك علينا ان ننظر الى تلك البلاد بعد استيلاء المغول حيث نجد ان المعتزلة حافظت على كيانها بعين عنعنات المدنية بعد تلك الاستيلاء) . (٤)

ومهما كانت الأحوال في البلدان التى دخلت تحت حوزة المغول ومهما يكن القول فيهم فأن المسؤولين منهم كانوا يحبون العلم ، فيقول العالم (ف ـ بارتولد) (ولاشك في أن ملوك المغول لم يعنوا بالآداب المحلية ولم يبالوا بالعلوم الدينية بالطبع قبل اعتناقهم الأسلام . ولكنهم اجتهدوا لأنهاض حياة المدن وترقية الصناعة والتجارة مراعين في ذلك منافعهم الخاصة ـ وقاموا بحماية العلوم ذات الخطورة العمليه الخاصة كالطب والرياضة والهيئة . وقد أنشأ (هولاكو) للعالم الفلكي (نصير الدين الطوسي) ، مرصداً في (المراغة) باذربيجان مجهزاً بأرق الاجهزة المعروفة في زمانه(٥) « وبها من كتب بغداد شيء كثير »«٦» كالقب

«١» ان كلمة باب المعروفة في اللغة العربية بمعناها الظاهر يستعمل في تركستان تطلق على مشردين الاسلامي ـ اورته آسيا تورك تاريخي حقنده درسلر ص ١٧٩ لبارتولد

(٢) « تورك تأريخ تونغ...مي » ج ١ ص ٣٨٩

(٣) ص ١١٥

(٤) اورته آسيا تورك تاريخي درسلري ص ١٣١ بارتولد

(٥) « تاريخ الحضارة الاسلامية » ص ٩٥ ، ٩٦

(٦) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك » ج ١ قسم ٢ ص ٤٢٢

وقبل أن نختم هذا البحث نورد أن نعيد ماقاله بعض العلماء المعاصرين :

قال العالم الجليل المرحوم أحمد أمين بحق الاتراك : ـ

فلئن كان اكثر العنصر التركي في المملكة الاسلامية إنما يمتاز بالجندية والخشونة مع ضعف الثقافة . لقد نبغ منهم علماء في فروع مختلفة حصلوا ما كان من الثقافة في عصرهم ، وابتكروا بعقولهم«١»

ويقول بارتولد (ولاشك فى أنه يمكن أن يقال إن اعمال الحضارة التي بدأها العرب والفرس ، قد أدامها الترك بقواهم الناشئة : فامدوا الحضارة الاسلامية بحياة جديدة) (٢)

وقال ايضاً « فقد قام العرب والايرانيون بعمل ما استطاعوا عمله خير قيام . ولا يجوز مطلقاً أن يقال إن الأتراك لم يبدعوا شيئاً) ،(وكان العثمانيون في القرن العاشر الهجري (١٦ م) لايتأخرون عن الاوربيين في شيء من فنون الحرب)(٣) » ولا ينبغي أن يظن ان العالم الاسلام قد مني بعد القرن التاسع الهجري بانحطاط وأنه لم يستطع أن يقدم للحضارة شيئاً جديداً ، فتركيا لم تكتف بشهرتها العسكرية في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين بل صارت استانبول إحدى مراكز الحضارة الكبرى للعالم الأسلامي«٤»

ونختم هذا البحث يقول الفيلسوف جان جاك روسو وهو يخاطب الشعب الفرنسي ، يحثهم بالتمسك بالاخلاق التي كان عليها الشعب التركي وبالحرى الشعوب الاسلامية حيث يقول :«٥»

---

(١) ظهر الاسلام ج١ ص١٨

(٢) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٠٤

(٣) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢١٤ ، ١١٥ .

(٤) تاريخ الحضارة الأسلامية ص ١١٨ .

(٥) كتاب أميل ص ٢٣٧ النسخة التركية .

لماذا يكون الأتراك بوجه عام متصفين بصفات انسانية أحسن من الصفات التى نتصف بها نحن . ويكونون اكثر اكراماً للضيف منا ؟ . ذلك لانهم يرون عظمة الافراد وسعادتهم كالظل زائلة ، كما يميلون الى معاونة المصابين بالكوارث لأنهم يفكرون دائماً في احتمال اصابتهم بنفس العواقب غداً .

الفصل الثانى

العراق وتركيا في التأريخ

١ـ علاقة الأتراك بالعراق اثناء الفتوحات الاسلامية في الشرق

٢ـ تأثير الأتراك فى تشكيل الدولة العباسية ٣ـ الأتراك فى

مدينتي بغداد وسامراء منذ تأسيسهما ٤ـ دخول

الأتراك العراق مع البويهيين وقبيلهم ٥ـ دخول

الأتراك الى العراق مع السلجوقيين وقبيلهم

٦ـ الامارات التركية في العراق

٧ـ دخول الأتراك الى العراق

قبيل المغول وبعدهم

◎◎

١ ـ علاقة الاتراك بالعراق

فى اثناء الفتوحات الاسلامية فى الشرق

(فى زمن الخلفاء الراشدين والدولة الاموية)

إن علاقة الأتراك بالعراق في دور الاسلام تبدأ في عام « ٥٤ هـ ـ ٦٧٣م »

في ذلك التأريخ أرسل القائد العربي عبيدالله بن زياد ﴿ ألفين ﴾ [١] من شباب الاتراك البخارية الى البصرة [٢] فأسكنهم البصرة وجعلهم في العطاء ومنحهم الارزاق [٣] وكلهم ممن يجيدون النضال والرمي بالنشاب كما في « مقاتل الطالبين ص ١٤١ » للدفاع عن الميناء الاسلامي في البصرة . وفي الوقت نفسه كانوا يدربون شباب العرب العراقيين الحضريين على كيفية استعمال الرمي عن القوس . وأراد عبيدالله أيضاً ابعادهم عن ساحة الحرب . وجاء في كتاب «عيون الاخبار» ص ١٣٣ أنه « استعملهم في اخضاع جماعة من المتمردين من العرب في اليمامة » [٤] وكان هذا أول دخول جماعة من الاتراك العراق في الاسلام ، واليهم نسبت سكة من سكك البصرة وهي « سكة البخارية » كما في معجم البلدان .

وقد جاء في كتاب ﴿ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ﴾ ص ٧٢ « كان هؤلاء البخارية ، كما يسميهم العرب ، ينتسبون اليه ـ ابن زياد ـ إلا أن علاقتهم به ترجع الى صفته الرسمية اكثر ما ترجع الى صفته الشخصية إذ أنهم رفضوا ان يدافعوا عنه عندما قام البصريون عليه بعد موت يزيد » . ثم نقل الحجاج جماعة منهم الى « واسط » لقد كون البخارية وحدة جنسية متميزة غير أنه ليست لدينا أخبار عن تنظيماتهم الداخلية » . وقد سماهم ابو الفرج الاصفهاني في « مقاتل الطالبين» « الصغانية » .

ثم بعد ذلك أخذوا يتوافدون بالتدريج الى العراق ويعملون في شتى الأعمال السياسية والاقتصادية والزراعية الخ ... كما أن الدولة الأموية استخدمت الأتراك

---

(١) يقول الهمداني انهم أربعة آلاف التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ٧٢ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك الطبري ج ٤ ص ٢٣١

(٣) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ٧٣

(٤) التنظيمات الاجتماعية والأقتصادية في البصرة ص ٧٢

في جيشها (١) وذكر المؤرخ الشهير الطبري عندما استسلم يزيد بن هبيرة بمدينة « واسط » الى جعفر المنصور سنة «١٣٢ هـ» بعد حصار دام عدة أشهر كان معه ألف وثلاثمائة رجل من الجنود البخاريين (٢)

٢ - تأثير الاتراك فى تشكيل الدولة العباسية

بعد مقتل سيدنا (الحسين بن علي) « رضى » انتقلت الامامة على حسب مذهب من المذاهب الى « محمــد بن الحنفية » ثم أوصى ابن الحنيفية الى ابنه (ابى هاشم) بعد أن وافاه الأجل وكان أبوهاشم عند رجوعه من زياره (سليمان بن عبد الملك) من خلفاء الدولة الأموية - سقي في الطريق شرابا مسموماً بأمر « فلما استقر الشراب بجوفه قال لأصحابه إني ميت . ميلوا بى الى ابن عمي » فاسرعوا حتى أتو «الحميمة» وبها « محمد بن على بن عبدالله بن العباس » فنزل عليه وقال يا ابن عمي اني ميت وقد صرت اليك وأنت صاحب هذا الأمر وولدك القائم به ثم أخوه من بعده والله ليتمن الله هذا الامر حتى تخرج الرايات السود من قعر «خراسان» ثم ليغلبن ما بين حضرموت وأقصى افريقية وما بين غان واقصى فرغانة (٣) ومات ابو هاشم وقام محمد بن علي بالامر من بعده .

ومن خطبة محمد بن علي نجد أن أملهم كان على أتباعهم الذين سيظهرون من الشرق (٤) اما كلام ابنه عندما ورث الامامة فهو « اما الكوفة وسوادها

---

(١) للدكتور مصطفى جواد مجلة الدليل العدد ٢ السنة الأولى ١٩٤٦م

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٩ ص١٤٤

(٣) (العقد الفريد) ج ٢ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧

(٤) (تاريخ الامم والملوك) للطبري ج ٦ ص ٧٨

فشيعة علي ، واما البصرة فعثمانية تدين بالكف ، واما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في اخلاق النصاري ، اما مكة والمدينة فقد غلب عليهم ابو بكر وعمر ولكن عليكم بخراسان فان هنالك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الاهواء ، ولم تتوزعها النحل ولم يقدح فيها فساد ، وهم جندهم ابدان واجسام ، ومنا كب وكواهل ، وهامات ، ولحى وشوارب واصوات هائلة ولغات ضخمة تخرج من أجسام منكرة وبعد فاني أتفاءل بالمشرق [١] والى مطلع سراج الدنيا ، ومصباح الخلق » [٢] ان الجيش الذي فتح العراق على اثر انقراض الدولة الاموية هو جيش « ابو مسلم الخراساني » الذي كان ذوو اغلبيته من الجنود الاتراك والخراسانيين . ويقول المؤرخ العراقي الكبير الدكتور مصطفى جواد :-

« وكما اجتذب قواد من بني امية الاتراك وجنودهم كذلك اجتذبهم بني العباس فقد كانت دعاتهم بلغت بلاد الترك وأثاروهم على بنى امية واستنهضوهم داعين الى عيش رغيد جديد واحياء العدل والسنة ودفع ظلم بني امية عنهم والانتصار لأهل البيت . فتوافت اليهم جموع غفيرة من الاتراك

---

(١) وصف شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي اقليم المشرق في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم كما يلي : اقليم المشرق : ملكه اجل الملوك وجنده خير الجنود قوم ألو بأس كما كتب الى عمر لباسهم الحديد واكلهم القديد وشرابهم الجليد . ترى به . . ديناً مستقيما وعدلا مقيما من دولة ابداً منصورة مؤيدة ومملكة جمعها الله عليهم مؤبدة . . وعلك فى غيره من كان فيه ملوك ، هو سد الترك وترس الغز وهول الروم مفخر المسلمين ومعدن الراسخين ومنعش الحرمين وصاحب الجانبين . . وقد جعله أبو زيد ثلاثة اقاليم حراسان وسجستان ، وما وراء النهر ، اما نحن فجعلناه واحداً ذا جانبين يفصل بينهما جيحون .

(٢) المقدسي في أحسن تقاسيم في معرفة الاقاليم تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٢ ومجموعة رسائل الجاحظ .

من طامع في مال وراغب في تبديله حال ومتطوع يظن طاعته لوجه الله (١)

وهكذا دخل العراق فوج الاتراك ليعملوا تحت الراية السوداء العباسية ثم ان أولاد العباس لم يهملوا تقوية جيشهم منذ البدء كما يخبرنا «ابن خرداذبه» في كتابه «المسالك والممالك» وذلك أن والي خراسان «عبدالله بن طاهر» كان يرسل الى العراق ألفي تركي سنوياً من تركستان وذلك على حسب الاوامر الصادرة له من الخليفة. يقول: «السيوطي»: «أول من أتخذ الاتراك واستعملهم على الاعمال (٢) وترك العرب «المنصور». (٣)

قال السخاوي في القناعه مسند الحاكم صاحب الصحيح في مستدركه الى محمد ابن يحيى ابن ابى بكر الصولي قال: أول من مدح الترك من شعراء العباسى على بن عباس الرومي حيث قال (٤)

اذا ثبتوا فسد من حديد تخال عيوننا فيه تحار

---

(١) مجلة الدليل العدد ٢ للدكتور مصطفى جواد

(٢) لقد ورد هذا البيان التالى عن الاتراك في مخطوط الفارسي:

من المعلوم الشائع ان جميع الاجناس والطبقات، تكون مكرمة محترمة وهي مقيمة بين ظهراني شعبها وفي بلادنا الخاصة لكنهم عندما يغادرون بلادهم يصبحون تعساء اذلاء والترك على نقيض ذلك، فانهم يكونون بين بنى جلدتهم، يكونوا مجرد قبيلة من القبائل كثيرة ولا يستمتعون باي قوة أو منزلة خاصة ولكنهم عندما يغادرون موطنهم الى دولة محمدية ـ زادت قيمتهم رفعة وتقديرهم سمواً ـ يصبحون أمراء وقادة للجيوش. ولم يحدث منذ ايام آدم حتى العصر الحاضر ان اصبح مملوك ملكاً قط الا بين الاتراك ومن اقوال افر اسيات ـ الذي كان ملكاً على الترك وكان خارقاً للعادة في حكمته وعلمه ـ قوله: التركي أشبه شيء بلؤلؤة في صدفتها تحت اطباق العباب لاتصبح ثمينة القدر حتى تغادر البحر وتزين تيجان الملوك وآذان الغواني. معالم تاريخ الانسانية ج٣ ص٧٤٣ ولز

(٣) الوسائل الى مسامرات الأوائل ص١٠٢ لجلال الدين السيوطي

(٤) كتاب الاشاعة لاشراط الساعة مخطوط لمحمد بن عبد الرسول عبد السيد العلوي الحسيني البرزنجي

وإن برزوا فنيران تلظى على الاعداء يضرمها استعار

وفي سنة «١٣٨ هـ - ٧٩٥ م» ألف والي خراسان الفضل بن يحيى البرمكي جيشاً من خمسمائة الف رجل أرسل منه عشرين ألفاً الى العراق «١» وهذا اكبر دليل على أن الخليفة هارون الرشيد وغيره من الخلفاء كانوا يقوون جيوشهم بالأتراك . يقول محمد رضا الشبيبي أقبل اتراك ما وراء النهر أتراك الصفد والشاش وأشروسينة والصغانيات وفي مقدمتهم ملوكهم وامراؤهم واشهرهم كاوس وابنه حيدر المعروف بالافشين وامثالهم على الاسلام ما ازدحمت وفودهم على باب المأمون أمير خراسان «٢»

إن جيش المأمون الذي أرسله لفتح بغداد على اخيه الأمين بقيادة طاهر بن الحسين كان من جند خراسان والترك وخاصة من ابرز شجعان البخاريين والخوارزميين وتمكن المأمون بهذا الجيش من الاستيلاء على بغداد «٣» هذا واذا تصفحنا تأريخ امبراطورية العباسيين نجد أن الاتراك لهم الفضل الأكبر في تأسيسها نظراً لما قاموا به من ادوار مهمة في بنائها وانقراضها وهذا ما يثبته قول العلامة الدكتور مصطفى جواد اذ يقول :

أما كون الخلفاء ضعفاء النفوس والادارة فلم يكن ذنباً للاتراك فالضعيف مغلوب لامحالة ، والواهن متروك القول ممضي الامر «٤» يعنى الخلفاء الذين أسندوا امورهم الى الأتراك عجزاً منهم .

الدور الأول للأتراك في العراق منذ تأسيس الدولة العباسية حتى دور بني بويه كانوا فيه مخالطين الشعب العراقي ببغداد وسامراء وغيرها وسميت

«١» تاريخ الامم والملوك ج٦ ص ٤١٦ للطبري

«٢» كتاب مؤرخ العراق ابن فوطي ج ١ ص ٢٨٧

«٣» تاريخ الامم والملوك جلد ٧ ص ٣ - ٦

«٤» مجلة الدليل عدد ٢ للدكتور مصطفى جواد

بأسمائهم القرى والمقاطعات كالايتاخية على القاطول الكسروي المنسوبة الى القائد ايتاخ والظاهر انهم خالطوا الشعب مخالطة تامة فى المعاملة والمعيشة والمصاهرة فقد صار العرب الذين ينظرون الى هؤلاء الموالي دونهم مرتبة وشرفاً يستجيزون أن يتزوج الاتراك من بناتهم بعد أن كانوا اخوالهم حسباً وبقى الاتراك في العراق على عزهم وقبضهم على زمام الامور ونشأ فيهم من سمت همته الى تأسيس مملكة كاحمد بن طولون فانه خرج من سامراء وأسس فى مصر الدولة الطولونية. والوزير الفتح بن خاقان وهو من الاتراك أيضاً ، وكان وزيراً لأشد الناس عروبة عند جماعة من المؤرخين وقتل الأتراك الخليفة المتوكل على الله مع وزيره هذا ولو كان غيرهم مكانهم قتلوه أيضاً لأن الضعيف مأكول لامحالة(١)

٣ — الاتراك فى مدينتى بغداد وسامراء

منذ تأسيسهما

أن الأتراك أخذوا موقعهم في عاصمة الدولة العباسية الجديدة مدينة بغداد العظيمة منذ تأسيسها سنة ١٤٥ هـ ـ ٧٩٢ م ولهم الفضل الاكبر على أغلب خلفاء العباسيين ودوام ملكهم وعزهم وكان بمدينة بغداد ربض في محلة الحربية معروف بربض الخوارزمية(٢) والخليفة المنصور قد خصص ذلك بجنده الأتراك من بلاد خوارزم .

واذا لاحظنا تأريخ مدينة بغداد نجد أن حوادث الاتراك قد شغلت صفحات وافرة من تأريخها وأن المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك وزير

---

(١) مجلة الدليل عدد٢

(٢) بغداد في عهد الخلافة العباسية ص١١٥ غى استرانج

السلطان آلب آرسلان وملكشاه السلجوقيين في سنة ٤٥٧ هـ ١٠٦٥ م من اعظم مدارس زمانها . ومدرسة الامام أبي حنيفة بناها أبو سعد الخوارزمي التركي للحنفية قبل المدرسة النظامية بأشهر قليلة ثم ان المدرسة الموفقية ومدرسة الخاتون السلجوقية والمدرسة الغياثية والمدرسة المغيثية والمدرسة التتشية ومدرسة جامع السلطان ومدرسة زيرك بسوق العميد كلها كانت من تأسيس الأتراك ببغداد (١) وبمرور الأيام ضاقت بغداد على جيش المعتصم ففكر في تأسيس عاصمة جديدة له ولجيشه . فبنى مدينة سامراء المشهورة في سنة (٢٢١ هـ) وأسكن أمراء جيشه مع تابعيهم كان كل واحد في محل خاص . فأسكن (الأفشين) مع تابعيه من الاتراك (الاشروسنية) في محل يسمى (المطيرة) (٢) وأسكن الامير التركي (اشناس) مع تابعيه في « كرخ سامراء » (٣) وجاورهم في السكنى أتراك « فرغانة » في « العمري والجسر » كما ذكرنا سابقاً . وأسكن جماعة من امراء الاتراك كـ (بغا الكبير ، بغا الصغير ، وصيف ، ايتاخ مع تابعيهم)على شارع ابي أحمد وسميت شوارع المدينة وأقطاعها بأسماء أمراء الأتراك وأسكن على طرفي شارع برغامش التركي أتراك فرغانة وخزر وتركستان وأسست فى كل مقاطعة أسواق تجارية ومساجد وحمامات ومرافق أخرى (٤) كما أن الخليفة المعتصم منع الأتراك من الاختلاط بسائر الأقوام حفظاً على صفاتهم الحميدة كما ذكرنا سابقاً .

---

(١) الدكتور مصطفى جواد فى المرجع المذكور غير مرة
(٢) مروج الذهب ج٢ ص ٣٥٠
(٣) معجم البلدان لليعقوبي ج٥ ص١٥ .
(٤) كتاب ري سامراء ج١ ص٥٧ ـ ٦٦ .

٤ ـ دخول الاتراك العراق

مع البويهيين وقبيلهم :ـ

دخل جيش معز الدولة البويهي بغداد في ١١ جمادي الاولى سنة ٣٣٤ هـ ٩٤٥م وقد سبقه الاتراك إلى دخول العراق .

فبعد مقتل مرداويج في سنة (٣٢٣ هـ ـ ٩٣٥ م) توجه بجكم وبصحبته من أمراء الأتراك توزون ، يا روق ، ابن بغراء ، محمد ينال وجمع غفير من الأتراك توجهوا نحو الدينور«١» فالعراق فرحب بهم محمد بن رائق وضمهم الى جنده في واسط .«٢»

لم يكتف ابن رائق بهذا القدر فبأيعازه جلب (بجكم) الاتراك المتشردين من جيش (مرداويج) الي العراق«٣» وبهذا اصبح في امكان ابن رائق مزاحمة (ابن مقلة) وزير الخليفة المقتدر بالله وإزاحته وفي سنة (٣٢٤هـ / ٩٣٥م) استطاع دخول بغداد بقوة عسكرية وبدخوله أجبر ابن مقلة على الفرار امام قوته الجبارة .

خاض بجكم حروبا متعددة وكان النصر فيها حليفه دوماً ، وهذا مما جعل ابن رائق يهابه ويخشى بأسه، وحاول الاتفاق مع البريدي للقضاء عليه وفي احدى المعارك علم ما يكن له ابن رائق من سوء فدخل بغداد في ١٣ ذي القعدة ٣٢٦هـ /

---

(١) دينور وكانت مدينة معمورة واقعة على مسافة ٢٠ فرسخاً من همدان لقد ظهر منها علماء كثير وهي اليوم خربة

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٥٦٠ ، ٥٦١ .

(٣) تاريخ الكامل ج ٨ ص ٩٦ لابن الأثير .

٩٣٧م في الجيش الذي كان تحت أمرته ، وعينه الخليفة امير الأمراء تقديراً «١»
ومن خدماته للخليفة الزحف على رأس قوة من الجيش الى الموصل ٣٢٧هـ / ٩٣٨م
وبالنتيجة أجبر ناصر الدولة بن حمدان على دفع المبلغ المرسوم للخليفة «٢»

مضت سنوات وبجكم قد اشتهر بالبطش والشدة فأدى ذلك الى تهيب الناس له حتى الخليفة نفسه «٣» . وضرب السكة « النقود » باسمه وكتب على وجه منها (انما العز فاعلم للامير المعظم . سيد الناس بجكم) . ووضع رسمه في الوجه الثاني «٤» وكان بجكم داهية زمانه ، وتمكن من جلب رضا الشيعة في بغداد ، وذلك بأعادة بناء المسجد المسمى براثا في سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م وكان أمر بهدمه الخليفة المقتدر بالله «٥»

لم تمض مدة طويلة على وفاة بجكم سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م «٦»
حتى أشغل توزون القائد التركي منصب أمير الامراء سنة ٣٣١هـ - ٩٤٢م «٧» وبعده عين ابن شيرزاد وفي زمانه في ١١ جمادى الاول ٣٣٤هـ ٩٤٥م « دخل معز الدولة البويهي » بغداد .

وكان معظم جند معز الدولة من الاتراك ايضاً والديالمة وذكر تلك الحقيقة الدكتور مصطفى جواد بقوله (والدور الثاني للاتراك هو دور بني بويه ، تكرر

---

(١) تأريخ الكامل ج ٨ ص ١١٢ لابن الأثير .
(٢) المنتظم ج ٦ ص ٢٩٥
(٣) اخبار الراضي بالله من الاوراق للصولي
(٤) الحضارة الاسلامية لآدم متز ج٢ ص ٥٤٠ ومروج الذهب
(٥) تأريخ بغداد للخطيب ج ١ ص ١٠٩ وقد زال هذا الجامع في القرون المتأخرة وليس هو جامع المنطقة الحالي ، كما ظن من يجهل خطط بغداد ، فهذا يسمى قديماً مسجد العتيقة ومسجد المنطقة الى اليوم كما أخبرني الدكتور مصطفى جواد
(٦) دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٣٥٩ ، ٣٦٠
(٧) تاريخ الكامل ج٨ ص١٠٦ لابن الاثير

دخولهم العراق مع هذه الدولة التي كان غالب جندها من الديلم والاتراك ، فان معز الدولة أحمد بن بويه لما دخل العراق سنة ٣٣٤ هـ - ٩٤٥ م مستولياً دخلت معه فياليق من الاتراك كانوا من جنده ، وكان من الطبيعي ان يفطن امراء الفرس وملوكهم الى خصائص (١) الأتراك الحربية ومزاياهم الجندية لانهم اعرف الناس بهم لمجاورتهم اياهم ولاشتهار حروبهم قديماً وحديثاً فلقد كانوا يقارعون الدولة الفارسية القديمة ويزعزعون اركانها . ومن المؤرخين من يعد بني بويه انفسهم من الاتراك المستعجمين . . ويذكر من يقول بتركيتهم : انهم اجتذبوا قلوب الفرس بأدعائهم الديلمية)«٢»

ثم قال لاريب في أن الأتراك الذين دخلوا العراق مع « معز الدولة » وجدوا الأتراك الذين سبقوهم قد اختلط فريق منهم بالمجتمع وبقى فريق على الجندية فانضموا اليهم ، ومن اشهر المماليك الأتراك الذين دخلوا العراق مع معز الدولة « سبكتكين » حاجب « معز الدولة » وأحد قواده العظام والیه ينسب البيت «السبكتكين » من دار المملكة البويهية التي كانت فوق العيواضية ببغداد وكان آية من آيات العمارة ومأثرة من المآثر البنائية . وذكر المؤرخون أنه كان مفخرة لبني بويه في العراق«٣»

وفي سنة « ٣٤٥ هـ -٩٥٦ م» ثار روزبهان بن ونداد خورشيد الديلمي» على معز الدولة وعصى عليه وسار الى الاهواز فجهز « معز الدولة » قوة لمحاربته بيد أن الديالمة الذين كانوا في معيته انحازوا الى جانب (روزبهان) واختلفوا على

---

(١) ادرج ادناه هذين البيتين للشاعر ابراهيم بن عثمان بن محمد بن أبي اسحاق الغزي فانها يعطياننا صورة صادقة لتلك الخصائص :

وفتية من جيوش الترك ماتركت ... المرعد كراتهم صوتاً ولا صيتا

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة ... حسناً وان قوتلوا كانوا عفاريتا

(ماضيدن آتی يه) ص ٢٢٥ د . برفسور شمس الدين كونلتاي .

(٢) مجلة الدليل عدد ٥

(٣) مجلة الدليل عدد ٥

معز الدولة . ان معز الدولة عندما أراد محاربة (روز بهان) كان عليه المحافظة على بغداد من الشغب الداخلي ومن جيش ناصر الدولة بن حمدان فانه أرسل قوة بقيادة ابنه ابي المرجا جابر » للاستيلاء عليها . وللحيلولة دون ذلك أعاد الحاجب سبكتكين ومن معه ممن يثق بهم من عسكره الى بغداد ، وتوجه مع الباقي نحو الجنوب «١»

يقول ابن الاثير كان إعتماد معز الدولة على أصحابه الأتراك ومماليكه ونفر يسير من الديلم «٢» فى حروبه . وتمكن من التغلب على روزبهان والعودة الى بغداد منتصراً .

بناء على ما رآه معز الدولة من اخلاص الأتراك والتوفيق الذي أحرزه بهم اصطنع الأتراك وقدمهم وأمرهم بتوبيخ الديلم والاستطالة عليهم ثم أطلق للأتراك اطلاقات زائدة من الأموال على واسط والبصرة فساروا لقبضها مدلين بما صنعوا (٣)

٥ ـ دخول الاتراك العراق مع السلجوقيين وقبلهم :ـ

دخل طغرل بك السلجوقي مع جيشه بغداد سنة ٤٤٧ هـ ـ ١٠٥٥ م وقد سبقهم التركمان الى دخول العراق قبل دخول طغرل بك وذلك فى سنة ٤٣٣ هـ ١٠٤١ م ويسمي التأريخ هذه الطائفة بالغز العراقية (٤)

وكما تذكرهم بعض المصادر الأخرى بتركمان بلخان (٥) وهم دخلوا العراق

---

(١) تأريخ الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ١٧٠
(٢) تأريخ الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ١٧٠
(٣) تأريخ الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ١٧١
(٤) تأريخ الكامل لابن الاثير ج ٩ ص ١٣٦
(٥) تورك تأريخنه كيريش ج١ ص١٨٣ فرونسور . د . زكي وليدي .

بعد مفارقتهم أذربيجان وعلى رأسهم (أبو منصور ، كوكتاش ، أبو علي ابن دهقان ، حاج اسرائيل) فحاصروا (جزيرة ابن عمر) فصالحهم (سليمان بن نصر الدولة بن مروان الكردي) المقيم بالجزيرة فدعا سليمان رئيسهم (أبامنصور) لتناول العشاء فقبض عليه وحبسه ولما علم القوم بالأمر تفرقوا متوجهين نحو الموصل وسنجار فحاصروا الموصل واستولوا عليها ثم فارقوها . ولما طال مقامهم بهذه البلاد ظهر منهم ما ذكرناه سابقاً - وقد اختصرنا تلك الحوادث (١) لضيق المجال - وكتب الملك (جلال الدولة البويهي)- المنفذ امره ببغداد - الى طغرل بك يعرفه ما يبدو منهم وكتب له ايضاً (نصر الدولة بن مروان) لنفس الغاية فأجاب طغرل بك نصر الدولة والملك جلال الدولة يعتذر لهما ، ويقول ان هؤلاء التركمان كانوا عبيداً ورعاياله وكانوا يخدمون الباب ولا بد من ان نردهم الى راياتنا خاضعين ونذيقهم من بأسنا جزاء المتمردين (٢)

ولقد جرت المخابرة بين الخليفة وبين طغرل بك فارسل الخليفة القائم بأمر الله رسالة بيد ابي بكر الطوسي يحثه فيها على العدل واطاعة الله والنهي عن المنكر فاجابه طغرل بك برسالة ارسل بها على يد العالم المعروف ابي اسحاق الفقاعي قال فيها « علمنا بانصراف ابن يمين الدولة عن الاعمال الحسنة وتصرفاته غير الحميدة. ونحن سوف نقضي عليه عاجلا . نحن عبد امير المؤمنين في المحافظة على الدولة واستتباب الامن فيها . ابطلنا اعمال الظلم وتمسكنا بالعدل والفضيلة وقضينا على بوادر الغدر » (٣)

ولما وصلت رسالة طغرل بك الى الخليفة ، انفذ اليه في مدينة الري رسولا

---

(١) التفصيل في كتابنا تاريخ الاتراك في العراق المفصل .

(٢) تاريخ الكامل ج ٩ ص ١٣٥ - ١٣٦

(٣) مترجمة بتصرف من كتاب « عراق وخراسان سلجوقيلرى تأريخى » الذي هو ترجمة كتاب زبدة النصرة ونخبة العصرة الذي اختصره الفتح بن علي البنداري من كتاب نصرة الفترة وعصرة الفطرة

وزوده رسالة تضمنت رداً جيلا واعقبها امر الخليفة بأن يذكر اسم طغرل بك في الخطبة وان يضرب على النقود قبل اسم الأمير البويهي الملك الرحيم (١)

يظهر مما تقدم أن الخليفة كان قد تألم من اعمال وتصرفات ملوك بني بويه وتصرفات جماعة من القواد الذين كانوا يعملون كيفما يشـــاؤون ومن هؤلاء القائد أرسلان التركي البساسيري ولذلك كان الخليفة قد رحب بقدوم طغرل بك الى بغداد .

وفي المحرم سنة ٤٤٧هـ ـ ١٠٥٥م عاد طغرل بك الى همذان واظهر رغبته في تأدية فريضة الحج واصلاح طريق مكه وتقدم الى حلوان وانتشر اصحابه على طريق خراسان نخاف أهل بغداد ، الا ان هذا الخوف خف عندما اخبر طغرل بك الخليفة بمقصده من المجيء الى بغداد ، وذلك لزيارة الخليفة تبركا به وأداء فريضة الحج (٢) وعندما علم الخليفة بمقدم طغرل بك أمر باستقباله أستقبالا يليق بمركزه ويصف الأصفهاني ذلك الأستقبال وكثرة جنوده في اثناء دخوله بغداد «٣»

ثم خلع عليه الخليفة مختلف الخلع والتشريفات وأجلسه على العرش الى جواره والبسه حلة جميلة وتحدث معه خلال ذلك وكان يقوم بالترجمة بينهما منصور بن محمد الكندري (٤)

---

(١) تأريخ الادب في ايران ص ٢١٦ النسخة العربية

(٢) المنتظم ج٨ ص ١٦٤ تأريخ الكامل ج ٩ ص ٢١١

(٣) عراق وخراسان سلجوقيلر تاريخي المار ذكره اعلاه

(٤) اختلف المؤرخون في اسم الوزير عميد الدين الكندري هذا فابن خلكان سماه محمد بن منصور في الوفيات وسبقه الى ذلك غيره وآخرون سموه منصور بن محمد وقد استرجع الدكتور منصور بن محمد لانه رآه في مكتوبات الخليفه القائم بأمر الله بامنصور بن محمد
تاريخ الادب في ايران ص ٢١٦ النسخة العربية .

يقول العلامة مصطفى جواد : ان دور السلجوقيين في العراق كان أعظم الادوار أثراً في المجتمع وخطراً في الأجتماع ، فان ألوف الرجال الغز من جند السلجوقيين لم يدخلوا العراق أذلة مستعبدين ، فرداً فرداً ، أو بضعة بضعة وانما دخلوه جموعا أحراراً مسلمين فاتحين بصورة منقذين وتصرفوا فيه تصرف المالك وحكموا فيه حكم المستعبد. . .وصار قواد السلاجقة وأمراؤهم أهل أقطاع وضياع في العراق وما جاوره من الجزيرة والشام وبلاد العجم . والذي كان يمنع الاتراك من ذلك قبل هو كونهم مماليك فان المملوك وماله ملك لسيده . أما في هذا الدور فقد ثبتت ملكية التركي أميراً وقائداً جنديا ،ومن كان مقيداً بقيود الرق والعبودية منهم كان يسعي في أعتاق نفسه ليستقل حق الاستقلال في أعماله ـ ولاية البلاد والاقطار ـ أو عمارة الضياع وأحتجان الاموال ،وأسس كثير من أمراء السلجوقيين امارات تركمانية كامارة بني أرتق بماردين وما حولها وامارة أتابكة (الموصل)فيها وأمارة (بني زين الدين كوجك)باربيل وامارة (بنى قبجاق) في الكرخين كركوك وامارة القرا أرسلانية بأمد (ديار بكر) وامارة اتابكة (الجبل) وأذربيجان من بني الدكز وامارة السلغرية (بشيراز)وما حولها من فارس وامارة الايواقية في جبل (حمرين)وهم من بني ترجم وامارة بنى شملة آيدغدي بخوزستان.

وقد بقت هذه الامارات طوال أيام الدولة السلجوقية ، وبقى جملة منها بعد انقراضها في العراق والجزيرة وبلاد العجم وكأنها كانت وارثة لتلك الدولة (١) .

٦ ـ الامارات التركية التي تشكلت في العراق

آ ـ امارة اتابكية الموصل :ـ

أن تأريخ هذه الأمارة طويلة لكن لضيق المجال نختصره بما يأتي :ـ

(١) مجلة الدليل العدد ٥

مؤسس هذه الأمارة هو (عماد الدين زنكى ابن قسيم الدولة اقسنقر) يقول ابن الأثير في كتابه (تأريخ الدولة الأتابكية : ملوك الموصل) ، كان قسيم الدولة آقسنقر من أصحاب ملكشاه بن الب ارسلان(١) وممن ربى معه في صغره وصحبه الى حين كبره). كان شجاعاً يحبه السلطان ويقدره وهو الذي منحه لقب (قسيم الدولة (وأعطى ادارة حلب في سنة (٤٧٧هـ - ١٠٨٤م) .

وإن (تاج الدولة تتش) أخا ملكشاه بن الب أرسلان كان يملك الشام في حياة أخيه ، غير أنه بعد وفاته(٢) قاد جيشه الى حلب طمعاً فى السلطنة ونافس ابن أخيه ﴿ ركن الدين أبا المظفر بركيارق بن ملكشاه ﴾ الذي تم له الأمر وأصبح سلطاناً بعد أبيه ملكشاه . وتمكن فعلا من التغلب على قوات خصمه(٣) ﴿ قوة صاحب حلب قسيم الدوله آقسنقر وقوة صاحب الرها - بزان﴾ ووقع قسيم الدوله أسيراً بيده فأمر بقتله(٤) وعلى أثر موت كل من ﴿ بزان وقسيم الدوله ﴾ أنشد ﴿ عماد الدين ﴾ هذين البيتين من الشعر متأثراً من عدم تقديم السلطان بركيارق أمداداً لهما فقد كان عاكفاً على الشرب والطرب:

قد غرقنا فى الشرب والسكر حتى لم نفكر فى سنقر وبزان
ما ظفرنا بالبيذق الفرد في الدست ولكن قد أسلم الرخان (٥)

كان عمر عماد الدين زنكي عشر سنوات عند وفاة أبيه ﴿ قسيم الدولة آقسنقر ﴾ واجتمع حوله الامراء ومنهم « زين الدين علي كوجك » . وكان صغيراً أيضاً . وفي سنة ٤٨٩ هـ - ١٠٩٥ م قتل ﴿ تاج الدولة ﴾ وعلى أثرها

---

(١) بعد مقتل أبيه في سنة ٤٦٥ هـ - ١٠٧٢ م اصبح سلطاناً
(٢) جاء الى بغداد في سنة ٤٨٥ هـ - ١٠٩٢ م لم يمرز من طويل على البتة فيها حتى توفى
(٣) اخبار الدولة السلجوقية لأبي الفوارس ناصر الحسيني
(٤) تأريخ الدولة الاتابكية لابن الاثير
(٥) اخبار الدولة السلجوقية لأبي الفوارس الحسيني

نجا الأمير كربوغا من السجن وتمكن من جمع عدد كبير من الجند واستولى على ﴿ نصيبين والموصل ﴾ . وطلب عماد الدين زنكي وقام بتربيته لكونه صديقاً لأبيه ﴿ قسيم الدوله ﴾ . بعد وفاة كربوغا في سنة ٤٩٤ هـ ١١٠٠ م تسلم إدارة امارة امارته ، موسى التركماني ، وبعده ملك الموصل ، شمس الدوله جكرمش ، وهو من مماليك السلطان ملكشاه أخذ عماد الدين وقربه وأحبه وبقى معه الى أن قتل في سنة ٥٠٠ هـ ـ ١١٠٦ م وبعده ملك الموصل جاولي . والأمير مودود ثم أسندت الموصل الى ﴿ أمير جيوش بك ﴾ وأرسل معه السلطان محمد ابنه ﴿ الملك مسعوداً ﴾ إلى الموصل .

وبمرور الأيام والسنين كبر « عماد الدين زنكى » وشهد عدة حروب وبرز بين أقرانه وجلب انظار الأمراء من أصحاب الحكم .

ثم إن السلطات محموداً ولي السلطنة بعد وفاة أبيه محمد وأقطع الموصل اخاه الأمير مسعوداً ، وكان عماد الدين زنكى في معيته وفي سنة (٥١٦ هـ ـ ١١٢٢م) اعطي عماد الدين (واسطاً ، وهناك أظهر شجاعته وقابليته فى الحرب التي جرت على «دبيس بن صدقة الأسدي » ثم عين شحنته بغداد . وفي سنة « ٥٢١ هـ ـ ١١٢٧ م » توفى صاحب الموصل « الامير عز الدين مسعود بن آقسنقر البرسقي » فارادوا نصب أخيه على الموصل . ولحصول موافقة السلطان سافر كل من « القاضى بهاء الدين أبي الحسن على بن الشهرزوري وصلاح الدين محمد الياغيسياني » الى اصفهان ، غير أن (نصير الدين جقر) صديق عماد الدين زنكى تمكن من اقناعهما بقوة عماد الدين على الامارة ، فطلبا إلى وزير السلطان (أنوشروان بن خالد) نصبه ، وحصلت موافقة السلطان وطلب منشوراً بذلك وسار عماد الدين زنكي من بغداد نحو الموصل فملكها (١)

---

(١) تاريخ الكامل لابن الاثير ج ١١ ص ٤٣

قتل عماد الدين زنكي في سنة (٥٤١ هـ - ١١٤٦) في اثناء محاصرته قلعة (جعبر) وتسلم الحكم ابنه الكبير (سيف الدين غازي) وانقسمت الدولة الاتابكية بعد موت عماد الدين زنكي الى قسمين قسم الموصل وقسم الشام ، فأصبحت حدودها تمتد من تكريت الى لبنان ومن الموصل واربيل الى حدود اذربيجان (١)

فالدولة الاتابكية دامت في الموصل نحو قرن فقاد الأتابكة الجنود المنظمة وشاركوا في الحروب الصليبية وأبلو بلاء حسناً واشتهر منهم في الحروب والفتوح عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود وأطرى المؤرخون وقائعهم مع الافرنج والباطنية .

كانت الموصل من حيث حالتها الادارية مستقلة في الباطن وتابعة للسلاجقة في الظاهر وقد كثرت فيها معاهد العلم والمدارس والمعاهد الخيرية حتى أصبحت تعد من العواصم الاسلامية الكبيرة فكان أول ما يفعله الملك الاتابكي أن يؤسس باسمه مدرسة ويعد مدرسيها بالجرايات ويحبس عليها الاوقاف ابتغاء تخليداً لوجه الله لأعماله (٢)

ثم انقرضت وتملك (بدر الدين لؤلؤ) مملوك الاتابكيين المذكورين وذلك منذ سنة « ٦١٥ هـ - ١٢١٨ م » بعد وفاة الملك القاهر « عز الدين » فان نور الدين أرسلان شاه الثاني وناصر الدين محموداً اللذين خلفا أباهما الملك القاهر كانا عاجزين عن ادارة الملك لحداثة سنهما فتسلم بدر الدين مقاليد التدبير ، ولم يبق لهما الا اسم الملوكية . ثم لما توفي ناصر الدين محمود أستقل بدر الدين بالبلاد تماماً فوصل اليه التقليد من الخليفة العباسي (المستنصر بالله) سنة

---

(١) تاريخ الكامل لابن الاثير ج ١١ ص ٦١

(٢) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٨٥ و ٨٦

(٦٢٣ هـ ـ ١٢٢٦ م) ولقبه بالملك الرحيم نخطب له على المنابر (١) .

كان بدر الدين لؤلؤ يسير على خطوات الاتابكية في تعزيز مباني العلم وباسمه سميت المدرسة البدرية الشهيرة . وكان يقضي معظم اوقات الراحة في سماع الشعراء والأدباء ولـكنه كان ارمني الاصل .

وفي زمان الأتابكة اكتسبت الموصل شهرة واسعة ولم يقصدها الراغبون في العلم حسب بل العلماء الأعلام ايضاً للاشتغال والتدريس (٢) اكتفينا بهذا القدر والتفصيل فى كتابنا تأريخ الاتراك في العراق المفصل .

ب ـ امارة آل زين الدين فى اربيل : ـ

سميت هذه الامارة باسم زين الدين على كوجك بن بكتكين)(٣) لكونه أول أمير حكم أربيل واولاده من بعده كان (زين الدين علي) من الأمراء الأتراك وكان من أعز اصدقاء (عماد الدين زنكي) أتابك الموصل منذ صباه وبعد وفاة (آقسنقر قسيم الدولة في عام ٤٨٧ هـ ـ ١٠٩٤ م) انضم (زين الدين علي كوجك ، الى ابنه (عماد الدين زنكى) هو ومحبوه في الوقت الذي لم يتجاوز فيه عماد الدين من العمر عشر سنين ، وكان زين الدين صبياً أيضاً (٤) وبمرور السنين بعد أن بلغا مبلغ الرجال وتوثقت الصداقة فيما بينهما اكثر مما كانت أصبح (زين الدين) من أقرب المقربين اليه .

---

(١) تاريخ الموصل ج١ ص ١٩٩ ، ٢٠٩

(٢) تأريخ الموصل ج١ ص ٢٧٧

(٣) قال ابن خلكان بضم الباء الموحده وسكون الكاف وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وسكون الباء المثناة من تحتها وبعدها نون وهو اسم تركي . ضبط الاعلام لاحمد تيمور باشا ص١٧

(٤) تأريخ الدولة الاتابكية في الموصل لابن الاثير .

يخبرنا ابن الأثير ايضاً ، أن عند مقتل (عماد الدين زنكي) في سنة (٥٤١هـ ـ ١١٤٦م)وهو يحاول فتح قلعة (جعبر) كان (زين الدين علي كوجك) نائباً عنه في الموصل ، وهو الذي كتب الى (سيف الدين) الابن الكبير لعماد الدين زنكي ينصحه بالاسراع الى الموصل(١) وتمكن بعمله هذا من القضاء على المنافسة في الحكم وكان من المحتمل حدوثها بين الابناء (عمادالدين).

اصبح (زين الدين كوجوك) أميراً لجيش سيف الدين بن عماد الدين وعند وفاة صاحبه كان هو صاحب الرأي في تمليك (قطب الدين مورود) أخي سيف الدين (٢) وكان زين الدين صاحب الرأي وهو الكل في الكل في الدولة الاتابكية يدير المملكة برأيه الصائب وعقله الراجح ، وبأمره القاء القبض على (الملك سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي) عند محاولته الوصول الى بغداد عن طريق « شهرزور » وذلك تلبية لطلب (الملك محمد بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه) (٣)

وبعد وفاة الملك محمد المار الذكر طلب أكابر الامراء في همذان (الملك سليمان شاه) من قطب الدين مودودين زنكي ليولوه السلطنة . فوافق قطب الدين على ارساله بعد تحالفه معه ورافقه (زين الدين علي) مع عسكر الموصل . غير انه خاف زين الدين علي من غدر الملك سليمان له فعاد الى الموصل وبعودته لم يتم لسليمان شاه ما ارادفقبض العسكر عليه بباب همذان سنة ٥٥٦ هـ ـ ١١٦٠ م (٤)
وفي سنة ٥٦٣ هـ ـ ١١٦٧ أصيب زين الدين على كوجوك بالصمم والعمى فعزم على مفارقة الموصل والذهاب الى داره بأربيل . . . وعلى تسليم جميع ما كان بيده

---

(١) تأريخ الكامل ج ١١ ص ٤٣ . لابن الأثير
(٢) تأريخ الموصل ج١ ص ١٧٦ . لقس سليمان .
(٣) تأريخ الكامل ج ١١ ص ٧٧ .
(٤) تأريخ الكامل ج ١١ ص ٩٥ .

من الملك الى قطب الدين مودود وكان هو الحاكم فى الدولة وبيده زمام الحكم وذهب الى اربيل وكان فيها داره وأولاده وخزائنة ، وترك شهرزور وجميع القلاع التى فيها و بلاد الهكارية وقلاعها والعمادية وغيرها و بلد الحميدية وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل ، ولم يبق له الا اربيل ثم مات فيها في السنة نفسها ٥٦٣ هـ ١١٦٧ م (١)

يقول ابن الاثير « كان شجاعاً حسن السيرة ، سليم القلب ميمون النقيبة لم ينهزم من حرب قط وكان كثير العطاء للجند وغيرهم »(٢) . هذا ونحن نعلم أن ابن الاثير يبالغ في مدح هؤلاء آتابكة الموصل لأن أسرته نالت الجاه في أيامهم .

وعند وفاة « زين الدين علي » كان ابنه « زين الدين يوسف » صبياً لا يملك من الحكم شيئاً بيد أن الحكم وأمر الجند كان بيد « مجاهد الدين قايماز » حتى سنة ٥٧٢ هـ ففيها استنابه بالحكم « سيف الدين أتابك » بالموصل . وفي سنة ٥٧٩ هـ القى القبض على مجاهد الدين فاراد ، زين الدين يوسف ، الانفصال من أتابكية الموصل وارسل رسولا الى صلاح الدين الأيوبي يبذل له من نفسه الطاعة له . غير أن هذا لم يدم طويلا فقد امتنع صلاح الدين من قبول هذا الطلب بناء على مصالحته لـ « عزالدين أتابك » وذلك بتوسط الخليفة الناصر لدين الله ولكون أربيل من أعمال « أتابكية الموصل »(٣) ومن الأعمال التي قام بها ، زين الدين يوسف ، قضاؤه على فساد ثلاثة آلاف فارس تقدموا الى العراق لنجدة ، أتابك عزالدين ، فلقيهم زين الدين في سنة ٥٨٠ هـ

---

(١) تأريخ الكامل ج ١١ ص ١٢٤ .

(٢) تاريخ الكامل ج ١١ ص١٢٤ لابن الاثير .

(٣) تأريخ الكامل ج ١١ ص١٨٨ .

وهم متفرقون في القرى ينهبــون ويحرقون فهزمهم وغنم الأربيليون أموالهم ودوابهم وسلاحهم وعاد صاحب أربيل مظفراً غانماً(١) .

وفي سنة ٥٨١ هـ — ١١٥٨ م التحق زين الدين يوسف بمعسكر صلاح الدين عندما كان يحاصر مدينـــة الموصل وذلك ليقوم بما يتطلب من الخدمة له(٢) .

ثم توفي (زين الدين يوسف بن علي كوجك) في سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م وهو مع جيشه في معسكر صلاح الدين الأيوبي في غمرة الحروب ، وبوفاتـــه فرح أخوه مظفرالدين كوكبري ، واتفق مع صلاح الدين على أخــذ « اربيل » ونزل عن حران والرها وسميساط(٣) كان مظفر الدين كوكبرى يملك ، حران والرها ، في زمن أخيه يوسف وكان يراسل صلاح الدين الأيوبي ويشجعه على المسير نحو الموصل ، وفي سنة ٥٨١ هـ - ١١٨٥ م عندما وصل صلاح الدين الأيوبي الى حران قبض عليه لاخلافه وعده باعطاء المبلغ الذي كان قد وعد باعطائه ثم أطلقه من الاعتقال ، ورافقه في حصار الموصل . وعندما توجه صلاح الدين نحـــو « ميافارقين » كان مظفر الدين كـوكبري في مقدمته(٤) ولما استقر في الملك اراد الاستيلاء على الموصل وانتزاعه من بدرالدين لؤلؤ المذكور وذلك في سنة ٦٢٣ هـ - ١٢٢٦ م غير انه رجع عن فكرته وترك الموصل بناء على رسالة الملك الأشرف موسى بن الملك العادل الأيوبي صاحب الجزيرة وخلاط لأن بدرالدين انضم اليه ودخل فى حمايته(٥) .

---

(١) تأريخ الكامل لابن الاثير ج ١١ ص ١٨٩
(٢) تاريخ الكامل ج ١١ ص ١٩٣
(٣) الفتح القس فى الفتح القدسى لعماد الدين الكاتب ص ٢٣٦ ، ٢٣٧
(٤) تأريخ الكامل ج ١٠ ص ١٩٢ ، ١٩٣
(٥) تأريخ الكامل ج ١١ ص ١٧٥ ،

وكان مظفرالدين بعد وفاة صلاح الدين فى خدمة الخليفة الناصرلدين الله ومن جاء بعده من الخلفاء إلى سنة وفاته ٦٣٠ هـ .

إن (مظفرالدين كوكبري) كان عالماً في علم الأدارة والسياسة وكان متفقاً مع صلاح الدين الأيوبي وكان يعد نفسه وبلدته أربيل من اعمال صلاح الدين ويحاول التوسع على حساب آتابكية الموصل وكان تارة يصالحهم واخرى يخالفهم ويمتثل اوامر الخلفاء وخصوصاً فى ايام الخليفة الناصر لدين الله كـاثر ملوك الاسلام وامرائه يومئذ يلبي طلبات بغداد . وفي سنة ٦٢٨ هـ ١٢٣٠ م وصل الى بغداد لزيارة الخليفة ولم يكن قدم بغداد قبل ذلك فخرج الى لقائه (فخرالدين احمد بن مؤيد الدين القمي) ومؤيد الدين يومئذ نائب الوزارة ، والامراء كافة . وقابل الخليفة وأكرمه الخليفة وبقي في بغداد عشرين يوماً ثم عاد الى بلده (١) وفى سنة ٦٢٩ هـ - ١٢٣١ شارك مع جيش بغداد وغيره في الاستعداد لمقاتلة المغول وقد وصلوا الى بلدة شهرزور ولم يصادفوا المغول ، فعاد مظفرالدين مريضاً الى أربيل(٢) .

ثم توفى(مظفر الدين) في١٧ من شهر رمضان سنة (٦٣٠ هـ - ١٢٣٢م) وعلى أثره كتب خادماه (برنقش وخالص) إلى الخليفة والى عماد الدين زنكي صهر مظفر الدين والى بني أيوب يعرفانهم ذلك وقالا : من سبق الينا كانت المدينة له مع أن مظفر الدين وعد الخليفة بها .

---

(١) التاريخ المظنون انه الحوادث الجامعة لابن الفوطي وقد ذكر لنا الدكتورمصطفى جواد أنه رجع عن رأيه وأنه يظنه لمؤرخ آخر ص ١٩ ، ٢٣

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٧ ، ٣٠

(٣) يخبرنا مؤلف هذه الحوادث ص ٦٢ : بأن تابوت مظفر الدين كوكبري أرسل صحبة الحاج ليدفن في سنة ٦٣١ ورجع به عندما رجع الحاج قبل دخوله الحجاز خوفاً من نهب الاعراب فلذا دفن فى مشهد علي عليه السلام وفى وفيات الاعيان مايؤيد ذلك

فأرسل الخليفة جيشاً بقيادة (شرف الدين أبي الفضائل إقبال الشرابى) وفيه من امراء الترك (الامير أرغش الرومي الناصري ، وعلاء الدين الدكنز الناصري) وغيره وعند وصول الجيش إلى أربيل امتنعوا من التسليم ففتح البلدة حرباً فى ١٧ شوال ٦٣٠ هـ — ١٢٣٢ م(١) . وقال (عزالدين عبد الحميد بن ابى الحديد الكاتب هذه الابيات بمناسبة فتح اربيل : ـ

يايوم سابع عشر شوال الذى رزق السعادة اولا واخيراً
هنئت فيه بفتح أربل مثلما هنئت فيه وقد جلست وزيراً

فامر الخليفه باحضار (الامير شمس الدين باتكين) أمير البصرة فولاه أمارة أربيل ، اكتفينا بهذا والتفصيل في كتابنا (مفصل تاريخ الأتراك فى العراق) .

ج ـ امارة القبجاقية فى كركوك :(٢)

إن حكام ومؤسسي هذه الامارة هم من التركمان الايواقية ويقال لهم أيضاً (الايوائية) والايوائيون هم من احدى القبائل التركية وقد تمكنوا من بسط سيطرتهم بعد ذلك على اذربيجان من القرن السابع الهجري وكانوا ميالين الى النهب والغارات ولايوجد أي تنظيم فى ادارتهم قاوموا مدة طويلة ولكن (جلال الدين خورازم شاه منكبرتى) تمكن من القضاء على ادارتهم في اذربيجان فى سنة ٦٢٣ هـ(٣) (وكان جلال الدين أكثر منهم نهباً وفتكاً بالبلاد الاسلامية) ولم يذكر التأريخ بالضبط ابتداء امارة القبجاقية الايوائية في كركوك ولا كان معلوماً اسم مؤسسها غير أنه ورد في حوادث أعمال قسم

---

(١) الحوادث ص٢٤ ، ٤٨ .
(٢) لقد كتب العلامة الدكتور مصطفى جواد فى مناسبات مختلفة بعض الشيء عن هذه الأمارة كما أرشدني لاكمال هذه البحث
(٣) قاموس اعلام ج٢ ص ١٢٧٤ نقلا عن الكامل لابن الأثير وان لم يشر اليه

من امرائها واولهم هو (قابجاق بن ارسلان تاش التركاني والذي كان من المحتمل أن يكون هو مؤسس هذه الأمارة وأنه جاء مع الجيوش السلجوقية وسميت الامارة باسمه ولم نستطع أيضاً الحصول على تأريخ ابتداء حكمه بالضبط ولكن نورد ما ذكره ابن الاثير عن هذه الامارة وهو أن شهرزور واعمالها وما يجاورها من الحصون كانت بيد « قبجاق بن أرسلان تاش التركماني » وكان حكمه نافذاً على قاصي التركماني وادانيهم كلمته لاتخالف يرن طاعته فرضاً فتحامى الملوك قصده ولم يتعرضوا لولايته لأنها كانت منيعة كثيرة المضايق فعظم شأنه وازداد جمعه وأتاه التركمان من كل فج عميق(١)

ان الأمارة القبجاقية كانت في منطقة كركوك وشهرزور ، المبتدئة من مدينة كركوك ومنطقة السليمانية الحالية وشهرزور الواسعة .

وكان أمراء القبجاقية يقضون موسم الشتاء فى كركوك وموسم الصيف في منطقة شهرزور .

طمع عماد الدين زنكي في انتزاع بلاد هذه الامارة فارسل اليها قوة عسكرية فى سنة ٥٣٤ هـ - ١١٣٩ م والتقى الجيشان - في مضيق دربند بازيان وجرت الحرب بينهما فانهزم قبجاق وأبيح عسكره ، وسار الجيش الاتابكي في أعقابهم فحصروا الحصون والقلاع التي بناها قبجاق وتمكنوا من احتلالها وضبطها بقوة كافية وهكذا تمكن عماد الدين زنكي من القضاء على هذه الامارة ثم انخرط قبجاق فى سلك عسكر عماد الدين كما دخل في خدمة البيت الاتابكي قسم من اولاده من بعده(٢)

خصص عماد الدين منطقة شهرزور بابنه الكبير سيف الدين غازي وعندما

---

(١) تأريخ الكامل ج ١١ ص ٢٩
(٢) تأريخ الكامل ج ١١ ص ٢٩

قتل عماد الدين وهو يحاصر قلعة جعبر استدعى نائبه على الموصل زين الدين علي كوجك سيف الدين غازي لتسليمه الملك إليه(١) كما اشرنا اليه سابقاً .

وبعد ذلك أقطعت شهرزور لأمراء من الاتراك بأمر من أتابكية الموصل وفي سنة ٥٥١ هـ كان فيها الامير بوزان(٢) كما أنه عند انفصال زين الدين علي كوجوك عن نيابة الموصل في سنة ٥٦٣ ترك إمارة شهرزور بيد بوزان(٣) فعصى ابنه شهاب الدين محمد بن بوزان على سيف الدين غازي وكان سبب ذلك وجود خلاف بينه وبين مجاهد الدين قايماز الذي استنيب بالموصل فخاف منه فارسل جلال الدين الاصبهاني وزير سيف الدين كتاباً يأمره بوجوب الطاعة وعلى اثرها زال الفتور بينه وبين مجاهد الدين(٤) ويبدو من حوادث التأريخ أن الامير عز الدين حسن بن يعقوب قبجاق بن آرسلان تاش التركماني الايوائي قد أعاد سلطة الامارة ، وانفصل عن الدولة الاتابكية وأنضوى تحت حماية الخليفة الناصر لدين الله(٥)

وقد ذكرنا أن امارة شهرزور كانت تابعة لاتابكية الموصل ثم دخلت هي والدولة الاتابكية الموصل ثم دخلت هى والدولة الاتابكية فى حماية الخلافة العباسيه . وفى ٥٨٥ هـ كتب السلطان صلاح الدين الايوبي جواباً لرسالة الخليفة الناصر لدين الله وأرسل به القاضى ضياء الدين القاسم بن يحيي بن عبد الله الشهرزوري وكان الخليفة الناصر قد وعد صلاح الدين بان ينجده على

---

(١) تاريخ الكامل ج ١١ ص ٤٣

(٢) تأريخ الكامل ج ص ٧٨ لابن الاثير

(٣) تأريخ الدولة الدولة الاتابكية ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ لابن الاثير

(٤) تاريخ الكامل ج ١١ ص ١٦٥ .

(٥) الدكتور مصطفى جواد نقلا عن سيرة صلاح الدين لبهاء الدين بن شداد وتاريخ السلجوقية لناصر الدين الحسيني

الصليبين بالجيش العباسي وهو يومئذ جيش قوي وان يعطي صلاح الدين الخليفـــة بعض البلاد بصورة نفقات لحركات الجيش وأتلافه ثم جمـــع السلطان الامراء وأبلغهم ما كتب حيث قال : قد وعدت الخليفـــة على لسان الشهرزوري بشهرزور واستدعيت عسكره المنصور وربما قدم الينا الحضور فيكمل لنا النصر والحبور فجاوبه الامراء هذا رأي رائب وشأر شائب وأمر عن الصواب ناء وكيف تمد الأمام بما لايقرن بوفاء وكيف ينجز هذا القصد ودونه إيحاش من هو في طاعتك فكنت تبذل ما يدخل في استطاعتك اما صاحب الموصل طلبها فمنع ، وصاحب أربيل عنها دفع ، ومملوكك بها لمن يجاوره خائف وكل ايوانى لحدها وخفها خائف . وما من هؤلاء إلا من بذل عنها أموالا واحوالا والتزم من الجنود والنقود أنجاداً وخفافاً وحمولا ثقالا فاذا عرف أنك أخرجتها لمن له الامر دخل عليهم الضر وملك مالك الامر أمرهم وأبدوا في انقطاعهم عنك عذرهم ، وانقطع الواصل وارتفع الحاصل وماجانا من المذكورين فارس واحد ، ولا ساعد على ما نحن فيه بعدها مساعد أما هذا بكتمر في خلاط قد جمع الأخلاط وجهر بالعداوة وأقام على الغباوة فقال السلطان الخليفة ملك الخليفة وهو مالك الحق والحقيقة فان وصل الينا اعطيناه هذه البلاد فكيف شهرزور وسيحدث الله بعد الامور الامور «١» فوصل ١٦ شهر ربيع - ٥٨٦ رسول دار الخليفة بأنموذج من النجدة «٢»

وان نقول على أثر هذه النجدة يظهر لنا أنه اما قد تنازل السلطان عن « شهر زور » للخليفة الناصر ايفاء بوعده او تمسك الخليفة بحجة رسالة السلطان ومدخله على شهر زور وكان يحكمها « عز الدين حسن بن يعقوب قبجاق بن

---

(١) الفتح القسي في الفتح القدسي ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢) الفتح القسي في الفتح القدسي ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

ارسلان تاش التركماني الأيوائي » على حسب يدل عليه قول « عماد الدين الكاتب الاصفهاني » على رضاء السلطان « فاعتد السلطان بكل ما أحضره واخلص الدعاء للديوان العزيز وشكره . . .وقال السلطان لرسول الخليفة ، كل ما معي من نصحه أمير المؤمنين وعارفته ولقد نعشني ما شملني من عاطفته . وقام الرسول طويلا وأقام له السلطان من طوله دليلا . ووفر له عطاء جزيلا وعرفاً جميلا حتى استأذن من العود فعاد واستصحب الشكر والاحماد) «١» ولكن لم يشر الى شيء يدل على اعطائه شهر زور .

وفي سنة ٥٨٥هـ كان عز الدين حسن القبجاق في كركوك فالتحق به السلطان طغرل الثالث بن أرسلان بن طغرل الثاني السلجوقي وكان قد هرب من جيش الخليفة الناصر - وكان يقوده مجاهد الدين خالص الحبشي القائـــد فتشفع عز الدين حسن للسلطان المذكور الى الخليفه الناصر لدين الله ليعفو عنه فيما أخطأ بمحاربته الوزير جلال الدين فعفا عنه الخليفة وأمره ان يقيم في كركوك الى أن يدبر امره فأقام الى ايام الربيع وتزوج بأخت عز الدين حسن بن قبجاق ثم فارق كركوك الى اذربيجان مع عز الدين حسن «٢»

فتوجه عز الدين حسن والسلطان طغرل الثالث وبمعيتها خمسون الفاً من التركمان نحو ﴿ أشنة ﴾ و ﴿ أرمية ﴾ وغيرها من المدن ونهبوا فنهض اليهم ابو بكر بن الاتابك بهلوان مع الأمراء فشردوهم وقتلوا منهم جمعاً غفيراً . وانهزم عز الدين حسن والسلطان الى أن وصلوا الكرخاني . كركوك وهي قلعة الأمير عز الدين حسن بن قبجاق .

غير أن السلطان طغرل قد تركه وعاد الى بلاده ، فاستدرج مظفر الدين

---

(١) الفتح القسي في الفتح القدسي ص١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) اخبار الدولة السلجوقية ص١٧٧ ، ١٨١ لصدر الدين الحسيني

كوكبري صاحب (اربيل) الأمير عز الدين القبجاقي حتى عاد اليه فقبض عليه .

إن عمل مظفر الدين هذا معناه الاستيلاء على امارة القبجاقية ، وعلى أثره ارسل الخليفة الناصر لدين الله أحمد كتاباً الى السلطان صلاح الدين في سنة ٥٨٧هـ يستنكر على مظفر الدين إمساك حسن بن قبجاق وأبلغه بأن الديوان العزيز لم يأذن لغيره في سكناها وكان الكتاب شديداً(١)

وكان جواب صلاح الدين بانه عرفهم حال ابن قبجاق وما تصدى له من الفساد في الارض وانه قد تقدم الى مظفر الدين حتى يحضره معه الى الشـــام فيقطعه فيه ويكون ملازماً للجهاد(٢) ولكن صلاح الدين اضطر تحت تهديد الخليفة الناصر الى الأمر باطلاق عز الدين .

وقد دخلت الكرخاني - كركوك في مملكة اربيل بعد انضواء هذه المملكة الى جماعة الخليفة الناصر لدين الله - كما فصلنا في بحث إمارة (زين الدين علي) في أربيل - وأستدللنا على ذلك بما قدمنا من أمر الناصر باطلاق عز الدين عن الاعتقال وبانخراط أعظم أمرائها وهو (فلك الدين) أبو المظفر وأبو حرب غازي بك بن قبجاق التركماني الايوائي الامير في خدمة الخليفة الناصر لدين الله وقد ذكره المؤرخ تاج الدين علي ابن الساعي في كتابه (الروض الناضر في أخبار الامام الناصر) قال :

فلك الدين أبو المظفر ، وأبو حرب غازي بك بن قبجاق وعبد الله الايوائي التركي الامير ، كان من الامراء الناصرية المشهورين بالاقدام والفروسية وكان جميل الصورة متواضعاً حســن السيرة ، ولما توفي الامام الناصر سنة ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م كان فلك الدين غازي بك على إمارته

---

(١) كتاب سيرة صلاح الدين الايوبي ص١٥٦

(٢) نفس المصدر ص١٥٧ .

وكذلك أيام الامام المستنصر بالله(١) اكتفينا بهذا القدر والتفصيل في كتابنا تأريخ كركوك المفصل .

د ـ الامارة الايوائية (الايواقية) التركمانية في الجبل (٢)

أصل هذه الامارة من قبائل التركمان التي نزحت مع السلجوقيين الى ايران ولم يستفحل أمرها الا في اواسط القرن السادس للهجرة فقد تمكنت في القسم الغربي من ايران في الاعمال المعروفة عند البلدانيين : (الجبل) (والجبال) وهي ما بين اصبهان الى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين (كرمنشاه) والري وكانت هي في القسم الغربي من هذه المناطق لأنها كانت من مناطق النزاع بين السلجوقيين والعباسيين ، وتلائم اهل التغلب والطموح ومنها إمارة بني قبجاق المؤسسة في كرخيني « كركوك » وما والاها من شهرزور ، ونريد ان نتكلم على أمارة الجبل الايوائية ففي سنة ٥٥٣ هـ وبعد وقعة بغداد الفاصلة بين السلجوقيين والعباسيين والخليفة يومئذ المقتضي لامر الله كثر فساد التركمان اصحاب امير الايوائية « ترجم » في (بلاد الجبل) مما يلي حلوان والعراق فسير اليهم الخليفة جيشاً يقوده الامير المملوك منكبرس المسترشدي التركي والتقوا واقتتلوا فهزمهم منكبرس وقتل منهم جماعة واسر جماعة اخرى وحملت الاسرى رؤوس القتلى الى بغداد

إن ذلك كان منشؤه التعصب للدولة السلجوقية المطرودة من العراق ومحاولا الاستيلاء على قسم من شرقيه والحكم باسمهم المجرد فقط وبعد وفاة الخليفة المقتضي لامر الله المذكورة وهو مجدد الدولة العباسية قصد الى البندنيجين (المندلي)

---

١ الدكتور مصطفى جواد مجلة اهل النفط عدد ٤٠ سنة ١٩٥٤

٢ كتب لنا هذا البحث صديقنا الدكتور مصطفى جواد فهو كله من كلامه ومراجعه التاريخية

في سنة ٥٥٦ هـ من خلافة ابنه المستنجد بالله العباسي ، جمع من التركمان الايوائية المذكور للاستيلاء عليها ونهبها واظهار قوة اتباع السلجوقيين فى اعين العباسيين فأمر الخليفة المستنجد بتجهيز جيش اليهم وأمر ان يكون مقدمهم الامير (ترشك) التركي وكان يحكم فى اللحف(*) على طريقة الاقطاع من قبل العباسيين وصدر اليه الامر بالحضور الى بغداد وتسلم قيادة الجيش فامتنع واعتصم في اقطاعه فتولى القيادة غيره وساروا اليه فقتلوه قبل أن يلقوا التركمان الايوائية .

كانت هذه الحركات كما اشرنا اليه آنفاً مقدمات مخفية لاعادة سلطة السلجوقيين الى العراق ولما يئس الامير برجم الايوائي من التوغل في شرقي العراق واتجه نحو الاتابكة التي اسست في الجبال واذربيجان على يد احد امراء الجيش السلجوقي ايلدكز التركي وكان يجرى مجرى الوصي على الدولة السلجوقية وقد تزوج أم سلطانها « آرسلان شاه » بن طغرل بك الثاني بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وفى سنة ٥٦٨ خرج الامير برجم فى جمع من التركمان وتطرق على اعمال همذان ونهب الدينور واستباح الحريم فسمع الامير الاتابك ايلدكز بالخبر وهو بنفجوان من اذربيجان فسار سيراً حثيثاً في سراع جنده وفاجأه فانهزم الأمير ترجم امامه الى ان قارب بغداد وتبعه ايلدكز فظن الخليفة المستنجد بالله ان ذلك مكيدة من ايلدكز مبنية على تواطؤ بينه وبين ترجم ليصل الى بغداد فجأة فيحتلها ويعيد اليها سلطة السلجوقيين فشرع الخليفة فى جمع الجنود وحشدهم للدفاع عن بغداد خاصة وامر باصلاح السور ثم انتهى الامر باعتذار ايلدكز الى الخليفة من ايغاله فى العراق وبانه لم يقصد الا ردع الامير

---

* لحف الجبل : بعمى اصله وصقع من نواحي العراق الشرقية لانه فى لحف الجبال همذان ونهاوند وما ولاها وهو دون تلك البلاد مما يلى العراق ومنه البندنيجين المندلي وغيرها وفيه عدة قلاع حصينة «معجم البلدان لياقوت الحموي قال مصطفى جواد ومن تلك القلاع قلعة المساهكين

برجم الايوائى . ثم عاد من حيث أتى وقد نال من الخليفة خلعة والقابا كثيرة .

ان استيطان الايوائية من التركمان في مناطق الحدود بين العراق وايران حمل الخلفاء العباسيين على التفكير المستدام فيهم وشغل امرهم بالهم ، وقد رأى الخليفة الناصر لدين الله على حسب سياسته في تجنيد جميع القبائل من عرب وترك واكراد ان يستفيدون من الايوائية فجعلهم بمثابة جيش عشائري يدعي الى الحرب عند الحاجة ولذلك نرى الامير برجم الايوائى في سنة ٥٨٤ هـ يقود أصحابه التركمان ومن حالفهم من الاكراد في الوقعة التي جرت بين جيش الناصر لدين الله وجيش السلطان طغرل الثالث ابن ارسلان شاه بن طغرل الثاني بن محمد ملكشاه في وادي مرك قرب همذان وكان قائد جيش الخليفة الوزير جلال الدين عبد الله بن يونس الحنبلي وهو فقيه لاعلم له بالحرب ، وكان معه الأمير مجير الدين طاشتكين المستنجدي التركي أمير الحاج من قبل الخلافة العباسية وغيره من الأمراء الأتراك المماليك والتقى الجيشان فى الموضع المذكور وجرت بينهم حرب شابت منها الذوائب وتهدمت صفوف السرايا والمقانب وامتلأت الارض من قتلى الفريقين وكانت على مسرة الوزير جلال الدين محمود برجم الايوائي ، ومعه جموع التركمان والاكراد فاخل محمود بمكانه وتراجع وكان موطئاً للسلطان طغرل الثالث على ذلك فسبب هزيمة جيش الخليفة الناصر ، لأن غيره من الأمراء انحازوا بجنودهم الى قرميسين هاربين .

إن مخامرة الأمير محمود بن برجم الايوائي تمثل لنا تعلق هذه الامارة السلجوقيين وحبهم لهم وثقتهم بقوتهم ورغبتهم في عود سيطرتهم لأنهم جاؤوا هذه البلاد معهم ونشؤوا في ظل دولتهم . ورتعوا في ممالكهم ونعمهم ، على ان التأريخ العراقي ناقص نقصاناً فاحشاً ، فلم نجد فيه ما يوضح لنا نتيجة هذه المخامرة من الامير محمود الايوائي وما قابله به الخليفة الناصر لدين الله ، من عتاب او عقاب

لانه كان خليفة تتصدع لهيبته الجبال على ما نقل جلال الدين السيوطي في تاريخه وكان اذا ضرب اوجع واذا اطعم اشبع على ماقاله الذهبي في تاريخه .

ومن بين نقصان التاريخ الذى اشرنا اليه نلحظ أن تعيين امير الايوائية وعزله يصبحان بيد الخليفة الناصر لدين الله الذي سيطر على جميع شؤون العالم الاسلامي شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً وفي سنة ٥٩٥ عين في امارة الايوائية الامير فخر الدين أبا المظالم وقبل ابا اسحاق ابراهيم بن برجم الايوائى ثم قتل الاسماعيلية هذا الامير في صفر سنة ٦٠٠ هـ قتله باطني منهم ، كان قد اقام عنده عدة سنين مظهراً للزهد والعبادة بحيث انس به التركمان الايوائية فلما امكنته الفرصة قتله ضرباً بالسكين فقتله التركمان بعده ، وكانت زوجة ابراهيم بنت الامير سيف الدين طغرل الناصري التركي المملوك وهذا يدل على ان الخليفة اوجد مصاهرة بين مماليكه الاتراك وهذه الأمارة التركمانية ليكون الجميع فى قبضته وفي خالص طاعته .

ومن اثناء التاريخ الناقص أيضاً نرى امارة شهاب الدين سليمان شاه بن محمود بن برجم قبل سنة ٦١٠ هـ لاننا نجد في التاريخ أن الخليفة الناصر لدين الله قد عزله قبل هذه السنة وولى اخاه الاصغر فاخذ يواطىء على أتباع الخليفة وممن وطأعليه ـ آيدغمش آيتغمش آيطغمش ـ التركي صاحب همذان ، الناشىء في الاتابكية الايلدكزية ، فان هذا الأمير بعد أن تمكن في بلاد الجبال خرج عليه احد اتباعه واسمه منكلي فهرب منه الى الخليفة الناصر لدين الله ملتجأ اليه فانعم عليه الخليفة وشرفه بالخلع الفاخرة واعطاه ما يحتاج اليه الجيش من العتاد والآلات ووعده بارسال الجيش خلفه وفي جمادي الأخرى من سنة ٦١٠ سار الامير آيدغمش الى همذان فوصل الى بلاد الامارة الأيوائية فى طريقه اليها بين همذان حلوان فارسل الامير سليمان الى الأمير منكلي يعرفه وصول آيدغمش وأحزاله

فبعث عليه جنداً قتلوه وحملوا رأسه الى منكلي وتفرق من كان معه ، وآل الأمر بين الفريقين الى أن جيش الخليفة الناصر لدين الله بقيادة مملوكه الأمير مظفر الدين سنقر بوجه السبع التركي وجنود اصحابه واتباعه من الملوك والأمراء ساروا الى منكلي سنة ٦١٢ فطحنوا جيشه طحناً وقتل هو صبراً .

ويدل مجرى التاريخ على أن الأمارة أعيدت الى سليمان شاه بن برجم الأيوائي وان خانقين دخلت في اقطاعه فصار إيوان خانقين في حكم الأيوائية وكان للايوائية بلاء عظيم يوم ارسل علاء الدين خوارزم شاه من جيشه خمسة عشر الف فارس مقدمة للاستيلاء على العراق سنة ٦١٤ فخرج اليهم الايوائية والهكاريون الاكراد فقضوا عليهم قرب حلوان وخانقين وكان سليمان شاه مقرباً الى الخلفاء الذين عاصرهم مهيباً عاقلا ذكياً ذا فطنة وتجربة في الحروب حسن التدبير وتميز على غيره من الامراء بان كان له نظراً في العلوم وعنايته بالتواريخ والسير والنجوم وله قريحة في نظم الشعر بالفارسية وكان في اول حكمه شريباً للخمر وموسوساً في الطهارة ثم انه ترك الخمر وتاب .

ولسليمان شاه عدة حوادث مع المغول لان امارته كانت في طريق المغول الى بغداد وسائر نواحي العراق ، وفي احد حروبه قتل خليل بن بدر الكردي القلندري سنة ٦٤٢ هـ وكان خليل من اتباع الخلافة العباسية فخرج عن طاعتها وانضم الى المغول واخذ يتحيف بلاد سليمان شاه ويحارب الايوائية فآلت حاله الى ان قتله اصحاب سليمان شاه . ولما حاصر هولاكو بغداد كان سليمان شاه مع امراء الخلافة وقوادها المستشارين ، وكان احد ثلاثة فطلب هولاكو حضورهم مجلسه للكلام معهم في المفاوضة وهم مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير التركي وفلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرسي التركي المعروف بابن الدويدار الكبير وسليمان شاه بن برجم ومن المؤرخين من يضع الوزير مؤيد الدين العلقمي مكان احدهم . وقدامر سليمان شاه ببغداد وأمر هولاكو بقتله صبراً وقد تجاوز عمره

ثمانين سنة . وكان هولاكو قد وعده على لسان رسوله ان يعطيه (برليغاً وبايزة) للمحافظة عليه وحفظ امواله ثم غدر به لأنه في قبضته وسبب غدره أن عرض على سليمان شاه ومجاهد الدين آيبك الدويدار الصغير ان يأخذ اتباعهما وجنودهما ويلتحقا بجيش الشام ومصر ويلتجئا الى المماليك الذين هم الملوك هناك وان كانوا اتراكاً ، فلما الفى بموافقتهما على ذلك أمر بقتلهما وبذبح الوف التركمان وغيرهم من الجنود من اتباعهما ، وكان قتل سليمان شاه في يوم الجمعة الثاني من صفر سنة ٦٥٦ هـ جاء به المغول مع سبعمائة من اهله وعشيرته التركمان الأيوائية مقيدة ايديهم وارجلهم فقال هولاكو « ان كنت عالماً بعلم النجوم وأمور الفلك من سعادة ونحس فلم لم تنذر الخليفة المستعصم باليوم العصيب ولم تنصحه بالمصير الي فى الوقت الملائم للموادعة والمصالحة ؟ ! » .

فقال سليمان شاه « إن الخليفة مطلق الادارة والحكم وقد ولد شقياً تعساً ولم يصغ قط الى نصائح المخلصين » ثم أمر به هولاكو فذبحوه وذبحوا اصحابه وسلم هولاكو رأسه ورأس غيره الى الملك الصالح ابن بدر الدين لؤلؤ يعلقه بالموصل فحمل رأسه ولما رآه بدر الدين ، وكان صديق سليمان شاه بكى ولكنه نصب الرأس خوفاً من المغول . وبذلك قرضت الأمارة البرجية ، وقد ترك سليمان شاه ذرية منهم الامير قطب الدين أبو منصور برجم شاه ابن شهاب الدين سليمان شاه بن برجم بن محمود الايوائي » ولد ببغداد ونشأ فى النعيم والامارة ولما ذهبت الامارة اقبل على العلم ودرس على العالم صدر الدين الساوني ولم أعلم من أمره غير هذا(١)

---

١ مراجع البحث الكامل لابن الاثير ، اخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين الحسيني وتلخيص معجم الالقاب لابن الفوطي ، والجامع المختصر لابن الساعي وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد وتاريخ الخزرجي والمسمى بالحوادث الجامعة وجامع التواريخ لرشيد الدين ومختصر الدول لابن العبري

٧ ـ دخول الاتراك الى العراق

قبيل المغول وبعدهم

إن الحادثة الأليمة التي وقعت في (٥ صفر سنة ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م) من أشأم الحوادث في التأريخ الاسلامي ، استولى فيها (هولاكو) على بغداد وقرض الدولة العباسيه في العراق « ١ »

وكان سبب هذه الكارثة ضعف الدولة، وسوء الأدارة ، وضعف الخليفة، وهذه العوامل وغيرها قد أدت الى القلق الداخل وبالتالي الى النفاق والشقاق بين المسؤولين في الدولة ، وكانت البلاد يسودها الأهمال وموزعة بين الأمراء الذين لا يعترفون للخليفة الا بالخطبة .

واكثر المؤرخين الذي ينقل بعضهم عن بلا روية واتفقوا على ان الخليفة ارسل رسولا الى (جنكيزخان) وكتب رسالة على رأس الرسول بقلم من نار بعد أن حلقوا له رأسه . ثم أمهلوا الرسول الى أن ينبت الشعر في رأسه . واتهم الخليفة بانه كان يشجع (جنكيزخان) للتوجه نحو الغرب ويطلب منه المعونة على الدولة الاسلامية دولة (الخوارزمية) لأن شاه « علاء الدين محمد الخوارزمي » لم يكتف بما يملكه من الأراضي الواسعة ـ التي كانت تمتد من الهند إلى العراق ، ومن (أورال) الى الخليج الفارسي ـ بل اراد السيطرة على الخلافة أيضاً . فارسل الى الخليفة « الناصر لدين الله » يقول له « كن معي كما كانت

---

١ يفهم من (*enc . isl . art . baghdad*) ان بغداد ـ مع فداحة الكارثة التي حلت بها ـ لم تلق على يد التتر مثل الذي لقيته بلاد اخرى على يدهم والسبب في ذلك ان هولاكو كان يريد ان يحتفظ ببغداد لنفسه ، وقد أمر فيها بعد باصلاح بعض ما أفسدت جيوشه ، مثل اعادة بناء جامع القصر الذي كان من اكبر جوامع بغداد . [كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك] ج ١ قسم ٢ ص ٤١٠ .

الخلفاء قبلك مع سلاطين «السلجوقيين» فيكون أمر بغداد والعراق لي ولا يكون لك الا الخطبة «١» » ولما بلغه زجر الخليفة له عزم علاء الدين محمد الخوارزمي المسير الى بغداد في سنة ٦١٤ هـ - ١٢١٦ م) ولكن بعد مسيرة يومين أو ثلاثة سقط على جنده من الثلج ما لم يسمع بمثله فهلكت دوابهم ومات كثير منهم وطمع فيمن بقي منهم حياً بنو برجم الاتراك وبنو هيكار الاكراد كليهم من أتباع الخليفة الناصر فتخطفوا جنود خوارزم شاه ولم يرجع اليه من الجيش الا اليسير ، فتطير وتشاءم من تلك الحركة وعزم على العود الى خراسان خوفاً من التتر ، وعدل عن فكرته عندما سمع أخبار المغول في الشرق (٢) مع العلم ان ليس في التأريخ مايؤيد ان الخليفة كان يخشى خوارزم شاه أبداً فان جيشه كان من اكبر الجيوش في الشرق .

أما جنكيزخان فمال الى ترويج التجارة مدة من الزمن فارسل رسالة مع الهدايا بصحبة رسل الى اقرب جار له في الغرب علاء الدين محمد الخوارزمي » يقول فيها (مني اليك التحية اني عالم بسلطانك وبسعة أمبراطوريتك العظمى ونظري اليك كنظري الى اعز ابن لي .هذا واعلم انني فتحت بلاد (قرالخطا) وتغلبت على الكثير من الشعوب التركية . فبلادي هي معسكر المحاربين ومنجم الفضة وأنني لاارغب في بلاد اخرى ويظهر لي أن لنا في تشجيعنا التجارة بين رعايانا الفوائد المتبادلة)

ان استعمال جنكيزخان كلمة « ابن » في رسالته قد أثر في عواطف علاء الدين محمد تأثيراً سيئاً وأراد الرد بالمثل غير ان عقل الرسول الراجح جعله يهدئه

---

١ طبقات الشافعية الكبرى ج١ ص ١٧٦ للسبكي .
٢ تأريخ الكامل ج ١٢ ص١٢١ ، ٢٢ وكتاب المختصر في اخبار البشر ج ٣ ص١١٨ لأبي الفداء

وحثه على التبادل التجاري . وقد سارت الامور سيراً حسنا مدة من الزمن(١)

أما الحادثة التي وقعت في الحدود بين البلدين فاصبحت السبب الظاهر والحقيقي في هجوم المغول على البلاد الاسلامية . حيث أن والي « أوترار » ، حصل أمراً من علاء الدين خوارزمشاه المذكور بقتل تجار المغول كما سلب اموالهم . فبناء على هذا قرر جنكيزخان محاربة الخوارزميين فأكمل جميع الاحتياطات المقتضاة فارسل هذه الموجزة الى الشاه « انت الذي اخترت الحرب ولا مرد للقدر . وإننا نجهل العاقبة ، وعلمها عند الله وحده » (٢) وقد أسند مؤرخ الخوارزميين محمد المنشيء السبب في هيـاج المغول على بلاد خوارزم شاه الى أعماله الجائرة وسياسته الحمقاء كما في سيرة جلال الدين منكوبرتي « ص ٨٧ ـ ٨٨ »

ودخل الجيش المغولي البلاد الأسلامية في « ٦١٦ هـ ١٢١٩ » واستولى على (أوترار ، جند ، سمرقند ، بخارى) وغيرها وكما استولى على العاصمة مدينة خوارزم «٣» ومن ثم تقدم جيش المغول من اتجاهات مختلفة واخذت تنهزم من امامهم قوات الخوارزمية كما هرب الاهالي من قراهم واراضيهم متجهين نحو الغرب والجنوب لضمان سلامة ارواحهم وكان أمل الكثير الدخول الى الاراضي التي لاتزال تحت نفوذ الخليفة الناصر لدين الله .

ان الاتراك الخوارزميين الذين دخلوا العراق انتشروا من الشمال الى الجنوب وسكنوا بين المواطنين واختلطوا مع من استوطن قبلهم من الاتراك كما دخل العراق قسم كبير من الاتراك مع السلطان (جلال الدين ابن علاء الدين محمد الخوارزمي) . وسكنوا في مناطق مختلفة وخاصة في المنطقة الشمالية

---

١ جنكيز خان ص ٨٩ و ٩٠ هارولد لامب الترجمة العربية .

٢ نفس المصدر ص ٩١ .

٣ (تاريخ عمومي) ج٤ ص ٤٨١ ، ٤٨٢ لمؤلفه دوكيني الترجمة التركية

والوسطى من العراق يقول الدكتور مصطفى جواد (- ان اصحاب جلال الدين - نزلوا الى جنوبي العراق فلم يستطيعوا القرار لأن جيوش العراق حازتهم عن ذلك الصقع . ولان سكان العراق المذكورين عرب وهؤلاء الاتراك لايعرفون من العربية شيئاً فكان التفاهم بينهم مستحيلا ومساكنتهم ممتنعة . ولكنهم حينما مروا بلحف الجبل وجبل حمرين واعتدوا على داقوق وجدوا جماعات من التركمان الذين سبقوهم الى العراق كالتركمان الايوائية والقبجاقية ، وغير بعيد أن فريقاً منهم اندمجوا مع الساكنين هناك بحكم الجنس واللغة وعجزوا عن التوجه مع جيش خوارزم شاه الهارب الى غير غاية ولانهاية «١»

ومن العشائر العراقية المخلصة لحكومتها وللبيت الهاشمي الكريم عشيرة البيات الساكنين لواء كركوك وهي قبيلة بياووت «٢» التي هي فرع من قبيلة يمك ومنهم تركان خاتون أم علاء الدين خوارزمشاه «٣» (راجع الصحيفة ١٥٠) أما دخول الاتراك مع المغول فتنحصر البحث فيه كما يأتي : -

إن خاقان المغول (منكوقاآن) بين الوصايا التي وصى بها هولاكو قال:-

﴿ولا تتعرض للخليفة المستعصم ببغداد ان كان اظهر لك الطاعة وانقاد لخدمتك واما إذا ابدى غروراً أو كبراً ولم يخلص لك قلباً ولساناً فعامله كغيره مما سبق﴾(٤)

وعند قتال هولاكو الأسماعيليين كتب الى الخليفة يطلب منه النجدة وغايته ان يعلم أكان الخليفة يطيعه أم لا . واراد الخليفة إرسال قوة لمساعدته غير ان الأمراء في دولته قالوا له ان (هولاكو رجل صاحب احتيال وخديعة وليس محتاجاً الى نجدتنا وانما غرضه اخلاء بغداد من الرجال ليملكها بسهولة)

---

١ مجلة الدليل عدد ٥ - ١٩٤٧

٢ بياووت جمع بيات

٣ سيرة جلال الدين منكوبرني ص ٤٢

٤ تاريخ العراق بين احتلالين ج١ ص ١٤٨

فامتنع الخليفة بسبب ذلك من ارسال الرجال (١)

ولما أتم هولاكو الفتح في ايران توجه نحو العراق فارسل رسولا الى الخليفة مع رسالة يعاتبه فيها ويخبره بأنه سيتقدم لمحاربته ، وقد جاء في الرسالة « كلما استنجدت بك اعتذرت ، ولم تبعث لنا مدداً مع انك من عائلة قديمة وسلالة نبيلة »

« نطلب أن تتوجه لملاقاتنا وأن صعب عليك المجيء فارسل الينا الوزير أو سليمان شاه والدواندار ليأخذوا العهد منا ويوصلوه اليك بلا زيادة ولا نقصان . . . » « واذا لم تفعل ذلك . . . فتأهب للقتال «٢» »

وهكذا لم يبق مجال لرد عدوان المغول عن الخلافة لأن من المسؤولين في الدولة من كان يؤيد طلب هولاكو ومنهم من كان يحاول فتح ثغرة في التفاهم ومنهم من كان متبرماً بالحالة يرغب في تبديلها أو تغييرها .

فرد الخليفة برسالة ثقيلة الألفاظ سببت غضب هولاكو وقال « من كان مخلصاً لنا حفظ ماله واهله واولاده من مخالب الموت ومن خالفنا فليس له أمان ولا أمن » .

فحاول الوزير ابن العلقمي اقناع الخليفة غير ان المقربين غيره اقنعوا الخليفة بعدم الاهتمام «٣»

فتم فتح بغداد وقضى على الخلافة كما قضى على من كان يفرح ويرغب في تحويل الحال . وان من المؤرخين وغيرهم من شمتوا شماتة ظاهرة بما جرى على الخلافة العباسية ، وما هم الا مخطئون ، فان الحال لم تكن توجب تلك الفظائع والفجائع ولأمثال قول تقي الدين أحمد بن علي المقريزي : « فلما خالفوا ماجاء

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج١ ص ١٥٧

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ١٥٦

(٣) نفس المصدر ج١ ص١٥٩

به رسولهم من الهدى ، احلهم الرزايا المجيحة والردى ، وسلط عليهم من شر خلقه . . . فالحقهم بعد الملك بالهلك وحطهم بعد الرفعة ، واذلهم بعد المنعة ، وصيرهم من رتب الملوك الى حالة العبد المملوك ، جزاء بما اجترحوا من السيئات واقترفوا من الكبائر الموبقات ، واستحلوا من الحرمات ، استهواهم به الشيطان من اتباع الشهوات ، وليعتبر أولو البصائر والأفهام ، ويخشى اهل النهى مواقع نقم الله العزيز ذي الأنتقام ، لااله الا هو سبحانه ، فصح حديث حبيب أبن ثابت ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، ان رسول الله قام فقال « يامعشر قريش أن هذا الأمر لا يزال فيكم وأنتم ولاته حتى تحدثوا اعمالا تخرجكم منه . فاذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه فالتحوكم كما يلتحى القضيب » «١»

ثم دخل شمال العراق وجنوبه تحت حوزة المغول واصبح العراق قطعة متممة للامبراطورية المغولية ، حتى سنة ٧٣٨ هـ وفي سنه ٧٣٩ هـ ـ ١٣٣٨م» نشأت في العراق الدولة «الجلايرية» وهى دولة تركية اسسها الشيخ حسن الجلايري ودام حكمهم فى العراق طويلا ، فى زمانهم كان العراق مفتوحاً أمام الأتراك فكان يدخل اليه كثير من الناس لأجل المعيشة او لأسباب اخرى وهم يخالطون الأتراك الذين سكنوا قبلهم العراق او اخوانهم العرب والكرد .

ولايخفى دخول الأتراك أمام جيش تيمورلنك أو معه حتى زادت كثافة الأتراك كثيراً يقول الدكتور مصطفى جود « وقد بقى تيمورلنك في عبوره من بلاد ايران الى العراق كثيراً من القبائل التركمانية » ويقول « فى دور التركمان القراقوينلية والآقوينلية قد اختلط قبائل هؤلاء بسكان شرقي العراق شمال العراق واكثرهم من الترك والكرد وكان اختلاطهم اجتماعياً تاماً بعث عليه الجنس والدين والمذهب وقد دام حكم هؤلاء من سنة ٨١٣ هـ الى سنة ٩٠٤هـ

---

(١) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ قسم ١ ص ٨ وقسم ٢ ص ٤٠٨ و ٤٠٩

وان كان اختلاطهم بالشعب مستمراً قبل التاريخ الأول وبعد التاريخ الثاني بحيث لا يستطيع الواحد منا ان ينفي أنه (قره قوينلي) أو (آق قوينلي) ولا أن يشتبه أمره في النسب وقد كان هؤلاء من التركمان الرحالة فسنحت لهم الفرصة للاستيلاء على العراق وأذربيجان والجزيرة . المدة التي قضوها في الحكم كانت كافية في امتزاجهم بالشعب وانصهارهم مع الأتراك والأكراد الذين سبقوهم الى اتخاذ العراق والجزيرة وطناً «١»

كما انه بدخول الصفويين للعراق زيدت هذه الكثافة في السكان لأن الشعب الذي كان يحكمه (اسماعيل شاه) واولاده كان يتكون من الاتراك والعجم وجيشه الذي كان يسمى « قزلباشية » يتكون القسم الاعظم منه من الأتراك المتشيعين .

يقول صاحب كتاب « جامع التواريخ المتأخر » ان من العشائر التي خدمت الدولة الصفوية عشائر شاملوا وساوا ، ذو القدر ، ، قاجار «٢»

اما العثمانيون فقد اوضحناه في الفصل الثالث كيفية تسلمهم ادارة بلاد العراق بصورة مفصلة أما هنا فنود الأشارة الى قول الدكتور مصطفى جواد فقط : « إن دور الأتراك العثمانيين في العراق هو كالدور السلجوقي في القوة والصفات ولا تزال آثاره ظاهرة وعوامله مؤثرة ، فان استرجاع السلطان مراد الرابع لبغداد والعراق سنة ١٠٤٨ هـ كان فتحاً للسيول التركية العثمانية وتدفقها نحو العراق ، وكانت السبب الأقوى في انتقال كثير من الملكيات العراقية الى الأتراك الفاتحين ، وكان اختلاط هؤلاء الأتراك بمن كان على مذهبهم من العراقيين عظيماً متصلا . وقد نشر الأتراك في العراق المذهب الحنفي وشجعوا

---

(١) مجلة الدليل ٥ ـ ١٩٤٧

(٢) تأريخ العثماني لهامر ـ ج ٤ ص ٦٤ النسخة التركية

الناس على اعتناقه، ومما يذكره التأريخ ان السلطان مراد اقام المسالح والمعسكرات على طول الحد الفاصل بين كردستان والعراق من العرب وبلاد العجم من الشرق والبلاد هناك باردة تلائم طبيعتها الأتراك وكانت مسكونة بالتركمان ايضاً فتضاعفت القوى التركية بكثرة الحماة والمدافعين . والظاهر ، أن قرية (اطنة) سميت باسم اطنه التركية وكان المؤسسون لها من سكانها وهي معروفة اليوم بمنصورية الجبل«١» ثم يقول الدكتور مصطفى جواد : (لقد صهر ذلك العراقيين صهراً جنسياً عظيماً بحيث لم يسلم منه الا ذو بداوة تحفظه ، وسيادة تؤكد نسبه في دعواه العروبة وقد اختلطت انساب العراقيين اختلاطاً قل أن يوجد في أمم العالم) (٢)

---

(١) مجلة الدليل ٥ ـ ١٩٤٧

(٢) مجلة الدليل ٥ ـ ١٩٤٧

الفصل الثالث

العداوة المزعومة بين العرب والترك

١ ـ تسلم الترك إدارة بلاد العرب وكردستان والعراق
٢ - الحالة الاجتماعية والنفسية في الشعب العثماني
٣ ـ الثورات والحركات الانفصالية ٤ ـ ثورة
العرب على الدولة ٥ ـ ثورة الترك على الدولة
٦ ـ ثورات الاقوام المسيحية على
الدولة ٧ ـ العراق فى دوري
الاحتلال والانتداب
٨ ـ الشعب العراقي
اليوم والأقلية
التركية

لقد جعلنا هذا الفصل « العداوة بين الامتين » ذلك للرد على المغرضين الدين يدعون أن هناك عداوة متأصلة بين العرب والترك والحالة أنا سنرى فيما بعد أنه لايوجد شيء من هذا القبيل بل كل ما هناك ثورة العرب وثورة الترك على الدولة العثمانية المريضة .

١ ـ تسلم الترك ادارة بلاد العرب

وكردستان والعراق

نشأت الدولة العثمانية فى الأناضول في (بروسه واسكيشهر) في آخر قرن السابع للهجرة واخذت تتوسع بالتدريج على حساب الأمارات التركية التي كانت قد تشكلت في زمن الدولة السلجوقية التي أعانت استقلالها في خـــلال حكم السلجوقيين ، وهذه الامارات هي ﴿ قرەمان اوغلي ـ فى قونيه واطرافها ﴾ ﴿ آيدين أوغلي ـ في آيدين ﴾ ﴿ صاروخان أوغلي ـ فى مغنيسيا وما حولها ﴾ ﴿ منتشا أوغلي ـ في منتشا وجوارها ﴾ ﴿ كرميان ـ في كوتاهية ومايتبعها ﴾ ﴿ اسفنديار ـ في قسطمون وتوابعها ﴾ ﴿ قرەسي ـ في بالـكسر وقرەسى وحواليها ﴾ ﴿ حميد أوغلي ـ في أطنة ﴾ ﴿ ذو القدر أوغلي ـ في مرغش ﴾(١)

وبعد الاستقرار تمكنوا من القضاء على الامبراطورية البيزنطية واستولوا على ﴿ القسطنطينية ﴾(٢) التأريخية في ٨٥٧ هـ ـ ١٤٥٣ م وخطوا خطوات

---

(١) تاريخ عثماني ج ١ ص ٩ لاحمد رشيد

(٢) فتحها السلطان محمد فاتح بجيشه من الترك وعند وطئته ارض المدينة أنشد هذه الأبيات :

امتثال جاهدوا في الله اولو بدر نيتم — دين اسلامك مجرد غير تدر غيرتم

فضل حق وهمت جند رجال الله ايله — اهل كفري سر تسر قهر ايلمكدر نيتم

انبيا واوليايه استنادم وار بنم — لطف حقدندر همان أميدو فتح نصرتم =

واسعة نحو الغرب والجنوب والشرق ، ووصلوا الى ابواب (فينا) في الغرب و (تبريز) واواسط إيران في الشرق وانحدروا الى الجنوب وتسلموا زمام ادارة البلاد العربية ومصر وشمالي افريقية .

ان السلطان سليم ، يعد من عظماء سلاطين الدولة العثمانية ومن بينهم تميز بالذكاء ورجاحة العقل والشجاعة اذ تمكن في سنة ٩٢٠ هـ ـ ١٥١٤ م من القضاء على جيش ، اسماعيل شاه الصفوي ، في وقيعة « جالديران » الفاصلة وهرب الشاه تاركاً بين أيدي العثمانيين عرشه وخزائنه ، وبهذه الحرب الفاصلة دخلت بلاد كردستان تحت نفوذ الدولة العثمانية .

« نكتفي بهذا القدر هنا على أن نعود للايضاح في نهاية البحث »

= نفس ومال ايله نوله قيلسم جهانده اجتهاد حمد لله وار غزايه صد هزاران رغبتم
اي محمد معجزات احمد مختار ايله اومارم غالب اوله اعداي دينه دولتم

واليك الترجمة العربية لهذه الابيات :

(ان غرضي من هذه الحروب هو امتثال قوله عز وجل
﴿ جاهدوا في الله ﴾ واظهار غيرتي الدينية وبفضل الله
وهمة جنود رجاله تعالى سأقضى على الكفار
واقطع دابرهم ان لي صلة مع انبياء الله
واوليائه وما فتوحاتي الا من لطف الله)
كيف لا أبذل نفسي ومالي وكل ما املكه في الحياة
في سبيل الرشاد ؟ فلله الحمد لي رغبة شديدة
في الجهاد . يامعجزات الرسول ؟ اصدقك
وليس املي الا ظفر دولتي على اعداء الدين) .

خرابات ج ٢ ص ١٢٤

أ- تسلم الأتراك بلاد العرب والخلافة الاسلامية :-

عزم السلطان سليم بعد التوفيق الذي أحرزه في واقعة « جالديران » على الاستيلاء على مصر وقبل المباشرة لهذا الفتح كان عليــه أولا القضاء على امارة « ذي القدرية » فان هذه الامارة قد انضمت الى دولة الجراكسة بمصر وقبلت نفوذها خوفاً من نفوذ الدولة العثمانية . إلا أنه أخيراً تمكن السلطان العثماني من إخضاعها بالقوات التي أرسلها بقيادة « سنان باشا » ، وان هذه الحادثة أثرت في ، دولة الجراكسة ، ولكن لم يستطع « قانصوه الغوري » القيام بعمل ما لأن ذلك لم يكن في إمكانه«١» وبعد التهيؤ والاعدادات الكافية في التنظيم والتجهيز توجه السلطان نحو البلاد العربية سنة ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م .

وما أن التقى الجيشان العثماني والجركسي في المعركة التي وقعت بين الجيشين في « مرج دابق » قرب حلب ، حتى استطاع الجيش التركي القضاء على الجيش الجركسي وقتل الملك « قانصوه الغوري» أيضاً«٢» وتمكن السلطان «سليم خان» من أداء صلاة الجمعة في الجامع الكبير فى حلب وأصدر مرسوماً يقتضي بالدعاء له بأسم « خادم الحرمين الشريفين » وأهدى إلى الخطيب جبته البالغ ثمنها - ١٠٠٠ دوقه - «٣» وبعده تحرك الموكب السلطاني نحو « دمشق » ودخلها بغير حرب ، واستقبله امراء العرب والدروز من قلاع سورية مذعنين له . ثم عين حكاماً للمدن « حما ، طرابلس ، قدس ، صفد » كما أرسل قوة مكونة من ٢٠٠٠ خيال بقيادة « محمد بك بن عيسى بيك » للاستيلاء على « غزة » .

وقد مكث السلطان فى الشام موسم الشتاء ثم تهيأ في الربيع للسفر نحو مصر

---

(١) تاريخ عثماني ج ١ص ٣٢١

(٢) نتائج الوقوعات ج ١ ص ٧٧

(٣) تاريخ سياسي دولت علية عثمانية ج ١ ص ١٥٦ و ١٥٧

وبينما كان يسير في الطريق أرسل رسولا الى « طومان باي ابن اخي قانصوه الغوري » للمصالحة عارضاً عليه شروطاً غير ان رسول السلطان قتل غدراً ولذا لم يبق بينهم غير الحرب .

انهزم الجيش المصري الجركسي أمام الجيش العثماني في « غزة » ، واستقبل سنان باشا السلطان ثم وصل السلطان إلى غزة . وهناك أتى اليه أمراء العرب من المدن ـ صفد ، طبرية ، نابلس ، القدس ، والخليل الرحمن ـ حاملين مفاتيح المدن وعارضين الطاعة عليه ، فقبل السلطان خضوعهم واحترمهم وعين من بينهم « الشيخ احمد بن بقار » شيخ قبيلة بني ويل ، أميراً عليهم وأنعم عليه بسنجاق «١» .

وفي الحرب التي جرت بين القوتين في موقعة (الرضائية) خسر الجراكسة الحرب وانهزم طومان باي ، ثم ألقي القبض عليه وأعدم سنة ٩٢٣ هـ ـ ١٥١٧ م. ومكث السلطان مدة في مصر فأرسل أمير مكة المكرمة (الأمير الشريف محمد أبو البركات) ابنه ومعه مفاتيح الحرمين مذعناً ،(للسلطان سليم)، ومؤكداً لقبه ـ خادم الحرمين ـ فانعم عليه السلطان بأموال طائلة(١) وهكذا تسلم إدارة البلاد العربية .

أما قصة نقل الخلافة فهي أنه : ـ

بعد انقراض الدولة العباسية في ٦٥٦ هـ ، هرب من العائلة العباسية الأمير ابو القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر وسار في سنة ٦٥٩ هـ وأثبت الفقهاء نسبه

---

(١) تأريخ سيامي دوات علية عثمانية ج ١ ص١٥٦ و ١٥٧

(٢) عثمانلي تاريخي ج ١ص ٢٠٢ أحمد راسم

بشهادة الشهود ثم بويع خليفة للمسلمين ولقب بـ « المستنصر بالله » (١) ثم ولى الخلافة ـ الحاكم بأمر الله ـ العباسي وانحدر بقية الخلفاء في القاهرة منه .

وبعد الظفر الذي ناله السلطان سليم في القاهرة ـ ٢٢ كانون الثاني سنة ١٥١٧ م ـ وفي اليوم الثانى ألقيت الخطب باسمه في جوامع القاهرة « اللهم أنصر السلطان ابن السلطان ملك البرين والبحرين قاهر الجيشين سلطان العراقين خادم الحرمين الشريفين الملك المظفر السلطان سليم شاه » (٢)

وقابل السلطان الخليفة ـ المتوكل ـ آخر الخلفاء العباسيين في مصر والشايع ان « الخليفة نقل رسمياً منصبه للفاتح وقدم له رمزاً لهذا النقل ـ الآثار المقدسة التي كان يعتقد أنها من ايام النبي كالبردة ، وعدة من الشعرات الشريفة وسيف الخليفة عمر ـ فنقل السلطان هذه الآثار الى (القسطنطينية) ولا تزال محفوظة فيها » (٣) .

وهكذا انتقلت شرافة الخلافة الى سلاطين آل عثمان .

ب ـ تسلم الاتراك ادارة كردستان : ـ

لايخفى أن الاكراد قوم أسلموا منذ فجر الاسلام ولم يغيروا دينهم بغيره حتى اليوم بل دافعوا عنه وجاهدوا واستشهدوا في سبيله .

إن الاكراد قوم مسلمون وجلهم يتمذهبون بمذهب الشافعي وكانت بلادهم مسرحاً للحروب والقتال وشكلت فيها إمارات مختلفة حكمت أنفسها

---

(١) نقد أو قتل في المعركة التي دارت بين جيشه الذى جهزه سلطان مصر وبين جيش التتر فى سنة ٦٦٠ هـ قرب هيت ـ كتاب السلوك لمعرفة الملوك ج١ قسم١ ص٤٦٧ ـ ٤٧٦

(٢) الخلافة ص٨٥ السير توماس ارنولد

(٣) الخلافة ص ٨٦

مستقلة تارة وخاضعة للدول المجاورة اخرى وأخيراً وقعت تحت ادارة الدولة الصفوية . والصفويون كانوا جلهم ينتسبون الى المذهب (الجعفري) وجرت منافسة بين الشيعة والسنة في عصور متعددة ، وهكذا كانت الكراهيه موجودة بين الاكراد والصفويين بحكم المذهب ولم يكونوا راضين عن حكامهم الصفويين ولذا قد تهيئوا للانفصال من حكمهم وفي سنة ٩٢١هـ ١٥١٥م دخلت مدينة - آمد - ديار بكر - تحت نفوذ العثمانيين رغبة منهم وطرد اهاليها الحاكم الصفوي

وحاول العجم استرجاع آمد - ديار بكر - فلم يفلحوا بعد حصار دام اكثر من سنة فقد هزمت القوة العثمانية التي ارسلت بقيادة أمير الامراء بيقلي محمد باشا القوة الايرانية

وفي الحرب التي جرت بين القوة الصفوية التي كانت بقيادة (قرخان) والقوة العثمانية التي كانت بقيادة بيقلي) محمد باشا في (وقعة قارغادده) الواقعة في شرق مدينة (قوجي حصار) القديم قتل قرهخان وشتت العسكر الصفوي فاتجهت بعض القوات نحو صحراء (سنجار) واتجه القسم الاخر نحو تبريز عن طريق الموصل - كركوك ومعهم زوجة قرهخان (وكانت اخت الشاه) «١»

عندما كانت القوة العثمانية تحارب الجيش الصفوي كان العالم الكردي مولانا (ادريس البدليسي) قائماً بدعاية واسعة الاطراف في المناطق الكردية داعياً الاكراد الى قبول الحكم العثماني .

إن العالم مولانا (ادريس البدليسي) كان تابعاً للشاه أيضاً ولكن انفصل منه والتجأ الى السلطان (بايزيدخان الثاني) «٢» وخدم مبدأه على هذه الطريقة ولقد اعتمد عليه (ياوز سلطان سليم) كثيراً كما اعتمد عليه أبوه سابقاً

---

(١) (هامر) ج ٤ ص ١٦٧ ترجمة التركية .

(٢) تأريخ العراق بين احتلالين) ج ٣ ص ٢٩١

وجعله مع (بيقلي محمد باشا) وأعطاها (فرامين) مؤيدا بامضائه وطغرائه ليكتبها العالم ادريس ويمنحها مستحقها وكان ذلك تلطيفاً لأمراء الاكراد الذين ينحازون الى جانب الدولة العثمانية وبعد واقعة (قارغادده) المارة الذكر لم يبق امام بيقلي محمد باشا حاجة ما يحول دون التقدم فتقدم واخذ ادارة الموصل ، عانه الحديثة ، سنجار ، تلعفر ، جزيرة ابن عمر ، العمادية ، اربيل ، وكركوك)(١) ودخلت هذه المدن تحت نفوذ الدولة العثمانية سلماً والفضل يرجع الى كل من شخصية (بيقلي محمد باشا) وتدبير العالم (مولانا ادريس البدليس) .

لقد نال مولانا (ادريس البدليس الكردي) مكافأة السلطان وكلفه تنظيم ادارة هذه المناطق الواسعة .

وهكذا تم لسلاطين الدولة العثمانية تسلم ادارة بلاد العرب وكردستان

م ـ تسلم الاتراك ادارة العراق :ـ

كان العراق مسرحاً للاضطرابات منذ تسلم الصفويين إدارة البلاد ٩١٤ هـ ـ ١٥٠٨ م) وكان التصادم والخصام مستمراً بين المواطنين على السواء الحاكم والمحكوم والذين تربطهم روابط عدة في الحقوق والواجبات وان الحالة هذه لم تقتصر على العامة فقط بل عمت الخاصة ايضاً ان « ذالفقار » قد قتل عمه « ابراهيم خان » حاكم بغداد وتمكن من القبض على زمام ادارة بغداد

غير أن « ذالفقار » خاف من « شاه طهماسب » لما قام به وعلم ان ادارته على هذه الحال لاتدوم مالم يوطدها بقوة وهو الامر الذي اضطره الى اللجوء الى السلطان « سليمان خان القانوني » فارسل اليه بمفاتيح بغداد اعترافاً باطاعته وخطب باسمه على المنابر .

---

(١) (تأريخ سياسي دولت علية عثمانية) ج ١ ص ١٥٢

ان المصيبة التي اصابت الدولة الصفوية بتقلص حكمها في بغداد كانت قد خلقت صعوبات ومشكلات أدت الى ازعاج الشاه وغضبه ، وباغرائه اغتيل ذالفقار فقتل .

وإن حركة ذي الفقار الطائشة التي سببت قتله وان كانت حادثة داخلية في الدولة الصفوية فقد خلقت مشكلة دولية بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية وبقتله أثير غضب السلطان (سليمان القانوني) وتهيأ لاعلان الحرب على الصفويين مرة ثانية . فوجه السلطان جيشاً كثير العدد في سنة (٩٤٠ هـ - ١٥٣٣ م) بقيادة ابراهيم باشا نحو الشرق ثم بعد حركة الجيش سار السلطان فدخل تبريز بغير قتال ومنها تحرك نحو همدان فالعراق .

لقدصادف السلطان صعوبات جمة بسبب تبدل المناخ الدي قاساه فى أثناء السفر في الطريق بين همدان وبغداد غير أن الايمان بالنصر الذي كان يملا قلبه قد جعله يواصل السير للاستيلاء على بغداد والقضاء على الفساد فيها واعطاء كل ذي حق حقه ، فدخلها فيسنة (٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م) وقد كتب الكتاب وألقى الشعراء أبياتاً فى هذا الفتح ومن بينهم الشاعر العراقي الكبير (فضولى) الذي نظم قصيدته الغراء بعنوان (بغداد) والبيت الأخير منها كان مصراعه الثاني تأريخاً لهذا الفتح وهو :

(كلدى برج اوليايه بادشاه نامدار) - (٩٤١ هـ) (١)

ولما علم الناس بدخوله بغداد أخـــذت المدن تدخل في حكمة المدينة تلو المدينة منها البصرة والحلة وولاية المشعشع والمنطقة الوسطى بأجمعها قدمت الخضوع والطاعة الى السلطان كما اطاعته مدن داقوق وشهرابان ، والهارونية ،

« ١ » عثمانلى تأريخى } ج ١ ص ٢٣٠ احمد راسم { تأريخ سیاسی دولت عليةعثمانية ج ١ ص ١٩٢ كامل باشا مكمل تأريخ عثماني ج ١ احمدرشيد و { ديوان فضولي }

كركوك ،خراسان وكلهرستان وغيرها من المدن العراقية الجنوبية والشمالية [١]

وما إن مضت مدة الزمن على تسلمه حكم البلاد حتى ظهرت آثاره واعماله الجليلة فمن آثار السلطان (سليمان القانوني) التي قام بها [٢]

١ ـ تعميره قصبة الأمام الأعظم ـ الجامع والمرقد ـ وان السلطان سليمان في (جمادي الآخر سنة ٩٤١ هـ) زار مرقد الامام الاعظم وأمر بتعمير قبته وقد رآها على وشك الانهيار وفي زمانه شرع في بناء قصبة الأمام الاعظم تخليداً له لما قدمه المسلمين من جهود لا تزال باقية وفي مرور الزمن أصبحت قضاءاً كبيراً في بغداد .

ب ـ رأى السلطان أن قد وهي مرقد الشيخ عبد القادر وأصبح متداعياً للخراب فأمر ان ترفع له قبة عالية ،وأن تتخذ عندها دار ضيافة للفقراء والارامل واهل البلد ومن حولهم فقاموا بالأمر .

ج ـ زار السلطان مرقدي الامامين (موسى بن الكاظم) و (محمد الجواد) ورتب لخدم الروضات وظائف وعين لهم رواتب نقدية تدفع لهم من خزانة بغداد ، كما أصدر أمراً بتكملة عمارة الحضرة التي بدأ بها الشاه اسماعيل وبنى جامعاً الى جانب تربة الامامين المذكورين .

ء ـ أما (تسجيل المملكة العراقية فكانت من اكبر اهتمام السلطان . فسجل الأملاك والمقاطعات في قيودات التسجيل وبلغت ٩٧٠ دفتراً وحفظت في خزانة محكمة الصنع لا يتطرق عليها الخطر .

هـ ـ نهر الحسينية : ـ

لم يوفق السلاطين السابقون ومنهم الشاه اسماعيل والشاه طهماسب لأستخراج

---

(١) مرآة الكائنات القسم السادس ص ١٢٥ .

(٢) من كتاب تأريخ العراق بين احتلالين) ج٤

هذا النهر ولكنه استطاع اكماله واجراء مائه الى كربلاء فأحياها بعد أن أوشكت ان تهلك من العطش . و ـ ثم قسم العراق الى خمس ايالات :

١ ـ ايالة بغداد ـ ٢ ـ ايالة البصرة ـ ٣ ـ ايالة الموصل ـ ٤ ـ ايالة شهرزور ٥ ـ ايالة الأحساء .

وفى اثناء رجوع موكب السلطان مر بكركوك ومكث فيها مدة من الزمن (تفصيل هذه السفرة في كتابنا تأريخ كركوك المعد للطبع) وهكذا تم تسلم الأتراك ادارة العراق .

غير أن الحالة لم تدم بغير منغصات اذ حدث فيها حوادث لم تكن في البال وقد سببت تلك الحوادث مشكلات جديدة بين الأتراك والعجم وأهمها حادثة قتل (بكر صوباش)والي بغداد (يوسف باشا)في سنة (١٠٣٢ هـ ـ ١٦٢٢م) والتجائه لحماية الشاه عباس) فتدخل الشاه عباس في الأمر فارسل جيشاً قوامه (٣٠,٠٠٠) نسمة وفى مقدمته (صوفي قولي خان) فوصل الى بغداد ومعه ثلثمائة جندي لمعاونة(بكر صوباش) وأخذ العاصى (بكر) يلعب على الحبلين كما يقول المثل فشجع مجيء الفرس ليهدد بهم الاتراك بتسليمه بغداد الى العجم ان لم ينصبوه والياً « ان حافظ باشا » الذي كان وصل بغداد لمحاربته قدر الموقف وقرر بعد المذاكرة مع قادة جيشه نصب « بكر صوباشي » والياً على بغداد على أن يقوم بالدفاع عن المدينة ليرد جيش الفرس [1] وقرر اعطاءه قوة لتعزيز قوته . لذلك تراجع حافظ باشا نحو الموصل . غير أن الشاه عباس تقدم وحاصر بغداد وفتحها في (١٠٣٣ هـ ـ ١٦٢٣ م » ثم تقدم نحو الموصل واستولى على الموصل وكركوك[2] وعلى اثرها غضب سلطان الدولة العثمانية(السلطان مراد الرابع

---

(١) تأريخ نعيما ج ٢ ص ٢٨٦ و ٢٩٦

(٢) تأريخ نعيما ج٣ .

واصبح استرجاع بغداد من اهم الأمور التي كانت تشغل باله ويود القيام بها في اول فرصة تتاح له ، ولكن وقوع بعض الحوادث الداخلية والخارجية أخر هذا الأمر . أما استرجاع الموصل فقد تم على يد (كوجك احمد) لانه تمكن من دخول المدينة بجماعة يبلغ عددهم خمسمائة .

ثم التحق مع جماعته بقوة « حسن باشا الجركس » والي « قرهمان » فتوجهوا نحو « آلتون كوبرى » في سنة « ١٠٣٤ هـ - ١٦٢٤ م » . وتمكنوا من التغلب على القزلباشية ثم دخلوا مدينة (كركوك) .

لقد قامت الدولة العثمانية بمحاولات عديدة لاسترجاع بغداد ومن أهمها سفر السلطان « مراد الرابع » بنفسه حيث أصدر فرماناً فى سنة « ١٠٤٧ هـ - ١٦٣٧ م » التهيؤ للسفر فتقدم بجيش كثير العدد فحاصر بغداد وفتحها فى سنة « ١٠٤٨ هـ - ١٦٣٨ م) (١)

وبعد ذلك التاريخ بقي العراق بيد الدولة العثمانية برغم حدوث بعض الحركات الانفصالية الموقتة والهجمات الفارسية الا أنها لم تنجح وبقى العراق من شماله الى جنوبه تحت ادارة الدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى .

٢ ـ الحالة الاجتماعية والنفسية

فى الشعب العثمانى

ان هذا البحث اذا أردنا التعمق فيه والتفصيل في ايضاحه يحتاج الى مجلدات ضخمه ولكن مع اعترافنا بصعوبة الاختصار فيه نحاول التطرق اليه ببعض الشيء ليستطيع القارىء معرفة تلك الحالة .

---

(١) تأريخ نعيما ج٣

ان الدولة العثمانية التي أسست في آسيا الصغرى قد رأينا كيف تمكنت من التوسع في الحكم بحيث إصبح لها ملك واسع في ثلاث قارات الدنيا وهي آسيا افريقية ، اوربا) ففي القرن الثامن كانت تحكم « آسيا الصغرى والعراق وسورية وشبه جزيرة العرب) في قارة آسيا وشبه جزيرة البلقان بأجمعها في اوربا وشمالي افريقية .

وعلى الرغم من وجود التماس المستمر بين رجال الدولة العثمانية والأوروبيين الذين شعروا بضرورة تغيير الحكم وجعلوه ديمقراطياً نسبياً بقي رجال الدولة العثمانية على ادارة الدولة كما عليه الحالة من قبل اذ الحكم فيها للسلطان الذي يعد نفسه « ظل الله على الأرض » يأمر فيطاع وحكمه يجب تنفيــذه ولا مبدل لحكمه أبداً .

وان أصوات الشعب ومطاليبه الحقة لم يكن يسمعها السلطان ولا يصغي اليها وقد حال بينه وبين الشعب ستار منيع من رجال البلاط والجواسيس الكثيرين المقربين اليه زلفى ، فحالوا بينه وبين الشعب وبين كل اصلاح وخير أو وسوسوا له بالخوف من مطاليب الأمة وارتكبوا باسمه ما أرادوا تاركين الشعب ومطاليبه وراءهم ظهرياً بل كان همهم الوحيد العمل لمصالحهم الخاصة ومصالح فئة معلومة ويمكن القول إنه كان يفضل مصالح الأجانب على مصلحة الوطن .

وكانت الدولة دولة اسلامية في ظاهرها أما في الحقيقة فلا يوجد من بين ذوي المناصب الرفيعة الذين كان لهم زمام الحكم مسلمون مخلصون الا القليل ، وطالما شغل الوظائف اشخاص اكثرهم لايمتون الى الدين الاسلامي بصلة .

ولا بأس علينا أن نقول شيئاً من الحقائق التي يعترف بها كل شخص ذو ضمير حي . إن الأوروبين كانوا يكرهون الأتراك كرهاً لا مثيل له والسبب الحقيقي هو كون الأتراك حمـاة الدين الأسلامي منذ مئات السنين ثم ان الحروب الصليبية التي بدأت عام ١٠٩٦ م وانتهت في عام ١٢٩١ م (١) وذلك بين الاوربين من جهة وبين العرب والترك من جهة اخرى كان لها وقع عظيم في نفوس الأوربيين وهم لم يروا استعمالا للسلاح كاستعمال الأتراك ولم يروا من قبل عزماً وصبراً واستشهاداً مثلما اظهره الاتراك فوجدوا الفرصة مواتية بسبب ضعف الدولة العثمانية ، وأخذوا يحملون حملة شعواء ويبثون سمومهم في كل مكان وينشرون الدعايات الكاذبة والفكرة السيئة ضد الأتراك وهذه الفكرة لم يستروها حينذاك بل اظهروها دوماً في مناسبات كثيرة وخاصة في الساحات السياسية كيف لا يكرهون الأتراك وهم الذين وجدوا في الأتراك إيماناً يقظاً فلم تأخذهم في الحق لومة لائم .

ان الجروح التي حدثت من جراء نتائج الحروب الصليبية في جسم الدولة المسيحية الاوروبية لم تندمل بمر الأيام والسنين بل لم تزل تؤلمهم دوماً كما اخذوا يرتلون اغنيتها الحزينة على مسامع أولادهم ، وقد كان اليهود يؤيدون فيهم كل حرب استعمارية لكي يستغلوها بأفظع انواع الاستغلال . ولعلهم من انهم لم يظفروا في املهم - بتأسيس دولة يهودية في الأرض المقدسة - الا بعد انقراض الدولة العثمانية .

وان كانت حالة المسؤولين في الدولة واهمالهم احوال الشعب ومطاليبه مع اعتماد السلطنة العثمانية عليهم وترك الامور بايدي الأشخاص الذين لا يعتون

---

(١) ونستطيع القول بأن الحروب الصليبية قد بدأها السلاجقة المعسكرون في نيتية في اسيا وختمها الاتراك العثمانيون المعسكرون في اوربا نفسها على نهر الدانوب (تراث الاسلام ، ج ١ ص ١٤٦ وبالحرى انتهت بانهيار الدولة العثمانية - المؤلف) .

الى الدين الأسلامي ولا الامة بصلة من قريب ولا من بعيد الا قليلا فان ذلك من الاخطاء التي ارتكبها السلطان فى اعماله وتفكيره وهوه واهماله لمملكته .

ان اسباب تأخر الدولة وتضعضع اركانها وجعلها غنيمة باردة سهلة المنال هو من اعمال الاجانب الذين سيروا الأشخاص المسؤولين والذين لهم اليد الطولى في الدولة ، وان نتائج اعمالهم أنهم « لم يبقوا في البلاد أثراً من الحرية حرية الكلام والنشر والصحافة ، وحرية العمل الحزبي ، حتى المسؤولين حرموا ذكر كلمات الحرية ، الدستور ، القانون الاساسى ، الجمهورية ، الخلع ، الثورة العدل ، الظلم ، الاستبداد ، البرلمان ، وغير ذلك من الكلمات (١)

كان الخوف شاملا جميع الطبقات واضطر الناس الى ان يقولوا بالسنتهم خلاف ما يضمرون ، وأن يتقبلوا الجور والارهاب بصبر خشية أن يساقوا الى المنافي والسجون ، وهناك فئة من الناس اعتادت النفاق والملق ، وتمرغت على أعتاب الحاكمين حباً للجاه وضماناً للمنافع الذاتية (٢) والغدر وعدم حرمة الفرد أمور كانت من شأن الحكام فى العراق يومذاك وفي البلاد العربية الأخرى التي كانت تحت حكمهم ، كما كانت من شأن الحكام فى الاناضول والبلقان .

ان الحالة الاجتماعية الفاسدة في الدولة وفقدان الامن من نتائج سوء الادارة ، واصبح اللصوص وقطاع الطرق في مأمن من العقاب ، يرتكبون جرائمهم في وضح النهار دون خوف حتى اخذ الناس يحرسون ممتلكاتهم بانفسهم (٣) .

أما الحالة الصحية والوقاية الصحية فكلمة لم يفهم معناها أصحاب الشأن

---

(١) (في غمرة النضال مذكرات سليمان فيضي ص ٤٨

(٢) (في غمرة النضال) ص ٤٩

(٣) (في غمرة النضال) ص ٥١

آنذاك وأما الاطباء فيندر أن يوجد منهم اكثر من واحد فى مركز اللواء حين انتشر وباء الطاعون والهيضة وفتك بعشرات الألوف من الناس. وكانت المستشفيات قليلة العدد ايضاً (١)

أما العدل والادارة والتجنيد فنختصر الكلام عليها بقوله « فالمناصب والوظائف كانت تمنح لغير مستحقيها ،وكان القانون يتضاءل عند رغبات المتنفذين وكانت المحسوبية والوساطة أمضى سلاح للتقدم. وأما الرشوة فكانت طابعاً ملازماً لكثير من الموظفين. وفي الامكان القول مع ذلك بأن الحكومة كانت غير خالية من الموظفين الأخيار والحكام النزيهين والولاة المنصفين على أن الموجودين منهم ايضاً لم يكونوا يتمكنون من ارضاء ضمائرهم في تيار ذلك الفساد (٣)

أما الثقافة والتعلم والتعليم فكانت متأخرة في جميع ربوع ممالك العثمانيين والجهل يسود البلاد العربية كما يسود الاناضول. إن الحالة الاجتماعية في الدولة كانت على هذا المنوال والنفسية مترجرجة في جميع الشعب العثمانى « عربياً كان أو تركياً او كردياً، مسلمين كانوا أو نصارى » كان الفرد يعيش في اليأس. وعند خروجه من داره مخاطراً بحياته أينما كان ومن أي وقت كان، لا يسلم من الأذى لا الغني ولا الفقير الا من كان من ذوي النفوذ وكان التبرم ضارباً اطنابه شاملا جميع الشعب ولما كان لكل شيء حدود وانتهاء اسست لذلك جمعيات سرية تضاد الوضع والاستبداد وتضع حداً لهذه التصرفات التي لم تكن من مصلحة الامة في شيء بل جعلتها في تأخر عن المسير نحو النهوض والرقي كما فعلت سائر الأمم، ومن هذه الجمعيات جمعيات سرية للروم، والارمن والالبانيين وألف

« ١ ـ ٣ » (فى ثمرة النضال) ص ٥٣ ـ ٥٤ .

(٢) (تأريخ القضية العراقية) ج ١ ص ١٦ .

العرب أول جمعية سياسية رسمية في سنة ١٣٢٦ هـ باسم « جمعية الأخاء العربي العثماني » وفتحوا نادياً باسم « نادي الاخاء العربي العثماني » كما أن الاتراك ألفوا « حزب الاتحاد والترقي » . وكانت اهداف هذه الاحزاب والجمعيات التي اسسها المسلمون القضاء على الوضع الذي هم فيه وتجديد بناء كيان رصين للدولة يتفق هو والعدالة والرفاهية بين الشعب على حد سواء لا فرق بين زيد وعمر والخ .

وتشكيل ادارة جديدة تضمن رفاهية وسعادة الأمة . وتأمين الحقوق لكافة العناصر والطوائف في الدولة ، لا فرق بينهم . وقد ثار الشعب العثماني « عرباً واتراكاً واكراداً والبانا وبلغارا ويونانا ومصرياً » على الدولة في اوقات متفاوتة مطالبين بحقوقهم التي كانوا يعملون من أجلها .

٣ ـ الثورات الداخلية والحركات الانفصالية

في الدولة :ـ

لقد أوضحنا باختصار الحالة النفسية والاجتماعية في الشعب العثماني في المبحث المقدم وقلنا إن العناصر والطوائف شكلت جمعيات سرية وعلنية بأسماء مختلفة وغايتها القضاء على الحالة الحاضرة والفساد ومحاولة الانفصال من الدولة .

يجب الأعتراف هنا بأن القوميات الاسلامية في الدولة كانت همها في بادي الأمر الأصلاح ، فناشد مفكرو الأتراك وكتابها الدولة مطالبين بالأصلاح العام كما طالب قسم منهم تغيير الادارة وتنظيم الدولة على شكل يلائم وضع العصر فكان مصيرهم السجن والنفي والاعدام .

هذا وان « مدحت باشا » كان داهياً وقد جازف بحياته وألح على المسؤولين بضرورة إدخال بعض الاصلاحات في الدولة غير أن نتيجة ذلك كانت انه اعدم

في منفاه « الطائف » .

إن مفكري الاتراك حتى في أثناء حكم الأتحاديين كانوا في آراء مختلفة فنهم من كان يقول بوجوب ادماج جميع العناصر في الوحدة التركية ، ومنهم من يطلب « اتحاد الاسلام » ومنهم من يطلب اعطاء الحكم الذاتي للعناصر الاخرى وخاصة العرب . وثورة القوميات المسيحية على الدولة العثمانية نالت غايتها بمعاونة الدول الكبرى المبغضة للاتراك اصلا ولم يبق تحت حكم الدولة غير « العرب والترك » وذوي الاقليات الاخرى . وإيا كان شعور الشعب التركي نحو الدولة العثمانية فقد كانوا اهدأ في تصرفاتهم تجاه الدولة « حيث نجد من تأريخ تركيا إشارات كثيرة الى روح الطاعة التي كان الشعب التركي يظهرها للسلطة . وادى هذا في القديم الى الاستقرار السياسي » (١) فهم هذا لم يقفوا مغلولي الايدي تجاه ظلم رجال الحكم في الدولة فثاروا مرات في اوقات مختلفة كما سنذكره في محله من هذا الكتاب .

٤ ـ ثورة العرب على الدولة العثمانية

ثورة العرب وانفصالهم عن الدولة :-

لقد بينا فيما مضى الحالة الاجتماعية في الدولة واسباب انهيارها وقد شعر المسؤولون في الدولة بهذا النقص الذي حصل وحاولوا القيام باصلاحات في نواح كثيرة الا انهم لم يفلحوا لاسباب كثيرة منها التدخل الاجنبي .

---

(١) الاسلام في نظر الغرب ص ١٨١ منه البحث الاسلام في تركية الحديثة بقلم جون كينجلي بيرج .

اما فكرة التسامح على العرب واعطائهم بعض الامتيازات فقد ناشد بها كثير من المفكرين وكتاب الترك وللمثال نذكر ما قال (جلال نوري) .

(من المؤسف انه لم يعن اليوم باللغة العربية ولم تعر شيئاً من الاهتمام . والدولة العثمانية غير مبرأة من خطئها هذا إن كانت اللغة التركية لسان الدولة السياسيه فان اللغة العربية لسانها الديني . . . وفي الواقع ان تدريس اللغة العربية في المدارس وان كان اجبارياً فاصول تدريسها رديئة كما ان عدم كفائة المعلمين مما سبب عدم الاستفادة من هذه الدروس . . . بناء على كون اللغة العربية لغة عامة بين المجتمع الاسلامي وجب علينا الاهتمام بها . . إن تجريدنا من العرب خطيئة(١) .

كما ان الاتحاديين في اثناء تسلمهم الحكم في الدولة العثمانيه اصدروا قراراً رسمياً في اغسطس سنة ١٩١٣ م وغايتهم منه ارضاء العرب . كان القرار كما يأتي :

(إنه بالنظر الى الضرورات واختلاف الامزجة . في الولايات العثمانية والى وجوب ترقية البلاد واسعاد اهلها وزيادة رفاهيتهم تقرر بعد الاتكال على الله ومفاوضه الولايات : —

١ ـ أن يعهد بادارة الاوقاف الموقوفة على عمل الخير البلدي بحسب شروط الواقف الى مجالس الجماعات في الولايات وذلك بموجب قانون جديد ينشر قريباً .

٢ ـ أن تكون الخدمة العسكرية في زمن السلم في دائرة التفتيش إلا إذا رأت الحكومة لسبب ماحشد قسم من الجنود في جبهة من الجهات فترسل العساكر على الطريقة النسبية الى الولايات البعيدة كاليمن والحجاز وعسير ونجد .

٣ ـ ان يكون التدريس باللغة العربية فى جميع مدارس الولايات التى يتكلم

---

(١) (اتحاد الاسلام) جلال نوري ص ٧١

ذوو الاكثرية من سكانها هذه اللغة فيجب مباشرة ذلك الآن في المكاتب الرشدية والاعدادية وتوفير اسباب التدريس العالي بلغه ذوى الاكثرية ايضاً بشرط ان يبقى التدريس باللغة التركية كما كان في المكاتب الاعدادية .

٤ ـ ان يعين المأمورون من الواقفين على اللغة العربية علاوة على اللغة الرسمية التركية وتعين الحكومة المركزية المأمورين الذين يقتضى لتعيينهم ارادة سية ، أما المأمورون الثانويون فيعينون بمقتضى القانون الجديد .

٥ ـ وقد جاء في قانون الولايات الجديد أن نفقات البلدية ولاسيما ميزانية المعارف العاجزة والأشغال تضاف الى ميزانية الولاية وعلى الولاية ان تخرج عن دائرة الصلاحية الممنوحة لها من قانون الولايات فيجب بذل الهمة فى ذلك.) انتهى .

هذه هي الاصلاحات التى منحتها الحكومة الاتحادية للعرب فقبلتها حسماً للخلاف . وقد كان لهذا القرار أحسن وقع في بعض الأندية العربية ولا سيما في الأستانة لأن جمعية الاتحاد والترقي التي اخذت زمام أمور الدولة العثمانية بيدها كانت قد وعدت زعماء العرب رسمياً بأنها عازمة على إجابة كل مطالبهم وأنها لم نشأ أن تعلن ذلك في الصحف لئلا تطمع سائر العناصر العثمانية فيها وتحذو حذو العرب معها . وفي الساعة (٣ بعد ظهر الثلاثاء في ٥ آغسطس ١٩١٣ م) قابل وفد من أبناء العرب الصدر الاعظم وشكر للحكومة وعودها وطالبها بالتعجيل في البر بها ، وتنفيذها ، فوعدهم الصدر وعداً حسناً وفي مساء اليوم أولمت الشبيبة العربية ولمية شائقة في فندق (طوقتا تليان) لرجال الترك وفيهم طلعت باشا وانور باشا وجمال باشا وتبادل الطرفان الخطب وأعربوا عن سرورهم لازالة سوء التفاهم بين الترك والعرب. وعلى اثر ذلك أبرق معتمد النادي العربي (عبد الكريم خليل) إلى باريس يدعو أعضاء المؤتمر العربي الى الحضور لرقابة تنفيذ الاصلاحات فأوفد المؤتمر ثلاثة من أعضائه فوصلوا الى الاستانه في ٥ آب ١٩١٣ م وشرعوا

يفاوضون رجال الحكومة وأهل الحل والعقد وفى (٢٣ آب) قابلوا السلطان محمدرشاد وأعربوا له عن تعلق العرب بالعرش العثماني ورجوا منه أن يأمر الحكومة بتنفيذ الاصلاح وزاروا ولي العهد (يوسف عز الدين) أفندى في (٢٧ آب) فوعدهم باسراع الاصلاحات المطلوبة وفي مساء ذلك اليوم أولمت جمعية الاتحاد والترقي وليمة شائقة باسم الشبيبة العربية ودعت اليها وفد الاصلاح والوزراء وجماعة من عظماء الترك والعرب في الاستانه وتبادل الطرفان الخطب الرنانة أيضاً وأعربوا فيها عن رأيهم في إزالة سوء التفاهم و تنفيذ الاصلاح الموعود .

ولكن الحكومة الاتحادية منحت تلك القرارات السالف ذكرها والوعود على الورق حسب ، ولم تطبق منها شيئاً (١) او لم يسمح الزمن ولا الأحوال على تطبيق المشروع ولا على تحقيقه (٢) (كما يدعون)

لم يبق أمل للعرب في الصبر ولذا نشطوا الى أعمالهم تمهيداً لحركاتهم الانفصالية وقد علقوا نجاحهم على زعيمهم الخالد صاحب الجلالة ساكن الجنان (الملك حسين) شريف (مكة المكرمة) فقد كانت له شخصية بارزة ودهاء ونفوذ لايملكها غيره وكانت له قصة تأريخية قبل اعلانه الثورة نسردها :

فقد كان يهابه (السلطان عبد الحميد خان) ولذا اعطى إمارة الحجاز (الشريف عوناً) وعلى أثر التنازع بين الشريفين مكث الملك حسين في إستانبول مدة ١٧ سنة . وعندما كان يشار على السلطان عبد الحميد بتعيين الملك حسين امارة مكة المكرمة يقول بل إني اعتقد أن المشار اليه لايكتفي بالامارة ، بل يطمح إلى اكثر من ذلك و يهدد يوماً ما عرشي .

---

(١) تأريخ مقدرات العراق السياسية ج١ ص١٧٢ . ألفه أمين العمري ونشر بأسم اخيه هادي العمري

(٢) جريدة خبر التركية . ايلول ١٩٤٥ للكاتب التركي حسين جاهد يالجين

ولما خلع السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ م عين الاتحاديون الشريف حسين باشا أميراً لمكة المكرمة ولما سمع السلطان عبد الحميد بتعيينه هذا قال : لقد خرجت الحجاز من يدنا واستقل العرب وتشتت ملك آل عثمان بتعيين هذا الرجل للامارة ويا ليت أنه يكتفي بأمارة مكة وباستقلال العرب فقط ، ولكنه سوف يعمل بدهائه الى أن ينال مقام الخلافة العظمى نفسه (١)

يقول المفكر التركي جلال نوري لا ينكر نفوذ أمير مكة ومع ان ولاية الحجاز سياسياً تابعة للدولة العثمانية . فأمارة مكة كانت خارج سلطة الدولة وصداقة الامارة للعائلة العثمانية آمالنا الخالصة . . . . إن من أهم مسائل الدولة ، في الايام القليلة الآتية يمكن ظهور خطرها ، أما إدارتها إدارة حسنة فتشكل قوة عظيمة للدولة (٢)

فكر المغفور له في وجوب القيام على الاتحاديين والتشبث باستقلال العرب وكان له الاتصال بالأحزاب السياسية التي تؤيده في تفكيره .

اعتقد المغفور له أن لا فلاح للعرب من دون معاضدة دولة اجنبية فرجح أن يفاوض الانكليز فاغتنم فرصة ذهاب الأمير عبد الله الى الاستانة على طريق مصر عام ١٩١٤ م قبل نشوب الحرب فأوعز اليه بأن يقابل اللورد (كيجنر) ويفاوضه في الامر . وتمت المقابلة بين الأمير عبد الله واللورد كيجنر فعرض عليه مطاليب والده الملك حسين ولكن لم يتفقا على شي .

وبعد نشوب الحرب العالمية الاولى جرت مخابرات بين السير هنري (مكماهون) ممثل انكلترا في مصر والملك حسين وبالنتيجة تم الأتفاق وأرسل السير هنري مكماهون بالاتفاقية بعد امضائه لها الى الملك حسين مع الكتاب الآتي :

---

(٢) تأريخ مقدرات العراق السياسية ج ١ ص ١٧٧ .
(١) اتحاد الاسلام ص ٧٤ .

أمرت أن أبلغكم أن حكومتي قبلت كل مطاليبكم وانها تتعهد ان ترسل بكل ما طلبتموه (١)

فأطلق سيد العرب والاسلام ساكن الشريف حسين رصاصته الأولى في مكة في ٩ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ ٢٥ يونيو ١٩١٧ م وأسرع الضباط العرب عامة والضباط العراقيون خاصة من معسكرا الدولة العثمانية ومن من قبل الاسر في الهند وغيرها الى الانضمام الى لواء الثورة في الحجاز ، فاخذوا على عواتقهم تنظيم جيوشها وتوسيع نطاقها ، حتى امتدت من مكة إلى شواطىء الفرات الأعلى . ومن الذين قادوا قوات الثورة خير قيادة أبجال الشريف ساكن الجنان صاحب الجلالة الملك فيصل الاول ملك العراق وساكن الجنان صاحب الجلالة الملك عبد الله ملك المملكة الأردنية وصاحب الفخامة نورى باشا السعيد رئيس وزراء الحكومة العراقية الحالية وصاحب الفخامة جعفر باشا العسكرى وغيرهم

نعم ثارت الأمة العربية على الدولة العثمانية ثورتها الكبرى في ٩ شعبان ولكن زعم المبغضون والا نتهازيون أن هذه الثورة كانت ناشئة عن الكراهية والعداوة بين العرب والترك وانا أقول ان زعمهم هذا باطل وبالحرى افتراء على أبناء الأمتين في آن واحد .

إن الامتين كما ذكرنا في الفصلين السابقين لهما تأريخ مشترك سمي بتاريخ الامة الاسلامية وقد أسسا الحضارة والمدنية المشتركة التي سميت بالحضارة الاسلامية وأسسا دولا وامبراطوريات فى عصور مختلفة ـ لم يسمها التأريخ بالدولة العربية أو الدولة التركية بل سميت بالدولة الأسلامية فكيف يا ترى بعد هذه العوامل يدعي المفرقون ان العداوه والبغضاء قائمتان بين العرب والترك! نعم ثار العرب على الدولة العثمانية ولم يثوروا على إخوانهم الأتراك لأن اخوانهم الاتراك هم ايضاً ثاروا كثورتهم

(١) تأريخ مقدرات العراق السياسية ج ١ ص ١٧٧

على الدولة العثمانية البالية .

ثار العرب على الدولة العثمانية مطالبين بحقوقهم وسيادتهم وحياة تضمن لهم الرفاهية والسعادة ، قام العرب بثورتهم ليتمكنوا من اعادة اعلاء الحضارة الاسلامية عوداً على بدء بعد ركودها فترة من الزمن وهذه اسباب ثورتهم ، ولم تكن هناك عداوة قائمة بين الامتين العربية والتركيه فلو كانت ما استطاعوا أن يعيشوا قروناً خلت كعائلة واحدة فكيف يدعي هؤلاء ان العداوة احد أسباب الثورة .

اكرر ثانية مذكراً الثرثارين بان العرب لم يقوموا بثورتهم الكبرى على الاتراك بل قاموا بها على ادارة الدولة العثمانية الغاشمة .

عندما نطالع الكتب التركية التي ألفت في العصر العثماني أو بعده نرى ان الاتراك هم كانوا أيضاً متبرمين وغير راضين بما قام به حكام الدولة العثمانية من الظلم وهي منهارة على وشك الفناء إذ كانت تعامل الشعوب نفس المعاملة لهم فان ابناء الاتراك الساكنين في الاناضول لم يكونوا بحال احسن من العرب فى الحجاز أو في العراق او في سوريا وانتا نرى بين الاتراك من يسمى باسم ابيه كـ « محمد اوغلى محمد » « محمد بن محمد » ذلك عادة لدى الاتراك حيث يطلق اسم الاب على الابن اذا استشهد الاب قبل ولادة الابن وكان ثقل الجيش محمولا على الاتراك بالدرجة الاولى فالتركي الذي يستنفر الى الجيش لايرجع الى اهله ولذا كثيراً ما كان الآباء يزوجون اولادهم قبل الاوان ليتركوا بينهم اولاداً تذكاراً منهم . واستناداً الى الحوادث التأريخية يكون فى الامكان القول ان حياة العرب في سوريا والحجاز وحتى فى العراق ومصر كانت احسن من حياة الاتراك الذين يعيشون فى اسيا الصغرى بكثير .

وكان الشعب العثماني « ومن ضمنهم العرب والترك » يعيشون في اضطراب

غير مطمئنين على حياتهم ومستقبل ابناءهم كما قلنا ، لأن الحرب والقتال والنهب والسلب ، والنفي والاعدام ،ماثلة لاعينهم . وكان جواسيس الدولة منبثين في كل مجتمع وكانت افواه الشعب مقفلة لاتتمكن أن تتفوه بصغيرة من الكلمة ولا بكبيرة .

٥ - ثورة الاتراك على الدولة العثمانية

ان الاتراك كسائر اخوانهم العرب والشعوب الاخرى التي كانت تحت حكم الدولة العثمانية كانوا متألمين من سوء معاملة رجال الحكم في الدولة ومتبرمين بسوء الحالة التي وصل اليها الشعب العثماني « العرب والترك والكرد ، والاقوام المسيحية » لكنهم تحملوا كل ذلك لأن الاية الكريمة « اطيعوا الله والرسول وأولي الامر منكم » صريحة مصرحه بوجوب الطاعة ولا يمكن كل مسلم مخالفتها وعلى هذا كيف يجوز القيام على السلطان وهو خليفة الله وظله على الارض ؟ .

وقد نشأت ونمت في ارض تركيا حركة فكرية كانت تغذيها وتسقيها بالعناية جماعة من اذكياء العثمانيين ومنذ منتصف القرن التاسع عشر ظهر تأثير آداب لغات الغربيين في التعليم والتربية في جماعة من أذكياء شبان الترك وبعد ان كان الترك الذين يعرفون الفرنسية قبل سنة ١٨٥٠ يعدون عداً لقلتهم أصبح كل رجل وامرأة بعد ذلك تدعي انها على شيء من التعليم والتربية على علم شيء من تلك اللغة قراءة ومحادثة وقد ترجمت في السنوات الاخيرة الى التركية كتب ومؤلفات فرنسية لاتحصى في العلوم الطبيعية والموضوعات الادبية بحيث تمكن الذين يجهلون اللغات الاوربية من الوقوف على درجه التفكير الاوربي وقد اصبح علماء الترك وادباؤهم

يسيرون على النهج الفرنسي في الفلسفة والتمثيل والروايات التمثيلية والشعر . كان مقدام هذه الحركة المباركة (شناسي افندي) الذي نقل في سنة ١٨٥٩ شيئاً كثيراً من الشعر الفرنسي ثم انشأ في القسطنطينية جريدة لترويج واذاعة الاراء الاوربية وقد عضده كل من (كمال) و «ضياء» بحيث انه في سنة ١٨٧٥، ١٨٧٦ اقلقت الافكار الحرة العصرية التي انتشرت في طول البلاد وعرضها بال الحكومة العثمانية وازعجتها كثيراً فاتخذت كل الاجرآت الشديدة لصدها وتوقيف تيارها والضرب على ايدى اربابها وبعد موتهم خيل للناس ان النصر النهائي كان لارباب القديم الرجعيين ، غير أن الحركة لم تنقطع جذورها بل ظلت تعمل مستمرة في بطء وخفاء وكان لابد من ظهورها يوماً ما وتغلبها على رجال المابين المتحكمين في شؤون الدولة وادارتها . وفي الجدال بين فريقين راح كثير من أذكياء الترك ومفكريهم شهداء اذاعة المبادى الحديثة(١)

وعلى أثر مرض السلطان « مراد الخامس » عزل ونصب عوضه السلطان (عبد الحميد خان الثاني) في (٢٩٣ هـ - آب ٨٧٦ م) ولم يكن ذلك الا طليعة انقلاب الاتراك على الدولة حيث ان الداهية المرحوم « مدحت باشا » كان في زمن السلطان مراد الخامس قد أعد قانوناً تأسيسياً يتضمن قضايا واصلاحات لشتي نواحي الدولة وكان شاملا اهداف « تركيا الفتاة » واستفاد من اجتماع الوزراء والعلماء وأعيان الدولة الذين اجتمعوا المذاكرة في مشكلات الدولة فعرض عليهم مسوداته وقبلوا بالاجماع مواده الاساسية وتركوا الفروع لتصميمها من قبل اللجنة التي تألفت برئاسة « مدحت باشا » نفسه(٢)

وقد اطلع مدحت باشا السلطان عبد الحميد على مسودات (القانون

---

(١) (تاريخ المسألة الشرقية ص ٩٠ - ٩٢ حسين لبيب
(٢) كتاب مدحت باشا ص ١٨٢ علي حيدر مدحت

الاساسى) قبل مبايعته بالخلافة ووعده تنفيذه بعد مباشرته الحكم . كما ان السلطان قد اجرى على القانون بعض التعديلات ومن جملتها أنه أضاف الى المادة « ١١٣ » فقرة واحدة اعطت حقاً للسلطان بابعاد كل من يخل بالامن الى خارج البلاد ، ونفذت هذه الفقرة لأول مرة بعد تصديق القانون في « ١٨٧٦ م » على مدحت باشا فابعده (في سنة ١٨٧٧) بعد عزله من الصدارة الى اوربا (١) وبعد مكوثه مدة من الزمن عاد ونفاه الى الطائف وهناك أعدم خنقاً في (١٣٠١هـ)

إن الحوادث السابقة حول خلع السلاطين ونصب غيرهم مما اشغل بال السلطان عبد الحميد وكان يحاذر دائماً ان يخلع او يقتل ولذا اسقط نفوذ الباب العالى (اي مجلس النواب) من جهة ومن جهة اخرى تمكن بالتعقيبات والتضييقات من القضاء على جميع الحريات الاولية التي اعطيت سابقاً وجعل حكمه على شكل حكم اجباري (دكتاتوري) مستبداً طوال مدة حكمه « ٣٠ » سنة .

ولكن جماعة « تركيا الفتاة » كانت تستجمع قواها فى خفاء وصمت ولم يكن المنصبون في باريس وجنيف ولندن ادباء فقط لهم افكار وآمال سابقة كثيراً لأوانها بل كانوا متشرعين وأساتذة في الطب والعلوم الطبيعية منضما اليهم جماعة من الاعيان ايضاً والكل مشتركون فى مقت وكراهة حاشية السراي التي ملكت على السلطان أذنيه .

وقد بدؤا ينشرون في سنة ١٨٩٥ المطاعن في حكومة الاستانة لذلك العهد فكانوا كلما زادوا في التنديد بها زادت منع مطبوعاتهم من دخول البلاد وضاعفت الحكومة عدد الجواسيس وامرت بحجز كل مايرد الكمارك من الكتب والنشرات .

ثابر شبان « تركيا الفتاة » على تهريب مطبوعاتهم ومؤلفاتهم ودس

---

(١) تركيا تاريخي ص ٦٤٤ احمد حامد ـ مصطفى محسن

رجلهم ودعاتهم في كافة أنحاء السلطنة «١»

وكانت قد تألفت في جنيف سنة ١٨٩٠ من رجال تركيا الفتاة جمعية دعواها الاتحاد والترقي ثم انتقلوا بها الى سلانيك سنة ١٩٠٦ ثم كتبوا الى السلطان يطلبون اعادة تنفيذ دستور ١٨٧٦ فوافق السلطان على فتح مجلس النواب وافتتح مجلس المبعوثان واعلن اخلاصه الدائم للدستور «٢»

---

(١) تاريخ المسألة الشرقية ص ٩٣ تورك تاريخي ج ٣ ص ٣٤٢ - ٣٤٨ الدكتور رضا نور

(٢) وللمثال ندرج ادناه قطعة من اشعار الشاعر التركي محمد امين فهي خير دليل على تبرم الاتراك بادارة حكام الدولة قالها في ١٣٢٣ هـ. ذلك بمناسبة تدخل الضباط مثل (نيازي وأنور) بالامر والسلطان على اعادة الدستور (في ١٠ تموز ١٣٢٣ هـ).

شعرياساق ! . . اويله اولسون، وارك شعر يازديرمايك ،
شوملته جان ويره جك برصحيفه باصديرمايك ،
وحشت تمام اولمق ايچون هرمكتبي قاپانديرك ،
بخاري، شريف كبي قرآني ده طوبلاتديرك ! . . .

* * *

اگر بوندن اميدكز فكرلرى كورلتمكسه ،
قارانليقلار ايچره سنده قورقوسزجه ظلم ايتمكسه ،
شوني ابى بيلمكزكه اى غدارلر .
بوكون سزك قارشيكزده فرياد أيدن برملت وار .

* * *

او ملت كه قورو طوپراق اوزرنده ذليل ، سفيل ، =

غير أن ثورة رجعية قامت ١٩٠٩ في الاستانه بتحريض ودسائس عبد الحميد وبمعاونة الرجعيين وأنصار الحال القديمة فاحتل جماعة من الجنود قصر مجلس

= ایتدیککز ظلمردن بر دقیقه راحت دکل ،
آرقه سنده اغیر بربوك ، یاقه سنده دمیر پنجه ،
واللی یه حیات دیمك الك آجیقلی برا شکنجه .

* * *

صورارم که هانکی ملت بو حیاته قاتلانمشدر ،
اسارتی کندی یسیجون بر مقدس حق صانمشدر ،
ظلمه قارشی قهر مانجه طور مامشدر ،
تبه سنی قانلی تختلر آوزرینه اورمامشدر ؟ . .

* * *

بو دنیاده انسانلری حر یارادان جناب حق ،
هر ملته زنجیرینی قیردیرمشدر ، قیردیر تاجق ،
بونك ایچون حقز لقلر جاهللره فکر ویرر ،
ظالملرك كندی یلری مظلوملره یول کوسترر .

* * *

ایشته سزك ظلمکزك قودوردیغی شوطوپراقده ،
بوملت ده بانقلاب تاریخنی اوقو مقده ،
هر بوجاقده یانیق یانیق ایکیلده‌ین مظلوم سسی
اونك ایچون الك آتشلی برا ختلال منظومه سی ! . .

محمد امین « رسملی کتاب ۱۲ ـ ۳۰۳ »

المبعوثان . الامر الذي جعل رجال جمعية الاتحاد والترقي يصممون على نقضها فزحف المرحوم محمود شوكت باشا بجنوده على الاستانة لحماية الدستور الذي حلف له السلطان يمين الطاعة واشتبكت جنوده خمس ساعات بجنود أنصار الاستبداد ثم اجتمع أعضاء مجلس الاعيان والمبعوثان وقرئت عليهم الفتوى بخلع عبد الحميد بعد ذكر سائر سيئاته وأعماله مما لا ينطبق على نصوص الشرع الشريف فاصدروا قراراً بالاجماع بخلعه (فى سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٩ م) [1]) ونصبوا « السلطان محمد رشاد » خليفة . بعد تسلم الاتحاديين الحكم ، واخـــذوا يستبدون كيفما يشاؤون وفي زمانهم زاد التبرم والشقاق وشكلت جمعيات لقوميات مختلفة وكان العرب على رأس الاقوام المتبرمين لسوء الحالة التى كانوا عليها فى ذلك الوقت أيضاً . والاتحاديون هم المسببون خلق روح الانفصالية في نفوس الأمة العربية كما سببا جر (الدولة) الى ويلات الحرب العالمية الاولى . وبسوء ادارتهم وصلت الدولة الى ما وصلت اليه بعد الحرب فلم يبق لدى الأتراك وطن يسكنون فيه أحراراً فالبلاد قد احتلها الاجانب والخليفة يصدر أوامر يتلقاها أولا من القوات المحتلة . فثار الاتراك ثورتهم الكبرى على الدولة العثمانية التى اصبحت العوبة بيد الأوروبيين .

قام ساكن الجنان المرحوم « مصطفى كمال أتاتورك) بحركته المشهورة منذ وصوله الى « سامسون » من (١٩ مايس سنه ١٩١٩ م) وجمع حوله من الجنود المشردين والقطعات الثائرة (ونادى اما الاستقلال واما الموت) . وتمكن من طرد اليونان من أزمير وقوات فرنسا من جنوب الاناضول والانكليز من استانبول وأخرج الامة التركية من القبور فاسس جمهورية على انقاض الدولة البالية ، ووضع دستوره المشهور يطلب الفتية السلم فى البلاد وفى جميع أنحاء العالم .

---

(١) مكمل تأريخ عثماني ج٢ ص٥٦٦ - ٥٧٢ . تأريخ المسألة الشرقية ص٩٤ - ١٠١

وهكذا رأينا أن الأتراك هم أيضاً جاهدوا في سبيل الحرية وثاروا على الدولة العثمانية وأسسوا دولة ليس لها علاقة بالدولة المقروضة . ومد مصطفى كمال يده عاجلا ليصافح أمثالها من الدول التي تشكلت على أنقاض الامبراطورية العثمانية فى أوربا أو في أسيا وعلى رأسها الدولة العراقية الفتية ، وسنذكر ذلك في الفصل الرابع .

٦ ـ ثورات الاقوام المسيحية على الدولة (١)

ثورة في البلقان : ثارت الشعوب المسيحية التي تحت حكم الدولة العثمانية لأسباب عديدة منها سياسية ، ودينية ، وأجتماعية ، ونحن مستغنون عن تفصيلها غير أننا نحاول أن نلقى نظرة عابرة على الحركات الانفصالية التي قلمت الحكم الأسلامي في اوروبا .

(أفلاق وبغدان) : ـ

إن امارة (أفلاق) هي الوادي الواقع بين جبال (طونه وقاربات) كما ان إمارة (بغدان) هي الوادي الواقع بين جبال (طونة والبحر الأسود) وكانتا فى حكم (بيكوات) .

إن المسيحيين من سكان (أفلاق وبغدان) كانوا يشعرون بالتابعية العثمانية أقل من جميع الشعوب الأخرى التي كانت تحكمها الدولة العثمانية ، وذلك لاختلاف الدين .

وبيكواتهم كانوا يؤدون الخراج فقط الى الدولة . والأمة الاسلامية الغالبة لم تتمكن من الاختلاط بهم عند السكنى فى أراضيهم .

---

(١) اقتبست هذا البحث من كتاب (تأريخ سياسي) لمؤلفه شال سه نيوبوس) ترجمة تركية ج ٣ وكتب اخرى .

وعندما باشر الروس المشاغبة في ١٧٧٤ م وزعموا أنفسهم حماة الشعوب المسيحية ، أخذوا يؤثرون في الدولة العثمانية ويحددون لها الجزية التي كانت تؤخذ من (افلاق وبغدان) لم يكتفوا بهذا بل تدخلوا في شؤونها الى ان شكلت الدولة الرومانية في (١٨٥٦ ـ ٦٦) واعترفت الدولة العثمانية باستقلالها الداخلي على حسب اتفاقية (باريس) .

اليونان : ـ

لم يحافظ اليونان من تراثهم على غير اللسان والكنائس ، وكانت المملكة يديرها الولاة (العثمانيون) كما أنها كانت محتلة احتلالا عسكرياً ، وباشر اليونانيون اعادة مجدهم منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وكانت الدول الاوربية تؤيدهم . وتشكلت جمعيات كثيرة لأجل ايصال الشعب اليوناني إلى حكمه الذاتي . وبدأت الثورة اليونانية منذ عام ١٨٢٠ م ذلك بقيام (علي باشاتية دلنلي) بحركات على الدولة قاصداً إحياء مجد اليونان وجعل الادارة بيده .

إن عمل (على باشا) هذا مما شجع اليونانيين على القيام بثورتهم فى مختلف مناطق بلادهم غير أنها أخمدت (١٨٢٣ ـ ٢٤) في كل من (ثه بير) و (تساليه) و (كريد)ولكن اليونانيين استمروا على ثورتهم من(موره والجزائر) وقاوموا الأتراك أربع سنين (١٨٢١ ـ ٢٥) .

إن الحركة الانفصالية التي قامت بها اليونان وتوسعت بمرور الايام والسنين كانت من المسائل المهمة بين الدولة العثمانية والدول المسيحية ،ومساعدة الاوربيين لماركو بوتزاري تدل على تعصب ديني قبل دلالتها على تأييد للحرية .

واخيراً اضطرت الدولة العثمانية الى الاعتراف باستقلال اليونان حسب الاتفاقية التى وقعت في « أدرنة » فى عام « ١٨٢٩م » .

يوغسلافيا (الصرب) : -

بدأ العصيان في يوغسلافيا في سنة « ١٨٠٥ م » وثاروا على الحكم التركي وتمكن الثوار من الاستيلاء على مدينة « بلغراد » وكانت الحركة يديرها « ميلوش » وتمكن من تشكيل أمارة بلغراد وأجبر الدولة العثمانية على الاعتراف بها وكانت الدولة الروسية من المؤازرين لهذه الامارة وقد جعلت نفسها حامية لها .

وفي سنة ١٨٦ م تمكن (ميشل الذي حكم بعد ميلوش - من الحاق (بوسنة) و(هرسك) والجبل الأسود بامارته . وبمرور السنين والوضع الراهن في السياسة العالمية في حينه ولا سيما في الدول الاوربية والتدخل الفعلي تم تشكيل الدولة (اليوغوسلافية)

بلغاريا : -

ان البلغاريين كانوا فلاحين عند الحكام المسلمين وفي سنة ١٨٧٦ م أظهروا عصيانهم وكان ذلك بتدبير من الجمعية السرية التي كانت مؤلفة في (رومانيا) وبعد قتال طويل استولى الروس على البلاد وشكلوا الحكومة البلغارية ، وهكذا انتهى حكم الدولة العثمانية في اوروبا . واكتفينا بهذا القدر حيث كان اكثر من هذا البحث مذكور في اكثر الكتب التأريخية وخاصة التي تبحث في (المسألة الشرقية) .

٧ - العراق في دوري الاحتلال والانتداب

دخلت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وعلى أثرها كانت حملة (١) قد وصلت مياه شط العرب في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٤ وذلك للمحافظة

على المصالح البريطانية في العراق تلك المصالح التي نختصرها (١) كما يأتي :

أ - وضع العراق الجغرافي : ان العراق أحدى الطرق الرئيسة التى تهم انكلترا وترى وجوب السيطرة عليها لحماية عروقها الدموية ومشروع غذائها (الهند) . لان العراق واقعة في الشمال الشرقي من جزيرة العرب أقصر طريق بين الهند والبحر الابيض المتوسط وانكلترا كما ان خليج البصرة يشكل أقرب نقطة بين العراق والهند .

ب - نفط العراق : لا يخفى أن فكرة الاستغناء عن الفحم بالنفط في مواقد الاسطول قد تنبأ بها (لورد فيثر) منذ سنة ١٧٨٠ م وقال ان استخدام النفط يوفر على الاسطول نصف القيمة التي ينفقها من الفحم . وأن النفط في العراق كان معلوماً منذ اجيال لدى البشر وذلك لظهور النار الازلية وخروجها على سطح الأرض من غير عمل وعناء . وكان السياح الانكليز وغيرهم من الأوروبيين قد قدروا اهمية هذه المادة وكميتها راخذ التنافس يتظاهر بين الدول حول الاستفادة منها . فقد نالت المانيا في سنة ١٨٩٩ م موافقة السلطان عبد الحميد على مد خط حديد يبدأ من برلين وينتهي من الكويت ليكون هذا الخط بمثابة العمود الفقري للمشاريع الالمانية الاقتصادية في الدولة العثمانية ومنها استغلال « نفط العراق » فحسبت بريطانيا أن هذا المشروع لم يكن الا مقاومة لنفوذها في الشرق الاوسط وتهديداً لمصالحها السياسية والاقتصادية في الخليج العربي وفي العراق .

ج - خصب أرض العراق وتبادله التجاري : إن بلاد الانكليز بلاد صناعية وانهم يحتاجون الى اسواق لصرف منتوجاتهم الصناعية كما يحتاجون الى مواد أولية وزراعية لادامة الحياة في بلادهم وعرف الانكليز أن العراق بلاد ذات

---

(١) (العراق الحديث) للدكتور متي عقراوي . و (تأريخ العراق السياسي الحديث ج ١ الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني . وكتب اخرى .

تربة خصبة وانتاج زراعي باهر وقد قال فيه « هيرودوتس » : « وتنمي عندهم الزروع نماء عظيماً حتى لا تضاهيها أرض مخصبة بكل اقطار الدنيا ، فان الحبوب تعطي مثنى ضعف وعند الاقبال تعطي اكثر من ثلثمائة ضعف .

ثم ان أسواق العراق كانت تستورد منتوجاتها من انكلترا منذ امد طويل ولا تنافسها دولة اخرى بعد هزيمة البرتغاليين والهولنديين من الخليج عند زيارة الرحالة الدانماركي « نيبهر » العراق في سنة ١٧٦٦ م وصف الحالة كما يأتي : قال للانكليز القسط الأوفر من التجارة بين الشعوب الأوربية فانهم يجلبون جوخاً من اوروبا وشاشاً رفيعاً من بنكالة وكل أنواع الاقمشة من سوراة ، ويسكنون البصرة منذ اضطروا الى الخروج من اصفهان . . ويسكن في بغداد أحد مستشاري الانكليز مع بعض الكتبة من الشركة الشرقية التي تعود الى هذا الشعب » .

وهناك عوامل اخرى نفسية وتأريخية وغيرها لا مجال للبحث عنها .

أن طوبوغرافية الأراضي العراقية وخواص شعبها كانت معلومة لدى الانكليز حيث إنهم معروفون بمخاطراتهم وأسفارهم البحرية وكثيراً ما كانوا يعرجون على الخليج العربي قبل سنة ١٦٠٠ م ويزورون من حين الى آخر سواحل العراق وايران غير أن الصلات الحقيقية التي ألفت بين بريطانيا والخليج العربي بدأت منذ تأسيس شركة « الهند الشرقية » سنة ١٦٠٠ م فأسس الانكليز أول مؤسسة تجارية في البصرة في سنة ١٦٤٣ م كما انهم اسسوا مركزاً تجارياً آخر من بغداد وعينوا فيه مقيماً انكليزياً وذلك في سنة ١٨٠٨ م .

وفي مرور الأيام والسنين صارت انكلترا تعد الخليج الفارسي منطقة ذات نفوذ لها وتحرص على حمايته من تدخل الدول كما استطاعت شركة انكليزية أن تحصل على احتكار الملاحة في المياه العراقية سنة ١٨٦١ م ومن نتائج منح هذا الامتياز أن انتقلت مراكز التجارة الانكليزية الى المناطق الشمالية .

لم تقف جهود الانكليز عند هذا الحد بل حاولوا على حصول امتيازات اخرى وتمكنوا من الحصول على امتياز النفط باسم شركة النفط التركية وأسهموا فيها للالمان أيضاً كما أن انكلترا كانت تسعى منذ القرنين الماضيين في سد ابواب طريق (العراق - فالهند) على جميع الدول وذلك لتتمكن من بسط سيطرتها السياسية على العراق ومنع الدول الأخرى من التدخل سياسياً وعسكرياً فيه .

أن الحملة (الخامسة)الانكليزية المارة الذكر أخذت على عاتقها المباشرة وانجاز ما يتطلب من حركات فعلية لحماية هذه المصالح المذكورة .

في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ م احتلت انكلترا الفاو ثم البصرة في ٢٢ منه والقرنة في ٩ كانون الأول وتقدمت القوة البريطانية واحتلت العمارة والناصريه في حزيران وتموز سنة ١٩١٥ م ثم تقدمت نحو بغداد ثم اضطرت للتراجع الى الكوت والاعتصام فيها ثم سلمت القوة المحصورة الى الأتراك في ١٩١٦م وتقدمت القوات البريطانية لاحتلال بغداد فاحتلتها في ١١ آذر سنة ١٩١٧ م ثم تقدمت لاحتلال كركوك في آيار سنة ١٩١٧ م ولما كانت الحملة على طريقها الى الموصل أعلنت الهدنة مع تركيا في ١٣ تشرين الأول سنة ١٩١٨ م وبموجبها أخلت تركيا لواء الموصل ، واحتلته بريطانيا وهكذا بدأ دور الاحتلال منذ نزول القوات البريطانية في العراق .

أما في أثناء ادارة العراق في دوري الاحتلال والانتداب فمع وجود تشديدات البريطانيين تمكن العراقيون بذكائهم الفطري ومزاجهم الحربي من إقلاق افكار الانكليز في العراق واعلان الثورة العراقية الكبرى في سنة ١٩٢٠م فاعطتهم درساً قاسياً وفكرة واضحة بأن هذا الشعب مهما تعددت فيه العناصر والأديان فهم عند كلمة (الوطن) متحدون في الملمات والنوائب متآزرون في سبيل مصالحهم الشعبية وهم لا يقبلون إدارة الأجنبي مهما كانت معاملته لهم حسنة كانت أو سيئة .

إن القوة المحتلة وجدت أن في الشعب العراقي فكرة حب الأتراك وحاولت في كل مساعيها ازالة هذه الفكرة وخلق العداوة بين العرب والترك عامة والعراق والدولة التركية خاصة،عوضها لتحل محلها يقول ايرلاند: (ارسل حكام سياسيون الى شيوخ الخليج وسكان بلاد العرب التركية بالبيانات المقتضية لذلك قبل احتلال البصرة وبعده ، واكدوا فيها أن هذه الحرب لا دخل لها في الدين). وطلب الى الشيوخ أن لا (يسمحوا للجهال من الناس أن تضلله اقوال « الجهاد » الحمقاء) (رغبة الحكومة البريطانية أن تحرر العرب من ظلم الأتراك » ثم هددهم سنعاقب الذين يحيدون عن جادة الصداقة والحياد ويشهرون السلاح لمساعدة العدو ـ يقصد الأتراك ـ بأخذ املاكهم الموجودة فى دائرة النفوذ البريطاني) (١) وقد جاء فى بيان الجنرال مود بعد احتلاله بغداد فى ١١ آذار سنة ١٩١٧ م شيء غير قليل من الدوافع العدائية بين الأمتين وهي :« لقد خضع مواطنوكم ، منذ أيام هولاكو لمظالم الغرباء ،فتخربت قصوركم ونجردت حدائقكم ،وأنت اشخاصكم وأسلافكم من جور الاسترقاق . أما الألمانيون والأتراك الذين نهبوكم انتم وذويكم (٢) .

وهكذا خلق الاجانب الفكرة العدائية بين الشعبين العربي والتركي، والغاية منها بسط نفوذهم في البلاد غير أن ذلك لم يدم وطفئت شمعة الكذب قبل العشاء وثارت العراق ثورتها الكبرى في سنة ١٩٢٠ م وأجبرت الحكومة المحتلة على أن تغير سياستها فى ادارة الحكم ، وفكرت في عمل يضمن الاستقرار في البلاد فاجتمعت ساسة الانكليز في القاهرة في ١٢ آذار سنة ١٩٢١ م وقرروا أن الاستقرار في العراق سيتم اذا توج صاحب الجلالة الملك فيصل الاول ونفذ

---

(١) ـ العراق ـ دراسة فى تطوره السياسي ص ٢١ ، ٢٤ .

(٢) (تأريخ العراق السياسي الحديث) ج ١ ص ٨٦

القرار وصل جلالته الى بغداد في ٢٣ شول ١٣٣٩ هـ - ٢٩ خزيران ١ ١٩٢ م. واستقبل استقبالا منقطع النظير. وتوج جلالته في ٢٣ آب سنة ١٩٢١ م ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٣٩ هـ (١) وبدهائه وعبقريته استطاع ساكن الجنان صاحب الجلالة الملك فيصل الاول إرضاء جميع العناصر والطوائف في العراق. كما تمكن بحنكته ودهائه من الحصول على استقلال البلاد ولم يمر على تسلمه الحكم الاسنوات عشر.

٧ - الشعب العراقي اليوم والاقلية التركية

(كان العراق في قديم الزمان موطناً ، لقوميات مختلفة جاءته من أوطانها اما نازحة وأما لاجئة وأما غازية وأما لدوافع أخرى ثم استقرت فيه ردحاً من الزمن وكلها تركت فيه آثاراً لمدنياتها وبقايا من شعوبها. فالعراق بذلك أصبح شبه بوتقة صهرت فيها الحضارات والثقافات والأمم المختلفة من سومريين وأكديين وعيلاميين وبابليين وآشوريين وكلدانيين وميديين ومن اليونان فالرومان فالعرب والأتراك وأهم عنصر قومي دخل العراق وكان له شأن كبير في تكوينه هو العنصر العربي الذي أنشأ فيه دولة عظيمة ومدنية زاهرة بلغت أوجها في زمن الدولة العباسية وتقوم عليها اليوم مدنية العراق الحديثة ، واذا قابلنا العراق بغيره من الاقطار التي اختلطت فيها الجنسيات والقوميات نجد أن سكان العراق على جانب كبير من التجانس بين عناصرهم والتقارب في أوصافهم العامــة. وليس لدينا في الحقيقة إحصاءات حديثة جديرة بالثقة التامة بين توزيع السكان بين هذه العناصر القومية وعدد المنتمين الى كل منها أو نسبتهم المددية بعضهم الى بعض ، غير أن العنصر العربي هو العنصر الغالب في العراق ، وقد خلع خواصه الجنسية على كل

---

(١) (تأريخ العراق السياسي الحديث) ج١ ص٨٦ .

العناصر التي دخلت العراق وطبعها بطابعه العربي الممتاز(١)

أما الاكراد فقوم لهم تأريخ مجيد يشهد بمفاخرهم ، وظهر منهم رجال بارزون اشتهروا في الحرب والثقافة كما ظهر منهم علماء خدموا العالم الاسلامي خدمات جليلة دونها لهم التأريخ في صفحاته وقد دخلوا الاسلام في أول الفتح الاسلامي وحافظوا عليه حتى اليوم بل هم أشد تمسكاً به ويتمذهبون بالمذهب الشافعي وقد حدث بينهم وبين الشعب الايراني حروب اكثرها بسبب اختلاف المذهب ظاهراً ، وزيادة الملك باطناً وقبلوا أدارة الدولة العثمانية على هذا الاساس كما بينا في بحث آخر . يخبرنا التأريخ على الرغم من حدوث ثورات على الدولة العثمانية أن الاكراد كانوا متحمسين لادامة حياتها وكانوا يتطوعون غزاة لرد كل عدوان يقع على الدولة في الداخل والخارج وبعد انقسام الدولة العثمانية بقي قسم منهم داخل حدود المملكة العراقية واقتبسوا كما اقتبس اخوانهم المواطنون من مدنية العصر الحاضر بسرعة وتقدموا في الحضارة كباقي اخوانهم من الشعب العراقي .

ان الاكراد كانوا ولايزالون يتصاهرون مع اخوانهم العرب والترك حيث لم تجد بين الاكراد من لم تكن له قرابة او صلة مع العناصر المسلمة الاخرى هذا مضاف الى ان الاكراد يشغلون مناصب كبيرة في الدولة شأنهم كشأن اخوانهم المواطنين .

أما الاتراك كما قلنا سابقاً فقد دخلوا العراق في أوقات مختلفة منذ سنة ٥٤ هـ واختلطوا بالشعب العراقي بحيث ذابت الفوارق فى القسم الاعظم منهم.

إن الحال التي وصل اليها الاتراك بعد دخولهم العراق كحال الذين دخلوا ايران والافغان والهند واليونان وبلغاريا والمجر : خالط الاتراك الشعب العراقي

---

(١) احوال العراق الاجتماعية والاقتصادية ص ٢١

مخالطة قلما فعلتها أمة مع شعب آخر . وان القسم الاعظم منهم بعد المخالطة والمصاهرة فقدوا قوميتهم من جهة اللغة وغيرها ، وهذا مما أدى الى ان صار أولادهم وأحفادهم لايعرفون قوميتهم الاصلية حسب ، كسكنى (سامراء) وغيرها من المواقع العراقية التى كانت أكثرها في الاتراك ومن الأتراك من خالط الشعب العراقي حتى فقد اولادهم لغة آبائهم كما فقد أحفادهم قوميتهم غير انهم لايزالون محافظين على التسمية باسماء تدل على انهم كانوا اتراكاً فيما مضى

لقدتطرق المؤرخ الصديق الاستاذ المحامي (عباس العزاوى) إلى الاتراك في العراق ذاكراً قبائلهم ومن تلك القبائل ماقال فيها :

١ ـ قره اولوس هذه القبيلة من القبائل التركية المغولية قد فقدت لغتها من جراء طول مساكنتها للاكراد في انحاء مندلى فعادت لاتعرف من لغتها السابقة شيئاً ذلك مادعا ان يذكرها بين القبائل الكردية مع انها من عشائر التركمان . . . ويعلمون اجمالا انهم ترك . وفروعها : ـ

أ ـ قايتول (أوقايتولى)

ب ـ كجبني (كجينه‌يى)

ج ـ نفتجي

د ـ جرموند

ه ـ كاوسواري

و ـ كاكه‌وند

وهؤلاء لم يكونوا من اللر ولا من الكرد . انهم من الترك لااشتباه في ذلك اصلا (١)

٢ ـ باجلان : (وهم ترك وقبيلتهم اليوم تعد كردية اذا ليس فيها من

---

(١) عشائر العراق ج ٢ ص ١٨٢

يعرف التركية .

واللفظة (باجلان) وتعني من يأخذ الباج باج آلآن ولفظتهباجناق تؤدي أيضاً هذا المعني . وفرقهم أ ـ قزانلو ـ في داراخورما في بينكدره

ب ـ {جواركلاوج ـ قريبهون ـ الان }منتشرون . وكانوا يقيمون في قرية باسمهم تقع قرب شيرهوند .

د ـ قلهون ه ـ شيرهوند و .. خدرهوند .. حضروند

ز .. حاجيلر .. في موطنهم المعروف بأسمهم ح .. سيكهوند ـ في قلة

ط ـ ساروجه ي ـ جبورلى ـ ك ـ هيوانلي ـ ل ـ قراوند ـ ويعترف العارفون منهم انهم مغول . (١)

٣ — الطاطران (هذه من قبائل التتر والآن قريبة من الكردية أو سائرة الى ان تتغلب عليها الكردية يسكنون فى « كوكهخان » في صباح جبل حمرين من جهة العظيم وقسم منهم فى أنحاء (قرهتبه) ولا يزيدون على ٨٠ بيتاً .

لغتهم تركية وعربية والغالب عليهم اللسان التركي وينطقون بالكردية ايضاً من جراء المجاورة {٢}

٤ ـ صارلية « سارلو » : « قبيلة تركمانية كان لها موقع خاص والآن تعد فرقة من الكاكائية والآن يسكنون اكثر من ١٥ قرية تركمانية بين الموصل واربيل على الجانب الايمن والايسر من الزاب الاعلى تابعة لناحية الكوير من لواء أربيل وفي مواطن اخرى «٣»

٥ ـ البيات : وهى قبيلة بياووت ـ جمع بيات ـ التى هي فرع من قبيلة

{١} عشائر العراق ج ٢ ص ١٨٣ ـ ١٨٤

(٢) عشائر العراق جـ ٣ ص ١٧٢

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين جـ ٣ ص ٣٧٢

يعك التركية كما قلنا سابقاً (١)

وهم نازحون من وطنهم أمام المغول اسكنوا لواء كركوك والحلة ، إن قبيلة البيات التي سكنت جنوب العراق امتزجت مع العرب امتزاجاً لم يبق لها اثراً غير الاسم أما البيات الذين سكنوا لواء كركوك فقد حافظ القسم الاعظم على لغتها وقد جاء ذكرهم في كتب تأريخية متعددة منها ديوان لغات الاتراك وشجرة الترك وتاريخ العراق بين الاحتلالين وغيرها لدينا كتب باسم التحقيقات عن قبيلة البيات لم نوفق لطبعه بعد ويلتبس على بعض الباحثين اسم قبيلة البيات باسم قلعة بيات التى كانت بين واسط خوزستان فيظن ان البيـــات سكنوا تلك الجهة .

٦ ـ الشبك : ـ يقول الاستاذ احمد حامد الطرف عن هذه القبيلة كما يلي :ـ

إن الشبك جماعات من الاتراك تقطن اكثر من عشرين قرية في الجانب الشرقي من مدينة الموصل وعددهم على وجه التقريب بين ١٠ ـ ١٥ الف نسمة (٢) ان الاستاذ قد بين فى كتابه الشبك معلومات كثيرة عن هذه القبيلة عن لسانهم وعاداتهم قراهم وغيرها .

إن فى العراق اليوم ذوى اقلية تركية يسكنون في الخط الفاصل بين العرب والكرد في تلعفر ، وأطراف الموصل ، واربيل والتون كوبرى ، كركوك ، طوزخرماتو واطرافها ، كفرى قره‌تبة ، جلولاء ، قزرباط ، شهربان ، خانقين مندلى .

وإن عددهم لم يضبط بصورة صحيحة والكتب التي تذكرهم منها ما قال هم ٦٠٫٠٠٠ نسمة (٣) ومنها ما قال اكثر من ذلك او اقل من ذلك .

---

(١) سيرة جلال الدين منكوبرتي ص ٤٢

(٢) كتاب الشبك للاستاذ احمد حامد الصراف

(٣) جغرافية العراق ص ١١٣ الاستاذ عبد اللطيف أمين

أما في المصادر الاجنبية فقد ذكر أن عددهم في سنة ١٩١٩ ـ ١٩٢١ م هو (٣٣٩٠٠٠ نسمة وهم موزعون على الشكل الآتي (فى ولاية الموصل ٩٦٠ـ ١٤٦) (وفى اربيل ١٥٠٠٠) (وفى كركوك والسليمانية ٦٧٠٤٠) (وفى المدن الاخرى ١١٠ر٠٠٠) «١»

إن كانت نفوس إحصائيات سنة ١٩١٩ ـ ١٩٢١ م تبلغ (٣٣٩ر٠٠٠) نسمة فيظهر أنها قد ازداد بنسبة إلى الولادات . والآن تقدر نفوس الأتراك في العراق بزهاء (مليون) نسمة « ٢ » إن اهمية الشيء بالكيفية لا بالكمية . واذا لاحظنا الحقائق وتمسكنا بالواقع نجد أن الأتراك المواطنين الذين يسكنون العراق هم ذوو أقلية لهم ماض مجيد وقد برهنوا اهميتهم فى المجتمع العراقي ويمكن الأشارة الى تلك النواحي بالحروف البارزة كما يلي : ـ

إن الأتراك المواطنين الساكنين في العراق اليوم كانوا متألمين مع اخوانهم العرب والكرد من حكام الدولة العثمانية ولذا شاركوا اخوانهم في تشكيل حكومتهم الفتية واصبحوا من المؤيدين لها والساهرين لسلامتها وإن الثلاثين سنة الماضية خير دليل على تمسكهم واخلاصهم للعرش العراقي واطمئنانهم في العيش تحت ظل البيت الهاشمي الكريم .

وهناك أسباب كثيرة لسلوك الأتراك المواطنين علاوة على ما ذكرنا منها ما يملك التركي في طبيعته من الاخلاص وروح الطاعة لحكومته وحاكمه . إن الأتراك قد حافظوا على سكينتهم ولم يميلوا الى اليمين واليسار فى وطنهم العزيز وذلك مما جعل الحكومة هادئة البال من ناحيتهم في جميع الحوادث .

أما ولاء الأتراك المواطنين للعرش فشيء لا ينكره الخاص ولا العام .

---

(١) (عموي تورك تأريخه كيريش) ص ٧ بروفسور دكتوراً ـ زكي وليدي) ـ
(٢) (جريدة الاسلامي) عدد ٢ تأريخ ٢٣ آيار ـ ١٩٥٤ م

وللتمثيل نذكر بعض الوقائع الحقيقية : ـ

عندما قام صاحب السمو ولي العهد المعظم بأول زيارة رسمية لكركوك في ١٩٣٩ م وجاء الاستقبال له منقطع النظير للمودة التي اظهرها أهل المدينة (١) بحيث يصعب على الكاتب تصويره جاء في جريدة (العراق) بتاريخ ٢٩ آب ـ ١٩٣٩ م ما يلي :

(بين جوانح أبناء كركوك نفوس طافحة بوطنية صادقة حملتهم على التعلق بعرش البلاد المفدى والتفاني والتفادي في سبيل الجالس عليـــه . و بين ضلوعهم قلوب تفيض بحمية اسلامية و ثابة أورثتهم الولاء للبيت الهاشمي الرفيع في السر والعلانية . . . فلا يستطيع كاتب مهما بلغ من قوة الوصف أن يصور ما غمر هذه البلدة من مظاهر الابتهاج والسرور التي دلت دلالة صريحة على ما يتحلى بـــه به ابناء كركوك من شعور سام فياضة وغيرة صادقة على وحدة الوطن المقدسه.

ان اصحاب المهن المختلفة من أهل السوق قدقر رأيهم بعد الأجماع الذي عقده رؤساؤهم على أن يخرجوا عن بكرة أبيهم لاستقبال سموه جماعات إظهاراً لسرورهم إعلاناً لما تضمره صدورهم من خالص الاخلاص والولاء لسموه فأعد أصحاب كل مهنة عدداً كافية من الاعلام كتبت عليها عبارات الترحيب وعدداً غير قليل من الاغنام لتذبح عند قدمي سموه ساعة وصوله . وبلغت القرابين التي نحرت تحت اقدام سموه مايقارب (٢٠٠) المئتي ذبيحة (٢) .

إن الاتراك المواطنين بسلوكهم هذ وتعلقهم بالعرش ، وولائهم له جلبوا نظر المسئولين فبينوا رضاهم في مناسبات مختلفة . فاخبرني شخص ذو رتبة عالية بأن صاحب الفخامة (نوري باشا السعيد) في جمع من قادة الضباط ذوي الرتب

---

(١) جغرافية العراق الثانوي ص ٢٤٢ ، طه الهاشمي ، ١٩٢٩

(٢) رحلة الأمير ج ١ ص ١٦٧ .

المالية قال : (لاتنسوا أن في العراق كمية من الاتراك هم ذوي السجايا والمزايا الطيبة وهم مخلصون لوطنهم ولحكومتهم - يجب أن تعرفوها جيداً واطلب استعمال اللطف وابداء حسن المباشرة لهم) .

قال المؤلفان لكتاب (أحوال العراق) هذه الكلمة ، نحو ذوى الاقلية التركية : -

إن في العراق عدا العنصرين الرئيسين عناصر أخرى صغيرة منها التركمان فهم يسيرون فى طريق الاندماج فى "شعب العراقي «١» .

إن الحكومة العراقية الرشيدة لاحظت مصالح ذوى الاقلية الأتراك المواطنين كما لاحظت مصالح ذوي الأقليات الأخرى لقد جاء فى قانون « اللغات المحلية » رقم ٧٤ لسنة ١٩٣١ م مواد اعطت امتيازات لهذه الاقلية منها المادة الرابعة التي اجازت اجراء المحاكمات باللغة الكردية اوالتركية في الاقضية الآتية :

« أ - دهوك - ب - شيخان « لواء الموصل » - ج - أربيل ، مخمور « لواء اربيل » هـ - كركوك وكفري « لواء كركوك » وبموجب المادة الخامسة من القانون المذكورة جعلت اللغة الرسمية في قضائي كركوك وكفرى الكردية او التركية كما انها لاحظت لغة الثقافة لذوي الاقلية التركية حيث ان المادة السادسة من القانون المذكور قد اجازت التدريس فى المدارس الابتدائية باللغة التركية اذا كانت اكثرية الطلاب لغتهم البيتية تركية هذا نصها « في جميع المدارس الاولية والابتدائية في الاقضية المار ذكرها في هذا القانون تكون لغة التعليم اللغة البيتية لاكثرية طلاب تلك المدارس سواء كانت عربية أم تركية أم كردية » (٢)

---

(١) أحوال العراق الاجتماعية ص ٨١ (عبد حسن ولى وعلاء الدين الويسي)
(٢) الوقائع العراقية ص ٩٨٩ في ١ حزيران ١٩٣١ م

نختم هذا البحث بقولنا هذا : « حيث ان ذوي الاقلية التركية فى العراق قد شعروا او لمسوا حسن معاملة حكومتهم العراقية الفتية طوال هذه السنين واظهروا دوماً ما يكنون من حسن نيتهم وشعورهم وولاهم لحكومتهم وللبيت الهاشمى الكريم »

الفصل الرابع

عودة الصداقة بين العرب

والاتراك عامة والعراق خاصة

١ ـ صاحب الجلالة الملك الراحل فيصل الاول ودهاؤه فى عودة
الصداقة بين المملكتين ٢ ـ صاحب الجلالة الملك غازي الاول
ومدى علاقة البلدين في عهده ٣ ـ صاحب السمو
الأمين ولي عهد المملكة العراقية وسعيه السامي
فى توطيد الصداقة بين الشعبين خلال
وصايته على العرش ٤ ـ صاحب
الجلالة مولانا الملك فيصل
الثانى ورغبته السامية في
توطيد الصداقة

١ ـ صاحب الجلالة الملك الراحل فيصل الاول

ودهاؤه فى عودة الصداقة بين المملكتين

ان مولانا المغفور له صاحب الجلالة (الملك فيصل الاول) له الفضل الاكبر فى اعادة الصداقة والاخوة بين المملكتين وازالة الاثار التي سببتها الثورة التى قام بها والده ساكن الجنان (الملك حسين) على الدولة العثمانية وهي التى يعترف بها العرب خاصة والمسلمون والاجانب عامة ـ (وهذا اكبر دليل) ـ على دهاء وتضلع جلالته وحنكته في شؤون الامة ومن آثاره اعادة التقارب والتآخي بين الشعبين العربي والتركي وذلك بعد تسلمه الحكم فى العراق في اثناء النزاع القائم بين الترك والحكومة المحتلة « الانكليزية » ، وهو الامر الذي مكنه من الخروج من الموقف الحرج منتصراً . وجعل لواء الموصل الذي كان مدار النزاع ضمن حدود مملكته ، ثم مدّ يده البيضاء نحو اصدقائه واخوانه الاتراك للتفاهم واعادة الامور الى مجراها الطبيعي ، وأوفد «صاحب الفخامة نورى باشا السعيد» رئيس وزراء المملكة العراقية الحالية الى انقرة ليمثل حكومته الفتية ، معتمداً على خبرة فخامته وبنتيجة المناقشة والمذاكرة تمكن الطرفان من الوصول الى حل مرضي يضمن مصالح الطرفين في جميع النواحي . وعلى هذا عقد الطرفان معاهدة « حسن الجوار » ووقعها صاحب الفخامة (نوري باشا السعيد ممثلا) للعراق وصاحب المعالي توفيق رشدي آراس ممثلا للجمهورية التركية ، وذلك في ٥ حزيران ١٩٢٦م فتم بذلك ازالة المشكلات التي كانت قائمة بين البلدين فى

حينه ، كما وجد جلالته ان اخوانه الاتراك لا يحملون بغضاً وكراهية للعرب بل كانوا على العكس من ذلك كانت الجمهورية التركية اول دولة من دول الشرق والغرب اعترفت بالحكومة العراقية الفتية التي تشكلت تحت ظل جلالته .

لقد ورد في الاتفاقية الغاية التي أبرمت من أجلها ، نذكرها هنابالمناسبة ليطلع عليها القراء ولتكون شوكة في أعين دعاة الثرثرة والتفريق الذين لا يهمهم الا الشغب والتفريق بين الشعبين : -

(لما كانوا أخذوا بعين الاعتبار ما يختص بتعيين الحدود ما بين تركيا والعراق من مواد المعاهدة المضاة في (لوزان) في (٢٤ تموز سنة سنة ١٩٢٣م)

ولما كانوا قد اعترفوا بالعراق دولة مستقلة وبالصلات الخصوصية الناشئة من المعاهدات ما بين العراق وبريطانيا العظمى المقصودة في ١٠ تشرين أول سنة ١٩٢٢ م وفي ١٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٦ م .

ولما كانوا راغبين في اجتناب ما يحدث في منطقة الحدود وقد يخشى منه تعكير صفو الوفاق وحسن التفاهم بينهم قرروا عقد معاهدة لأجل هذا الغرض) وعينوا مفوضين عنهم « انتهى »

لقد جاء في الاتفاقية مواد تنص على بقاء لواء الموصل تابعاً للعراق . جاء في المادة الأولى تعيين وتثبيت خط الحدود بين البلدين - وأيدتها المادة الخامسة كما يأتي : - « يقبل كل من المتعاهدين الساميين خط الحدود في المادة الاولى خطاً نهائياً للحدود ومصوناً من تعرض ، ويتعهد اجتناب كل معاهدة تبديله » كما جاء في المادة الرابعة تثبيت جنسية السكنى على الشكل الآتي : « ان جنسية سكان الاراضي المتروكة للعراق بموجب احكام المادة الأولى ، تعين بمواد ٣٠ - ٣٦ من معاهدة لوزان ويوافق المتعاقدون الساميون على استمرار حق الخيار الوارد في



جلالة الملك الراحل فيصل الاول ملك العراق وصاحب الدولة المرحوم
كمال أتاتورك رئيس الجمهورية التركية

المواد ٣١ ـ ، ٣٢ ، ٣٤ من المعاهدة المذكورة مدة اثنى عشر شهراً ، ابتداء من دخول هذه المعاهدة فى حيز التنفيذ ، ومع ذلك تحتفظ تركيا بحرية العمل في الاعتراف بخيار من يختار الجنسية التركية من الأهالي المشار اليهم اعلاه .

لقد جاء في المادة السادسة امور فيها علاقة بحفظ الصداقة وحسن الجوار على الشكل الآتي « يتعهد المتعاقدون السامون ، تعهداً متبادلا ، بان يقاوموا بكل ما فى استطاعتهم من الوسائل استعدادات شخص مسلح أو أشخاص مسلحين يقصد بها ارتكاب اعمال النهب والشقاوة فى المنطقة المجاورة للحدود ، وبأن يمنعوهم من اجتياز الحدود » كما أن المادة الثامنة ضمنت عدم تدخل دولة في الشؤون الداخلية للدولة الاخرى كما يلي : ـ

على السلطات التركية والسلطات العراقية أن تمتنع من كل مخابرة ذات صبغة رسمية أو سياسية مع رؤساء العشائر أو شيوخها أو غيرهم من أفرادها من رعايا الدولة الأخرى الموجودين فعلا في أراضيها وعليها أن لا تجيز للدعاية ولا اجتماعات موجهة ضد أي دولتين) .

بما أنه كانت لحكومة الدولة العثمانية منفعه خاصة في امتياز نفط (شركة نفط التركية) لاحظت الحكومة العراقية مصلحة جارتها وأعطتها بعض الامتيازات كما يلي : — (المادة الرابعة عشرة : بقصد توسيع نطاق المصالح المشتركة بين البلدين ، تدفع الحكومة العراقية إلى الحكومة التركيه مدة ٢٥ سنة ، اعتباراً من دخول هذه المعاهدة في حيز التنفيذ ، عشرة في المئة من كل عائداتها من : ـ

آ ـ شركة النفط التركية عملا بالمادة العاشرة من امتيازها المؤرخ ١٤ آذار ـ سنة ١٩٢٥ م

ب ـ الشركات او الاشخاص الذين قد يستغلون النفط عملا باحكام المادة السادسة من الامتياز المتقدم ذكره .

ج ـ الشركات الفرعية التي تؤلف عملا باحكام المادة ٣٣ من الامتياز المتقدم ذكره كما وعدت الحكومة العراقية المادة (السادسة عشرة) على مايلي : (تتعهد حكومة العراق بعدم ازعاج وايذاء الاشخاص المقيمين في أراضيها بسبب آرائهم ومسالكهم السياسية في مصلحة تركيا ، حتى التوقيع في هذه المعاهدة) ويمنحهم عفواً تاماً شاملا ، تلغى جميع الاحكام الصادرة من هذا القبيل ، وتوقف جميع التعقيبات الجارية) .

أبرم هذه الاتفاقية فى (١٢ حزيران سنة ١٩٢٦ م) مجلس النواب والاعيان . ومن الجدير بالذكر ما جاء في كتاب رئيس وزراء العراق المرحوم (عبد المحسن السعدون) من الأسباب الموجبة للاتفاقية التي قدمها الى مجلس النواب في ١٤ حزيران سنة ١٩٢٦ م جاء فيها : (لا يخفى ان مجلس عصبة الامم كان قد أصدر قراره المعلوم بأبقاء ولاية (الموصل) للعراق وجعل خط (بروكسل) الحد الفاصل بين العراق وتركيا ، وأن الحكومة التركية لم تعترف بهذا القرار وعدته مجحفاً بحقوقها ، ولما كان العراق راغباً ، شديد الرغبة فى مصافاة جيرانه وتأمين الصلات الودية ومناسبات حسن الجوار معهم ، بدأت المفاوضات مع تركيا للتفاهم معاً على حسم مسألة الحدود نهائياً ، وحملها على الاعتراف بقرار مجلس عصبة الامم ، وأخيراً تم الاتفاق على عقد هذه المعاهدة) . انتهى

ثم أن الحكومة التركية أبرمت المعاهدة في ٧ حزيران سنة ١٩٢٦ م وبذا تم اعتراف تركيا باستقلال الحكومة العراقية من كل الوجوه ، وهذا مما يدل علي أن الأتراك كانوا ولا يزالون يحملون عطفاً أخوياً وشعوراً نبيلا نحو اتجاه اخوانهم العرب ويعترفون بما لاقوه من الظلم والجور من الدولة التي كانت تحكم كيفما تشاء : كما أنه بهذه المعاهدة تصافحت أيدى الترك والعرب . وتعانقوا واتفقوا على الحياة السعيدة وانشاء حضارة جديدة تضاف الى (الحضارة الاسلامية) السالفة

وفى ٤ تموز سنه ١٩٣١ م قام بزيارة تركيا صاحب الجلالة الملك فيصل

الأول ، وذلك تلبية لدعوة رئيس جمهوريـــة تركيا زعيمها المظم (مصطفى كمال أتا تورك) فقوبل جلالته بترحيب كبير من الدولة الصديقة تركيا : فجرى لجلالته استقبال حافل ، اشترك فيه الشعب والحكومة ، وجرت بين الرجلين العظيمين تبادل خطب الود والاخاء وذلك في ٦ تموز وبما يلي (١) خطبة فخامـــة رئيس جمهورية تركيا (ياحضرة الملك : إني لسعيد بأن أرحب هنا في عاصمة الجمهورية التركية بذات صاحب الحشمة وانا لنشعر بعواطف الود والاخاء لاصدقائنا وجيراننا العراقيين وملكهم المحبوب وسترون بذاتكم مدى هذه العواطف في أثناء وجودكم بيننا ولاشك أن زيارتكم ستزيد هذه العلاقات والروابط قوة ومتانة وإن الجمهوريـــة التركية التي تحصر مساعيها لأجل السلام بينها وبين جيرانها وجميع الدول ضمن نطاق المودة والمساواة لتتمنى للعراق الساعي في طريق الرقي والازدهار كل سعادة ورفاهة إذ إن ما بين تركيا والعراق من روابط وعوامل جغرافية واقتصادية و مصالح مشتركة ما يقارب بين الأمتين ويوطد بينهما أسس الصداقة والولاء وأرجو أن تثقوا بأننا مشتركون معاً في وجهات نظرنا وفي شعورنا . وبينما أنا أختم كلامي هذا أتمنى لصديقنا وضيفنا المحترم صاحب الجلالة الذي سررنا جميعاً بزيارته كما أتمنى للعراقيين كل سعادة واقبال) انتهى .

فأجابه جلالته بالخطاب التالي : ـ

(ياحضرة رئيس الجمهورية : اني أرجو أن تتقبلوا مني أصدق عبارات الشكر لما تفضلتم بأبدائه نحوي ونحو أمتي من عواطف المحبة والولاء ولما لاقيته في بلاد الأمة التركية الشقيقة من حفاوة وإكرام

إننا في العراق كنا نشعر بكل سرور وامتنان للخطا الحميدة الصالحة التي خطتها تركيا في سبيل الرقي والسلام ، فكانت موضع الاعجاب والتقدير . وبديهي

---

(١) (فيصل بن حسين) ص ١٠٧ مديرية الدعاية العامة .

بعد بيان العوامل والاسباب التي أوردتموها في خطابكم البليغ عن العلاقات الوثيقة بين تركية والعراق . أن تزداد هذه العلاقات متانة ورسوخاً ونحن مشتركون في وجوب توثيق هذه الروابط التي تفضل دولتكم بالتنويه بها ومتى ذكرت هذه الحقيقة أكون قد أعربت عن شعور امتي جمعاء) .

(وقبل أن أختم كلامي أرى من الواجب أن افصح عن سروري لأخراج زيارتي هذه من حيز التصور إلى حيز العمل واكرر شكرى لما لقيته في هذه الزيارة من حفاوة سيبقى أثرها الطيب خالداً في نفسي وأدعو بكل إخلاص لشخص حضرة رئيس الجمهورية وللامة التركية الصديقة بالرقي والتوفيق) . انتهى

لم يكتف صاحب الجلالة بهذه الزيارة بل أمر بعد رجوعه ، صاحب الفخامة (نورى باشا السعيد) رئيس الوزراء في ذلك الوقت بالسفر الى تركيا . فسافر فخامته فى كانون الاول سنة ١٩٣١ م مصحوباً بوفد يمثل وزارة المالية للتوقيع على المعاهدة التجارية التي وضعت اسسها في اثناء زيارة جلالة الملك فيصل لتركيا .

أما المعاهدات التي عقدها صاحب الفخامة السيد نوري السعيد مع الحكومة التركية فكانت (١) : ـ

١ ـ معاهدة تسليم المجرمين بين العراق وتركيا وقد وقعت فى ٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٢ م .

٢ ـ اتفاقية الاقامة بين العراق وتركيا وجرى توقيعها فى ٩ كانون الثاني أيضاً .

٣ ـ معاهدة تجارية بين العراق وتركيا وقد وقعت في العاشر من كانون المذكور وقد لوحظت مصالح البلدين في هذه المعاهدات .

---

(١) تاريخ الوزارات العراقية ج٣ ص١٥٣

٢ ـ صاحب الجلالة الملك الراحل غازي الاول

وصدى علاقة البلدين في عهده

﴿ شاهدنا الدور الذي قام به ساكن الجنان الملك فيصل الاول في اعادة الصداقة بين البلدين وتوطيد دعائمهـا توطيداً مجداً فتعانقت اعلام الأمتين ولم تشعر احداهما من الاخرى بشيء مما يكدر الخواطر غير انه حدث بعض الشيء الذي يمس عواطف الاتراك في الخطب التي كانت تلقى بمناسبة ذكرى (٩ شعبان) قام صاحب الجلالة ساكن الجنان (الملك غازي الاول) رئيس وزراء الدولة فخامة المرحوم ياسين باشا الهاشمي بقطع دابر هذه البادرة ، فاصدر فخامته منشوراً أمر فيه بمنع جميع الموظفين من القاء الخطب التي تمس شعور الاتراك كما اوضح في منشوره عدم وجود عداوة بين العرب والترك فكل ما في الامر قيام العرب بحركة انفصالية من الدولة العثمانية كما قام الاتراك بنفس الحـــركة ايضاً وها نحن اولاء ننشر المنشور لسان الواقع :— ﴾

« لوحظ في بعض الاحتفالات التي جرت في الاوساط العراقية تخليـــداً لذكري شهداء العرب وعيد النهضة وغيرها مشاركة جماعة من موظفي الحكومة وتطرقهم الى امور تمس شعور الامم الصديقة المجاورة فمن البديهي ان تلك الامم وفي طليعتها الأمة التركية ثارت بوجه الظلم والارهاق لتأسيس كيـــان جديد لا علاقة له بالامبراطورية العثمانية كما ان الامة العربية ثارت ثورتها في وجه ذلك الظلم والارهاق لتأسيس كيان جديد لا علاقة بالامبراطورية العثمانية فكلتا الامتين تشارك في النزعة والروح النبيلة ، وهو الامر الذي يجب ان يضاعف في تحكيم

أواصر التآخي والصداقة العائدة لحسن الحظ بينهما على الدوام التي تحمل بين جنبيها كل ود وصداقة للامة العربية المتشبعة بعين الشعور والاحساس بجلمنا نتجنب كل ما يثير خواطر النشيء الجديد من الآراء التي نمت وتوسعت ستؤثر حتما على الصلات القوية التي تسعى الأمتان الصديقتان الى تحكيم اواصرها وتنميتها »

« لهذا اني اعلق اهمية كبرى على هذا الامر فارجو اصدار الاوامر الشديدة بمنع كافة الموظفين من الاشتراك من القاء الخطب وغيرها في الاحتفالات العامة والتفوه بامور من شأنها ان تمس العلاقات الودية او تثير شعور الامم المجاورة وانزال العقاب الصارم بمن تحدثه نفسه منهم باتيان مثل هذه الامور). انتهى .

واذاعت كافة الوزارات خلاصة هذا المنشور على الموظفين التابعين لها للعمل بموجبه (١) .

وبعد هذا الامر تحسنت الأحوال وتغيرت مجارى الألسنة والأفكار ، بعد تفهم الحقيقة الواقعية كما جاء في المنشور الوزاري فكف المتحمسون عن مس شعور اخوانهم الأتراك الذين لا يكنون في قلوبهم للعرب الا الخير والمودة .

ان اتفاقية ١٩٣٧ الرباعية المعقودة بين العراق وتركيا وافغان ايران (اتفاقية سعداباد) لدليل واضح استمرار العراق وتركيا على نياتهم السلمية والصداقة في الشرق . ان الغاية من الاتفاقية خير دليل على ضمان السلام في ربوع شرق الاسط : (وبناء على رغبتهم فى تأمين السلم والأمن في الشرق الادنى بضمانات اضافية ضمن ميثاق عصبة الامم وان يساعدوا بهذه الواسطة على تأمين السلم العام) . انتهى

---

(١) جريدة البلاد ٩٥٤ ١٠-١٩٣٥م

٣ـ صاحب السمو الامين ولي عهد المملكة العراقية

وسعيه السامي في توطيد الصداقة بين الشعبين

خلال وصايته على العرش

ولقد قدر صاحب السمو ولي العهد سيدنا (عبدالاله المعظم) شعور الأمة التركية فوجدها مخلصة كشعوره تجاههم ويذكر القاريء ما قلنـــا في توطئة الكتاب ان من الدوافع التي شجعتني على هذا التأليف : (اللطف السامي الذي يكنه ولي العهد سيدنا صاحب السمو عبدالاله المعظم نحو الجارة التركية طوال وصايته على المملكة العراقية وسد الثغرة التي حدثت في فترة من الزمن) .

اجل ، ان سموه يضمر كل الخير للامة التركية ويحمل بين جوانحه الشريفة عطفاً سامياً عليها ظهر وشاع في كل مكان عنـــد زيارته الرسمية للجارة في ايلول سنة ١٩٤٥م فقد استقبلته الأمة التركية بكافة طبقـــاتها والحكومة خاصة بحفاوة بالغة (١)

وان الجرائد التركية والعراقية خصصت في صفحاتها محلات بارزة بالزيارة ذاكرة اهميتها المتبادلة بين البلدين وما ظهر فيها من شعور وعطف وكرم .

ولقد كتبت جريدة « الاخبار » بتاريخ ١٥ـ٩ـ١٩٤٥ مقالا بعنوان وصي العراق في تركيا نقتطف منه ما يأتي : اليوم يصل استانبول في زيارة رسمية لتركيا حضرة صاحب السمو الملكي الامير عبدالآله الوصي على العرش وولي العهد

---

(١) معلومات هذا البحث مقتبسة من كتاب (رحلة الوصي وولي العهد الى تركيا) لكاتبه الاستاذ ناصر جرجيس .

لحضرة صاحب الجلالة ملك العراق المعظم ... وسيكون لزيارة سموه (سفير العراق الممتاز) لتركيا الجارة الشقيقة الوقع الطيب في النفوس والاثر العميق في توثيق عرى الصداقة بين الشعبين . . . ولا ريب فى ان سموه سيجد في تركيا الجارة من الحفاوة البالغة والضيافة الكريمة والاستقبال الحسن ما هو اسطع برهان على ما بين العراق وتركيا من مظاهر الاخوة الصادقة والمودة الخالصة والصداقة المتينة المتأصلة في نفوس ابناء الشعبين العرب والترك الكريمين ، التي ترجع الى الماضي البعيد الممتد الى عدة اجيال . ان الصداقة العراقية التركية الحديثة ترجع الى عهد المغفور لهما فيصل الأول وكمال اتاتورك وهما مؤسسا الدولتين الحديثتين الناهضتين واذا كانت الصداقة المتينة بين العراق وتركيا قد تأسست في عهد المغفور له فيصل الاول فان هذه الصداقة قد رسخت وعززت بين العراقيين والترك في عهد جلالة الملك فيصل الثاني المفدى بفضل جهود سمو وصيه الأمين المعظم) . انتهى

وكتبت جريدة (الساعة) فى ١٦-٩-١٩٤٥ مقالا بعنوان (سمو الوصي المعظم في تركيا) جاء فيه (تركيا جارة كريمة تربطها بنا وتربطنا بهـــا صلات تأريخية ومصالح جغرافية محكمة الاصول مشدودة بحاضرنا هذا شداً عرفناه وعرفه تاريخ البلدين الحديث فى ميثاق « سعد آباد » .

وتركيا الحديثة النبيلة تجري على سياسة حرة مبينة على انسانية ونهضة فكرية تعتز بها اعتزاز الصديق بنجاح صديقه » . انتهى

وكتبت جريدة (الزمان) فى ١٧/٩/١٩٥٤ مقالا بعنوان (حول زيارة سمو الوصى المعظم لتركيا) جاء فيه .

« دعت الحكومة التركية سمو الوصى المعظم الى زيارة تركيا زيارة رسمية فلبى سموه الدعوة وشد الرحال إلى الدولة الجارة العزيزة ، فاستقبل استقبالا رائعاً وأظهرت الأمة التركية ـ حكومة وشعباً ـ لسموه عواطف الود والتعظيم والاجلال » .

« واذا كانت الامة التركية ـ حكومة وشعباً ـ قد رحبت بالسمو الوصي وولي عهد العراق المعظم فانها تكون قد كررت اعلان مودتها الصحيحة للعراق خاصة وللاقطار العربية عامة » انتهى .

وكتبت جريدة (النداء) مقالا بعنوان « وحي رحلة الوصي ـ الصداقة بين العراق وتركيا » ، في ١٤ ـ ٩ ـ ١٩٤٥ جاء فيه : « ان الصداقة بين العراق وتركيا فان الايام مازادتها إلا نمواً ومتانة يسودها الصفاء والتفاهم المكين والمودة المتبادلة منذ مدة ليست وجيزة وهذه الصداقة تكاد تكون المثل الصالح لحسن الجوار وتعزيز الروابط والصلات القديمة والحديثة منها »

إن العراق يتجه إلى تركيا التي تضم سمو وصيه بكثير من الاجلال والأحترام ويؤمل آن تعود هذه الزيارة بأجزل المنافع المتبادلة بين البلدين الصديقين انتهى .

وكتبت جريدة « الديار » فى ١٨ ـ ٩ ـ ١٩٤٥ مقالا عنوانه « العلاقات العراقية ـ التركية » ذكر فيه (وهذه الزيارة المباركة إثارة كامن الرغبة من جانب الاتراك في إظهار مايكنه ذلك الشعب الكريم إزاء سموه والشعب العراقي) انتهى .

أما الصحف والاذاعة التركية فكتبت شيئاً كثيراً فيما قامت به الحكومة والشعب من الحفاوة البالغة بهذه الزيارة المباركة ذاكرين تفاصيل الاستقبال والحفلات التي اقيمت لسموه والجولة التي قام بها في ربوع تركيا . فاذاعت محطة راديو انقرة نبذاً كثيرة عن هذه الزيارة وقالت في احداها :

(أن تركيا والعراق هما مادياً وجغرافياً قطرا وطن واحد أما من الناحية التأريخية والادبية فهما يملكان دوماً نفس الغايات ونفس المصالح . . واما من الناحية السياسية فليس بين تركيا والعراق اختلاف اذ نحن نتمنى أن يتقدم العراق في استقلاله مثل جميع الامم المنسلخة من الدولة العثمانية » انتهى .

ان الخطبتين الساميتين المتبادلتين بين صاحب السمو الملكي الكريم والرئيس الوطني الجليل (عصمت اينانو) دليل واضح على حسن النية بين الشخصيتين البارزتين المسؤولتين في الدولتين الجارتين.

لخطبة الرئيس الوطني الجليل عصمت اينانو هي —

« ياصاحب السمو الملكي الكريم انه لعظيم جداً السرور الذي اشعر به لرؤية سموكم الملكي الكريم القابض بيدين قادرتين على واجب وصايا دولة العراق النجيب وجارنا الحبيب وصديقنا العزيز وأنا سعيد جداً ان ارحب بسموكم الملكي الكريم بأسم الامة التركية » .

ياصاحب السمو ان قطرينا الواقعين على ارض أحيت حضارة كثيرة مدى عصور تعلمنا من فيض نور الحضارة الدروس السياسية المستمرة من تأريخ الحوادث أن سر سعادة ورفاهة الامم تتوقف على احترام بعضها لبعض وعلى حسن وصدق العلاقات فيما بينها ، لقد ادركت الامتان التركية والعراقية اللتان جعلتها المعاشرة الطويلة شقيقتين الصداقة السلمية الصحيحة المشبعة بروح الثقة التامة المطلقة وذلك لأنها جعلتا هذه القواعد الانسانية الخالصة دستوراً لها . إن الجمهورية التركية تتابع باهتمام عظيم وجد كبير مساعيكم الثمينة في سبيل رفاهة ورفع شأن العراق الجار الجميل الحبيب وهي تشعر بسرور حقيقي عند مشاهدة المراحل التي قطعتها الأمة العراقية والثمار التي قطفتها في هذا الحقل . إن الجمهورية التركية وقفت قوتها ومقدراتها على سعادة واعلاء بلادها وإنها لاتنشد شيئاً سوى خدمة الأنسانية قدر المستطاع كما أنها ترى نفسها على صلة قوية بجارها العراق ولهذا تجد نفسها فى حقل التعاون الاممى أقرب إلى بلدكم ضعفين ذلك لأن بلدكم نشعر بالقرابة إليه منذ القدم ، ولا ريب في أن الدولة العراقية القوية هي أحد عوامل السلام والأمان في الشرق الأدنى كما أنها إحدى الخوادم لنصر القضية الأنسانية بفضل سجاياها القوية ومثلها العليا الانسانية والوطنية »

« يا صاحب السمو الوصي الكريم إنني عند الاعراب عن تمنياتي من صميم قلبي اشعر بشرف عظيم وأنا أشرب نخب صحة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني المعظم ونخب صحة وسعادة سموكم الملكي الكريم » إنتهى

فاجابه صاحب السمو الأمير عبد الأله بالخطاب الآتي : —

« يا حضرة فخامة الرئيس الوطني الجليل إنني عند الجواب عن كلمات فخامتكم البليغة والودية جداً التي أصغيت إليها باهتمام وانتباه عظيمين أود أن اعبر عن الأثر الطيب البعيد المدى الذي تركه في نفسي ما شهدته من الترحيب والوفاء من جانب فخامتكم ودوائر الحكومة التركية سواء ذلك في اسطنبول اوفي العاصمة أنقرة مدينة اتا تورك العظيم وإذ أشكر جداً لفخامتكم ذلك اذ تحتم لي الفرصة عند عودتي من سفر اربعة اشهر لزيارة أخرى لتركيا وهي التي احبها كثيراً والتي قضيت فيها أوقاتاً جميلة . يا صاحب الفخامة الرئيس الوطني الجليل إنني اعجب كلما شهدت الجهود المبذولة والثمار المقطوفة في حقل تقدم المعارف والعمران . ياصاحب الفخامة لا ريب في أن فخامتكم مرتاحون مبتهجون بقدر ما نحن فيه من الابتهاج لانتهاء الحرب وانتصار مثل الحرية والحق والدمقراطية تلك الحرب التي زعزعت اركان الانسانية منذ سنوات طوال وأنزلت على العالم كارثة مخيفة وبفضل الله تعالى تخلصت بلادي مثلما تخلصت تركيا من أهوال الحرب ومصائبها ومع هذا فنحن نفخر بالانضمام الى ميثاق الأمم المتحدة والمساهمة في قضية الحرية وذلك بتقديم المساعدات التي لاتنسى لجهود الامم المتحدة الحربي ولا ريب أننا سنساهم مع السرور كل جهد يبذل في سبيل الراحة والهدوء والرفاه والسعادة واستقلال الامم وحرياتهم وتأمين الاستقرار والحق وتحقيق الحريات الاربع الشهيرة » !

(ولا حاجة الى أن نبين مدى ابتهاجنا كلما شهدنا العلاقات الودية التي تربط العراق وتركيا تصبح تقليدية ونحن نعرف طيب العواطف والجهود من تركيا نحو الدول العربية الداخلة في جامعة الدول العربية او التي ستدخل فيها وكما

أن عواطفنامتقابلة فان منافعنامشتركة وانني على ثقةمن ان جميع مواطنيناسيدركون هذه الحقيقة ويعملون على منوالها وانهم سيبذلون كل مافي مستطاعهم يداً واحدة في المستقبل في سبيل رفع شأن الأنسانية وتقدم الحضارة وإنني في ثقة كذلك من اننا سنوفق لذلك لما تتمتع به بلادنا من أهمية جغرافية واقتصادية وما طبع عليه شعبانا من استعداد فطري إن هذه الصداقة المباركة التي تعززت ورسخت منذ زيارةسا كن الجنان عمي الملك فيصل الأول الزعيم الخالد أتاتورك قد تقدمت تقدماً ساراً في عهد فخامتكم وتعززت يوماً بعد آخر واستمرت في اعطاء النتائج المثمرة ، وانني اذ أشرب بالنيابة عن صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني وبالاصالة عن نفسي على شرف الصداقة والأخوة وصحة فخامتكم وسعادة الأمة التركيه الشقيقة أشعر بفخر عظيم وسرور كبير) انتهى

ونذكر شيئاً من شعور الأتراك نحو العرب عموماً والعراق خصوصاً ونقتطف بعض ما كتبته الجرائدالتركية بمناسبةوجود سمو الأمير فيربوع بلادهم فكتبت جريدة (تصوير افكار) مقالا افتتاحياً قالت فيه : -

(إن العلاقات التركية العراقية أصبحت قوية بعد انهيار الدولة العثمانية وخاصة عقب زيارة المغفور له (الملك فيصل) وتعلق عظيم الامل على سمو الامير من حيث هو رئيس دولة جارة في أن يزيد من التقارب بين البلدين) ثم ذكرت نفس الجريدة « أن الصداقة العراقية التركية ستكون الحجر الاساسي لاستقلال بلدان الشرق الادنى . » انتهى .

ثم كتب الاستاذ الكبير « حسين جاهد يالجين » في جريدة « خبر » افتتاحية تحت عنوان (العلاقات التركية العراقية) جاء فيها : « إن الاخوة التركية العربية والمصالح العربية التركية ظاهرة أساسية وثابتة منذ دور الاتحاد والترقي الذي منح الأستقلال للبلاد العربية ، وعقدالاتفاق بين الامتين ولم يسمح الزمن ولا الأحوال على تطبيق المشروع ولا على تحقيقه ، ولكن ضرورة الاتحاد التي نشعر بها منذ

القدم بدأت تظهر » انتهى

وكتب الكاتب السياسي التركي الشهير (احمد شكرى اسمر) في جريدة (أولوس) مقالا تحت عنوان (مركز العراق الممتاز) جاء فيه : (لقد عشنا مع العراق في خلال السنوات الطويلة التي سبقت الحرب العالمية الماضية يجمعنا مصير مشترك وتربطنا مقدرات موحدة وقد تركت تلك العهود في نفوس الترك ذكريات خالدة للعراقيين النبلاء وبعد انفصال مقدرات بلدينا والغاء الانتداب من العراق قابلنا بلوغ العراق استقلاله بسرور واغتباط إذ لم نعترف قط في وقت من الاوقات بالانتداب . » واستطرد الكاتب بقوله : « ان الركن الاساسي لسياسة خارجية الجمهورية التركية هو ضمان علاقات ودية وصلات صداقة مع جميع جاراتها والعيش معها في صفاء ووئام » انتهى .

وعند انتهاء الزيارة وعودة سموه أخذت الجرائد التركية تكتب مقالات تعبر فيها عن شعورهم وتألمهم لمفارقة سموه بلادهم فكتب (فالح رفقي آتاي) في جريدة (أولوس) ما يأتي : (سيغادر سمو الوصي على عرش العراق مدينة انقرة ونحن نأسف على أن هذه الزيارة كانت جداً قصيرة . وقد ترك مكوثه بين ظهرانينا ذكرى لا تمحى في نفوسنا . وقد كنا نشعر بسعادة لو استطعنا التعبير عن مقدار العطف الذي تكنه الأمة التركية تجاه الزائر الكريم وعن مدى تعلقها بالشعب العراقي) انتهى

عند مغادرة حضرة صاحب السمو (انقرة) نشر البلاغ الرسمي الذي يوحي بالصداقة والمصالح المشتركة وهذا نصه :

« شرف اسطنبول في الخامس عشر وانقرة في السابع عشر من شهرنا الحالي بناء على دعوة من حضرة صاحب الفخامة الرئيس الوطني الجليل حضرة صاحب السمو الملكي الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق المعظم برفقة فخامة السيد نوري السعيد رئيس الوزارة العراقية السابق ومعالي السيد داود الحيدري وذلك

بعد عودته من رحلته الى اوربا وكانت زيارة سمو الامير المعظم لتركيا مظاهر ودية وباهرة وهي منبثقة من السياسة التي تربط تركيا والعراق باواصر سياسية لدرس وتدقيق ما يقتضيه عالم ما بعد الحرب المنبثق من روح واحكام ميثاق الأمم المتحالفة الذي انضمت اليه تركيا والعراق بايمان حقيقي من وجهة مصالحها المشتركة » .

« وقد ظهرت بنتيجة ذلك من وحدة مصلحة الرأي سواء في الناحية السياسية الاقتصادية وناحية الغايات ، وقد بين ذلك كل تطور سيقع بين تركيا والعراق موافقاً لمصالح باقي بلدان الشرق الادنى التي تحمل نفس العقلية بقدر ما هو بين الجارتين الشقيقتين تركيا والعراق . وسيغادر صاحب السمو الملكي الوصي على عرش العراق المعظم انقرة اليوم بطيارة خاصة قاصداً بغداد » . انتهى

لم يمر زمن طويل حتى ظهرت نتائج زيارة صاحب السمو فقد امر سموه صاحب الفخامة نوري باشا السعيد بمباشرة الدخول مع ساسة الاتراك في مفاوضة لعقد معاهد حسن الجوار بين البلدين يلائم الوضع العالمي الحالي وفي (٢٥ شباط ١٩٤٦ م غادر فخامته بغداد على رأس وفد متوجهاً إلى انقرة حيث بقي الوفد يفاوض الحكومة التركية زهاء الشهر حتى توصل إلى التوقيع على معاهدة الصداقة وحسن الجوار) وملاحيقها فى (٢٩ آذار سنة ١٩٤٦ م) . واذا دققنا النظر فى المعاهدة تدقيقاً صحيحاً نجد أن المصلحة المشتركة توفرت فيها زيادة على أننا بوساطتها نحقق أمنية الشرق الأوسط وجاء في أسباب عقدها ما يأتى : —

« لما كان هدفها الأسمى توسيع علاقات الصداقة وحسن الجوار السائدة لحسن الحظ بين العراق وتركية وتقوية المودة وروابط الأخوة القائمة منذ قرون بين الشعبين .

ولا عتبارهما السلم والأمن في بلديهما مندمجين في السلم والأمن لشعوب العالم

وخاصة شعوب الشرق الأوسط وأساساً لسياستها الخارجية الثابتة » . وجاء فيها ايضاً « ولا عتبارها أن التقارب الفعلي لا يتحقق إلا اذا استند الى التفاهم والتعاون المتقابل في الحقل الاقتصادي » . انتهى .

لوحظ أن المادة الأولى من المعاهدة هي الاحترام المتقابل بين المملكتين وجاءت كما يأتي : (يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يحترم عام ملك الآخر والحدود الفاصلة بين بلديهما كما حددت وخططت وفق احكام المعاهدة المنعقدة في سنة ١٩٢٦ م)

أما المادة الثانية فقد نصت على ان لا يتداخل أحـــد الطرفين في الشؤون الداخلية للدولة الثانية وجاءت على شكلها الآتي : (يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين باتباع سياسة عدم التدخل بصورة باتة في الشؤون الداخلية للطرف الثاني) . وقد جاء في المادة السادسة نوع التعاون الذي تقدمه احدهما للاخرى ، وذكر فيها أنواع البروتوكولات الملحقة وهذا نصها « أن الفريقين الساميين المتعاقدين رغبة منهما فى تحقيق تعاونهما فى جميع علاقاتهما بالروح الذي توحيه هذه المعاهدة عقد البروتوكولات الآتى بيانها والتي تعتبر جزأ متمماً لهذه المعاهدة : (١) : البروتوكول الملحق رقم ١ (بشأن تنظيم مياه دجلة والفرات) (٢) : البروتوكول رقم ٢ « بشأن التعاون المتقابل في أمور الامن » « ٣ » : البرتوكول الملحق رقم ٣ « بشأن التعاون في امور التربية والتعليم الثقافة . » (٤): البروتوكول الملحق رقم ٤ « بشأن المواصلات البريديـــة والبرقية والتلفونية » «٥» البروتوكول الملحق رقم ٥ « بشأن الأمور الاقتصادية عموماً » «٦» : البروتوكول الملحق ٦ « بشأن الحدود » .

٤ – صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني

ورغبته الصادقة في توطيد الصداقة

بمرور الأيام والسنين توطدت أواصر الصداقه بين العراق وتركيا وتعززت بشعور مملوء بالود والمحبة حتى شعروا أن الاتفاقيات السابقة والعلاقات الأخوية الماضية غير كافية في أن تكون لسان الحال بين البلدين وبلدان شرق الاوسط ولذا شعر المسئوولون بالتواصل والتعانق وعلى أثرها أمر مولانا صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني المسئولين باجراء مايلزم اجراؤه مع أخوانهم الأتراك الوصول الى هدف أسمى يضمن مصالح البلدين ولاسيما في هذا الظرف العصيب الذي تتكتل فيه الدول فأيد صاحب الفخامة « نوري باشا السعيد » الفكرة وعند رجوعه إلى وطنه عرج فخامته إلى اسطنبول في تشرين الاول «سنة ١٩٥٤ م» وتذاكر مع ساسة الأتراك وبعد يوم من مغادرته نحو العراق صدر في أسطنبول هذا البيان المشترك : « عرج فخامة السيد نوري السعيد رئيس وزراء العراق على أسطنبول بزيارة غير رسمية في طريق عودته من لندن إلى العراق وحل ضيفاً على الحكومة التركية منذ اليوم التاسع من الشهر الحالي حتى التاسع عشر منه . وقد أتاحت هذه الزيارة فرصة طيبة لتبادل وجهات النظر بين فخامة الضيف الكريم وفخامة رئيس الوزراء التركية السيد عدنان مندرس الذي بقي في اسطنبول بصورة خاصة منذ ابتداء هذه الزيارة حتى انتهائها . وقد اشترك في هذه المباحثات الصميمة جداً كل من نائب رئيس الوزراء السيد « فاتن رشدي زورلا » ومعالي وزير الخارجية الاستاذ « فؤاد كوبرولي » ومعالي « الدكتور ابراهيم

عاكف الألوسي » سفير العراق في أنقره والسكرتير العام لوزارة الخارجية التركية السيد نوري بركي وسعادة سفير تركيا الجديد في العراق (السيد مظفر كوكسنن)

وكانت هذه المباحثات تجري حول العلاقات القائمة بين البلدين والأوضاع القائمة في الشرق الأوسط والسياسة الاولية في هذا الجزء من العالم

وقد تجلت الصداقة (التركية — العراقية) بأجلي مظاهرها فيما يتعلق باقامة تعاون وثيق من جميع النواحي والشؤون التى تقضيها مصالح البلدين العليا . وكان ذلك نتيجة طبيعية للاخوة القائمة بين الامتين التركية والعراقية . وهو الأمر الذي لايقتصر نفعه على البلدين فحسب بل يعود بجزيل الخير والبركة على الشرق الاوسط بأجمعه

لقد تم الاتفاق على أن لايمكن إقرار الأمن والسلم العام في الظروف الحالية ولا يمكن ضمان الاستقرار إلا عن طريق ايجاد تفاهم كامل بين الشعوب المتمسكة بكل إخلاص بالمبادي والمثل العليا للامم المتحدة ، وتأسيس جبهة أمن مشتركة ومتماسكة فيما بينها خالية من كل ثغرة على أولئك الذين يرمون إلى الاستيلاء عليها والتحكم في شؤونها ومن ثم ابادتها

كما تم التوصل إلى النتيجة القائلة بأنه ينبغي العمل يداً واحدة دون أي تأخر لتكوين جبهة أمم مشتركة كالجبهة الموجودة في الشرق الاوسط ضمن شروط المساواة التامة

وقد أعرب فخامة السيد عدنان مندرس لضيفه المحترم عما تكنه تركيا للدول العربية من خالص شعور المحبة والاحترام كما أعرب لفخامته باسم الحكومة التركية أن تركيا على استعداد تام لاعطاء شتى أنواع الضمانات بعدم اتباع خطة تعارض مصالح هذه الدول

ولما كانت هذه المباحثات ودية وصميماً للغاية فقد أعرب كل من رئيسي

الوزارتين عن اغتباطهما كما أعرب كل منهما عن أملها استمرار الاتصالات الشخصية بينهما في كل فرصة سانحة ». انتهى

عندما كان فخامته في تركيا وجه بدعوة الى فخامة السيد عدنان مندرس رئيس وزارة التركية لزيارة العراق رسمياً فقبل فخامته هذه الدعوة الكريمة . ولم يمر زمن طويل حتى قابل فخامته الزيارة فوصل إلى بغداد على رأس وفد تركي ليقضي أياماً بين أخوانه العرب متحدثاً معهم في شؤون تخص البلدين . وقد استقبل الوفد التركي حكومة وشعباً استقبالا حافلا وعلقت الصحف العراقية والاذاعة على أهمية هذه الزيارة وبوشرت المذاكرة بين الجانبين في المسائل العامة والخاصة وفي النتيجة توصلوا إلى قرار تضمن فيه مصالح الطرفين ومصالح العرب خاصة فأصدروا بياناً مشتركاً في « ١٣ كانون الاول سنة ١٩٥٥ م » هذا هو نصه : .

« استجابة لدعوة الحكومة العراقية قام فخامة رئيس وزراء تركيا السيد عدنان مندرس ووزير خارجيتها البروفسور فؤاد كوبرولي والهيئة المرافقة لهما بزيارة رسمية للعراق بدأت (في ٦ كانون الثاني سنة ١٩٥٥) وبنتيجة المباحثات التي دارت خلال هذه الزيارة بين رجال الحكومة التركية ومساعديهم وبين فخامة رئيس الوزراء العراقية ورجال الحكومة العراقية ومساعديهم — في جو مشبع بالثقة الصميمية — توصل الطرفان إلى توافق تام في وجهات النظر لا سيما في الشؤون التالية : —

« عندما كان فخامة رئيس الوزارة العراقية في اسطنبول في تشرين الأول الماضي جرت مباحثات حول وجوب ايجاد تعاون لتأمين استقرار منطقة الشرق الاوسط وسلامتها أعلن عنها ببيان مشترك سابق . وقد قررت الحكومتان التركية والعراقية الآن عقد اتفاق يرمي إلى تحقيق وتوسيع التعاون المذكور بأقرب وقت مستطاع

وسيحتوي هذا الاتفاق على عهد بالتعاون لصد أي اعتداء قد يقع عليها من داخل المنطقة أو من خارجها - أي من اية جهة كانت - وذلك استناداً الى حق الدفاع الشرعي الذي قررته المادة « ٥١ » من ميثاق الامم المتحدة.

إن هذا الاتفاق سيكتسب شكله النهائي ويتم التوقيع عليه في زمن قريب جداً وبدون اضاعة اي وقت.

إن الحكومتين التركية والعراقية تعتقدان أن عقد مثل هذا الاتفاق في الشرق الأوسط يخدم مبادىء ميثاق الأمم المتحدة ويحقق استقراراً يستند الى تلك المبادىء والى المقررات المتخذة بموجبها ويعمل على تقوية الأمن وذلك بالحيلولة دون ما قد يظهر من نوايا عدوانية بأي شكل من الأشكال، كما أنه يعمل على حماية السلم، ولذلك فانها تعتبران من الضروري والمفيد أن ينظم الى هذا الاتفاق غيرها من الدول التي تثبت عزمها على العمل لتحقيق أهدافه او التي تستطيع ان تعمل على ذلك بحكم موقعها الجغرافي أو امكانياتها.

وعلى ذلك فأنها - خلال المدة القصيرة التي ستسبق عقد هذا الاتفاق - ستكونان على اتصال وثيق بالدول التي تبدى رغبتها في العمل معها في هذا السبيل كما ستسعيان لأن يتم التوقيع على هذا الاتفاق مع الدول المذكورة في وقت واحد ان أمكن، وعلى اي حال فانها ستواليان بذل الجهود نفسها بعد التوقيع عليه ايضاً ﴾: انتهى

وقبل مغادرة فخامة مندرس بغداد دعاه مجلس الأمة العراقية لزيارة المجلس فلبى الدعوة وحضر يوم (١٢ - ١ - ١٩٥٥) والقى رئيس المجلس معالي الاستاذ عبد الوهاب مرجان كلمة تأريخية جاء فيها. « سادتي: باسمي وبأسم نواب الأمة أرحب أجمل ترحيب وأحيي اطيب تحية فخامة رئيس الوزراء الجارة العزيزة تركية وانها لمناسبة طيبة وفرصة سعيدة أن يحل بين ظهرانينا ويزور مجلسنا فخامة السيد

عدنان مندرس وصحبه الكرام .

لقد أتاحت لي هذه المناسبة تحية الشعب التركي الشقيق مقرونة بتمنياتي له اطراد الازدهار والتقدم .

سادتي : إن الروابط التي تربط الشعب التركي بالامة العربية كثيرة منها وحدة الدين الاسلامي الحنيف الذي ساوى بين المسلمين (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)صدق الله العظيم . فلا فرق عند الله بين مسلم ومسلم الا بالتقوى التي توصل الشعوب والامم الى ما فيه خير البشرية جمعاء

ومنها العلاقات التأريخية التي تربط الشعبين التركي والعربي روابط قوية وعلاقات الجوار والمصالح مشتركة بيننا .

سادتي : كل هذه الروابط وغيرها تجعلنا متفائلين بمستقبل التعاون بين البلدين تعاوناً ينسجم وامانينا القومية

وختاماً اكرر ترحيبي بالضيف الكريم متمنياً له طيب الاقامة وللجارة العزيزة تركيا العز والسؤدد » انتهى .

فقام سعادة النائب السيد عز الدين ملا فألقى ترجمة الخطبة بالتركية وفي نهايته قام رئيس المجلس ثانية وقال (ان فخامة السيد عدنان مندرس يرغب بالدخول الى قاعة المجلس والكلام ولاشك في أنني إذ ادعوه باسم حضراتكم للتفضل بالحضور فاني اعرب عن ترحيبكم به »

فدخل فخامة السيد عدنان مندرس قاعة الاجتماع بين عاصفة من التصفيق المتواصل فاخذ محله في المقصورة ثم القى كلمته التأريخية باللغة التركية وتعد أول كلمة يلقيها مسؤول في الحكومة التركية في مجلس الامة العراقية وغير خاف على أحد مايدل ذلك عليه من روح الاخاء الذي بين ابناء المملكتين ويعد فخامة



صاحب الفخامة السيد عدنان مندرس رئيس وزراء تركيا يلقي كلمته التاريخية في مجلس النواب العراقي

مندرس غير غريب عن العراق كما جاء فى كلمته التى القاها باللغة التركية والمترجمة أدناه :

ياصاحب المعالى :

أنها لفرصة سعيدة وأستثنائية أن اكون اليوم في مجلس أمة الجارة الصديقة لاقف مخاطباً حضراتكم والشعب العراقى الكريم .

وأنني إذ أحيي مجلسكم الموقر ومعاليكم بكل احترام وتقدير فانا واثق أنني اخاطبكم بلسان حكومتي وأمتي حاملا تحية الشعب التركي الى الشعب العراقي الشقيق .

وانني لسعيد جداً بأن اقدم شكري وامتناني العميقين الى معاليكم لما أظهرتموه في خطابكم من آيات الصداقة وروابط الاخوة الصميمة الموجودة بين البلدين .

وأن الاستقبال الحار الذي استقبلنا به منذ قدومنا الى بلادكم الجميلة ليتجلى في مظاهر الحفاوة التى نراها الآن في مجلسكم العالي .

وأنني مقتنع بأن الروابط الكثيرة التي تربط البلدين وخاصة كما تفضلتم واوضحتم ذلك من وحدة الدين والعلاقات التاريخية وعلاقات الجوار والمصالح المشتركة لهي منبثقة من أحاسيس الاخوة المتبادلة خلال العصور الطويلة الماضية واننا لواثقون بأن تأسيس اواصر التعاون والاخوة الصميمة لن يستغرق وقتاً طويلا ونرى إن هذه الاحاسيس التى كنا ولانزال نشعر بها ستتحقق بصورة ملموسة فى العلاقات التي ستزداد وثوقاً بين البلدين النجيبين فى المستقبل القريب جداً .

وكما تفضلتم ان كل هذه الروابط وغيرها تجعلنا متفائلين بمستقبل التعاون بين البلدين تعاوناً ينسجم وأماني شعبينا القومية .

فنقف امام الخطر الذي يهددنا بمختلف الاشـــكال والصور وستمطي مساعينا هذه النتائج الطيبة والمفيدة .

وفي الختام انني ابتهل الى الله ان يكون لنا عوناً على اعمالنا هذه وفيما نسأله من طريق مستقيم . واشكركم شكراً جزيلا) . انتهى

ومن ثم غادر فخامته وأعضاء الوفد التركي بناية مجلس الامة بمثل ما استقبل به من حفاوة وتكريم .

ان فخامة السيد عدنان مندرس بعد اكمال مهمته غادر قبل ظهر يوم ١٤ ـ ١ ـ ١٩٥٥ بطريق الجو . وقبل مغادرته عقد فخامته مؤتمراً صحفياً في بناية المطار حضره مندوبو الصحف ومراسلو وكالات الانباء الخارجية فالقى فخامته كلمة باللغة التركية هذا ترجمتها :

« اقدم خالص شكري للصحافة العراقية التي أبدت كل حفاوة وحسن قبول في أثناء زيارتنا للعراق الشقيق .

وفي الوقت نفسه يؤلمني عدم تمكني من الاجتماع بكم من قبل لأتحدث اليكم كثيراً ولاستمع اليكم كثيراً ولكن ضيق الوقت قد حال دون ذلك ان الشيء الذي اردت ان اقوله لكم والتي وددت أحدثكم عنها شفهياً سأقدمها اليكم تحريرياً » انتهى .

وهذا هو ترجمة البيان الذى اعطاه للصحفيين : ـ

« نفارق العراق أنا واخواني بشعور الذي تلاقوا كاصدقاء بل اشقاء حقيقيين لهم . وقد تشرفنا بمقابلة جلالة الملك وسمو ولي العهد المعظمين وفخامة رئيس الوزراء السيد نوري السعيد وزملائه معالي الوزراء وحضرات النواب ورجال السياسة والحكومة المحترمين ، وقد شاهدنا منهم كل شعور بالصداقة

والقربى كما لمسنا نفس الحفاوة من أخواننا العراقيين أينما حللنا وحيثما مررنا وكانت هذه دلائل قوية على سياسة التعاون بيننا وأن هذه الحقائق ستكون نصب اعيننا ولن ننساها ابداً

انتم ايها الصحفيون الكرام أرجو ان تتوسطوا لا بلاغ ما نكن من المودة للشعب العراقي النبيل واننا إذ نفارق بغداد بقلوبنا المملوءة بالمودة والثقة والشكر العميق سنوضح بكمال الفخر ما لمسنا هنا من حسن الضيافة والحفاوة لمواطنينا الاتراك وهنا ارجو ان اعبر بأن الثقة والمودة اللتين يكنهما الشعب التركي للعراقيين تأتيان من أعماق قلبه وعلى هذا الاعتبار فالاخوة الموجودة بيننا وبين العراق ستظهر في الحقل السياسي بمعنى الكلمة ، وانني اعبر عن ذلك بسرور بليغ أما المحادثات السياسية التى اجريناها فثمارها واردة في البيان الرسمي المشترك ان ما اريد الاشارة اليه هو الفرق الكبير بين ماتوصلنا اليه من نتائج معاهدة ١٩٤٦ م والتي لم يفقد منها الا الشيء القليل وان التعاون الذي قلناه في البيان المشترك المذكور سيكون أثره كثيراً جداً فى مصلحة الشرق الاوسط فاتحة خير له . ان الطريق الذي سلكناه وسنسلكه سيضمن السلام وتطبيق قواعد العدل والحفظ عليها من أي نوع من أنواع الاعتداء والتهديد ويرمي الى العمل المشترك في هذا المضمار لابد انكم لاحظتم أن البيان المشترك لايرمى الى التعاون الثنائى فحسب بل الى التعاون الشامل الكثير الاطراف ومن الضروري القول أننا أعرنا اهميه بالغة جامعة الدول العربية . ان ما بحثناه ووقعناه لن ينحصر فى الكلام فقط بل بعكسه وستكون نتائجه واضحة جلية في وقت قريب وستظهر مدى اهمية التعاون المنشود . ويمكننا القول منذ الآن إن النتائج التي توصلنا اليها قد ظهرت واضحة جلية فى الاوساط المختصة والتي قابلتها بالامتنان كما أنها أحدثت الفزع والتأثر في اوساط المغرضين ذوي التفكير الضيق ومن جهة اخرى

لاتفكر تركيا أو العراق في ان هذا التعاون شيء خاص بها أو يقصدان من ورائه مكاناً ممتازاً لهما او يؤملان منفعة مادية أو معنوية بهذا الخصوص ويجب ان يكون ما يتوصل اليه نموذجاً طيباً يستهدف المساواة وغاية سامية والمصافحة الأخوية .

وعندما اعلنا فى البيان المشترك ان اتفاقاً كهذا سيوقع عليه في القريب العاجل لم نكن نقول ذلك بصفتنا اعضاء مؤسسين له بل كان قصدنا من ذلك عدم اضاعة الوقت الثمين وسيثبت بمرور الزمن مدى تقدير قيمة واهمية العمل الذى بدأنا به بفضل ماأبدته الامة العراقية الشقيقة من النظر الصحيح وكياسة الرجال الذين يديرون شؤونها كما بينا قبل لحظة وان الواجب الذي يترتب علينا هو أن نؤيد دائماً الثقة العميقة في نفوسنا وأن نستمر على عزمنا وقرارنا تجاه الحركات والتيارات المعاكسة لتحقق بذلك الاثر الجميل الذى أخذ يتكامل ويتحقق) انتهى .

أن الرئيس قد أعجبته الحفاوة البالغة التى أبدتها الحكومة والشعب العراقي وتركت فى نفسه أثراً طيباً وأعرب فخامته في البرقية المرسلة من دمشق بتاريخ ١٤ ـ ١ ـ ١٩٥٥ إلى كل من فخامة نوري باشا السعيد ومعالي عبد الوهاب مرجان.

صورة برقيته المعنونة إلى فخامة نوري باشا السعيد ندرجها ليطلع عليها القارىء

فخامة السيد نوري السعيد باشا رئيس الوزراء بغداد :

«في الوقت الذي نغادر مملكتكم الجميلة — بقلوب مفعمة بالشكر والأمتنان وملاىء بأحاسيس الأخوة — اقدم بأسمي واسماء كافة زملائي لشخص فخامتكم العالي اعمق تقديرنا للمشاعر الصميمة الصادقة التى تجلت فيما أبد يتموه نحونا من حفاوة وتكريم يدعوان الى الفخر والاعجاب كما أقدم مرة اخرى بأسمنا جميعاً اعمق احتراماتنا واصدق احساسات المحبة الخالصة وآيات الشكر لأعضاء الوزراء



الجانبان العراقي والتركي في لحظة التوقيع على الميثاق العراقي - التركي في ٢٤ شباط ١٩٥٥ في بغداد

المحترمين وعلى رأسهم فخامتكم ، وكذلك لسائر الأخوان الذين ساهموا في بذل المساعي للوصول إلى ما تم الحصول عليه من نتائج طيبة ، وتقبلوا بالغ شكرنا مجدداً صيدي — عدنان مندرس » . انتهى

صورة البرقيه المعنونة إلى معالي رئيس مجلس النواب السيد عبد الوهاب مرجان .

« السيد المحترم عبد الوهاب مرجان رئيس المجلس النيابي :-

أني اشعر بالغبطة والسعاده بقبولي في مجلسكم المحترم واعطائي فرصة للخطبة فيه وأشكركم من صميم قلبي على ما أبديتموه نحوي من أحاسيس طيبة في خطابكم الوجيز القيم فاليكم احترامي وتحياتي الطيبة وشكري العميق -عدنان مندرس » .

لم يبق بين العراق وتركيا الا تنظيم المعاهدة المنوي عقدها فسمى الطرفان في المذاكرة المتقابلة وأحضروا لائحة للاتفاق وقررا التوقيع عليها في بغداد ، ولاجل التوقيع حضر صاحب الفخامة السيد عدنان مندرس بغداد يوم ٢٣-٢-٥٥ مع وزير الخارجية صاحب المعالى البروفسور فؤاد كوبرولي فوقعوا على الاتفاقية فى يوم ٢٤ - ٢ - ١٩٥٥ ولقد جاء في أول الاتفاقية :-

(لما كانت علاقات الصداقة والاخوة السائدة بين العراق وتركية فى نمو مطرد واستكمالا لما جاء في معاهدة الصداقة وحسن الجوار المعقودة بين حضرة صاحب الجلالة ملك العراق وحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية التركية الموقع عليها في انقرة (في ٢٩ - آذار سنة ١٩٤٦) التي اقرت ان السلم والامن بين البلدين جزء لايتجزأ من السلم والأمن لشعوب العالم وخاصة شعوب الشرق الاوسط واساساً لسياستها الخارجية .

ولما كانت المادة الحادية عشر من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين الدول الجامعة العربية تنص على ان ليس فى احكامها مايمس او

يقصد به أن يمس بأية حال من الاحوال الحقوق والالتزامات المترتبة او التي قد تترتب للدول الاطراف فيها بمقتضى ميثاق هيأة الامم المتحدة .

ونظراً لأدراكها عظم المسؤولية الملقاة على عاتقها وبوصفها عضوين في هيأة الامم المتحدة يهمها استتباب الامن والسلم في منطقة الشرق الاوسط مما يوجب اتخاذ التدابير اللازمة وفقاً لاحكام المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة . فقد اقتنعنا بضرورة عقد ميثاق يحقق هذه الاهداف وعينا لهذا الغرض مندوبين مفوضين . . .) انتهى .

إذا دققنا النظر في مواد المعاهدة نجد اظهر ما يراد بها ملاحظة صيانة الامن في الشرق الاوسط وتعاونهما مع العالم الحر لصيانة الامن العالمي كما انه يتعهد الطرفان بعدم تدخل احدهما في شؤون الداخلية لدولة الطرف الآخر حيث جاءت المادة الاولى منها على الشكل الآتي : -

يتعاون الفريقان الساميان المتعاقدان لغرض صيانة سلامتهما والدفاع عن كيانهما وفقاً لأحكام المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة ويجوز أن تثبت التدابير التي يتفقان على اتخاذها لجعل هذا التعاون نافذاً باتفاقات خاصة تعقد بين احدهما والاخر .

وجاءت مادتها الرابعة على الشكل الآتي يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بالامتناع عن اي تدخل بأي شكل من الاشكال في الشؤون الداخلية لاحدهما الاخر ويقومان بفض اي نزاع بينهما بالطريقة السلمية وفقاً لميثاق هيئة الامم المتحدة .

وإذا لاحظنا الكتب المتبادلة بين الطرفين في بغداد يوم ٢٤ شباط سنة ١٩٥٥ وجدناها تعبر عن نفس الغاية التي هي محافظة الامن والدفاع المشترك بينهما ضد العدوان الخارجي وعدم تدخل أحدهما في شؤون الآخر

فرجع الوفد الى تركية بطائرة خاصة يوم ٢٥ شباط سنة ١٩٥٥ بعد اكمال مهمتهم الشريفة . وبمناسبة توقيع المعاهدة ارسل فخامة السيد جلال بايار رئيس الجمهورية التركية برقيته الآتية الى صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني المعظم :

(علمت الآن من برقية تسلمتها من رئيس الوزراء عدنان مندرس بتوقيع ميثاق التعاون المتبادل بين بلدينا واني على يقين بأن هذا العمل العظيم قد تم تحقيقه بفضل فطنة ونضج الشعب العراقي الشهم وبحكمة وكفاية وعزم زعمائه تحت توجيه جلالتكم . وان هذا الميثاق لن يقتصر نفعه العظيم على شعبكم فقط وأنما سيكون لمصلحة السلم العالمي .

أقدم لجلالتكم أصدق تهاني القلبية مع أطيب التمنيات لسعادة شخصكم وازدهار الشعب العراقي الشقيق - جلال بايار» .

فاجابه صاحب الجلالة بهذه البرقية الرقيقة : —

« من دواعي سروري العظيم أن أعرب لفخامتكم عن شكري الخالص لتهانيكم الرقيقة بمناسبة توقيع ميثاق التعاون المتبادل المعقود بين بلدينا . وإني على ثقة من أن سيكون للميثاق آثار طيبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بين تركيا والعراق ، وانتهز هذه الفرصة لا بعث إلى فخامتكم بأطيب التمنيات لسعادة شخصكم الكريم ولرفاهية الشعب التركي الشقيق - فيصل » .

ثم أحيلت المعاهدة على كل من (مجلس النواب العراقي) و (المجلس الوطني التركي الكبير) فأبرمت وعلى أثرها تبادل رئيس المجلسين برقيتين معربتين فيهما عن شعور شعبيهما نحو المعاهدة .

واليكم صورة البرقيتين : — برقية رفيق كورلتان رئيس (المجلس الوطني التركي الكبير) أرسلها إلى عبد الوهاب مرجان رئيس مجلس النواب العراقي:

« بسرور بالغ أتشرف أن أحيط معاليكم ومجلس النواب علماً بأن المجلس الوطني

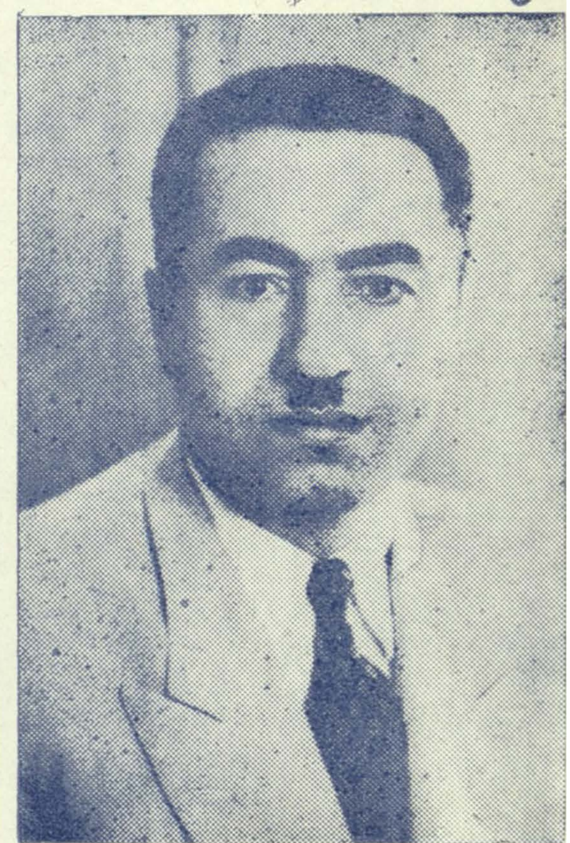
الكبير للجمهورية التركية أبرم الميثاق التركي العراقي الموقع عليه في بغداد في (٢٤ شباط سنة ١٩٥٥) بين العراق وتركيا باجماع الحاضرين البالغ عددهم (٤٤٩) وسط مظاهر الترحيب والعواطف الأخوية للعراق فأدعو العلي القدير أن يكون هذا الاتفاق فاتحة عهد مبارك ليس لشعبينا فقط بل للشرق الأوسط أجمع للامن والسلام العالمي وتقبلوا ياصاحب المعالي احتراماتي الفائقة » انتهى

صورة البرقيةالجوابية التي بعث بها رئيس مجلس النواب العراقي إلى رئيس المجلس الوطني التركي الكبير « تلقيت برقيتكم المتضمنة تصديق المجلس الوطني التركي الكبير لميثاق التعاون المتبادل بين العراق وتركيا بغبطة وسرور بالغين، وفي الوقت نفسه يسرني ببالغ الشرف أن أخبركم بأن مجلس النواب قد صادق أيضاً على الميثاق المذكور وسط مظاهر الترحيب والعواطف الأخوية لتركيا جارتنا العزيزة وإني في الوقت الذي أحيي باسم مجلس النواب الشعور الدافق والعواطف الطيبة في أعضاء المجلس الوطني التركي الكبير أدعو الله أن يجعل هذا التعاون فاتحة لخير وبركة شعبينا المتآخين، ولشعوب الشرق الأوسط . وتقبلوا ياصاحب المعالي احتراماتي الفائقة » : انتهى

فيما يأتي نص ميثاق التعاون المتبادل بين العراق وتركيا ، الموقع عليه في بغداد بتاريخ ٢٤ شباط سنة ١٩٥٥ : ـ

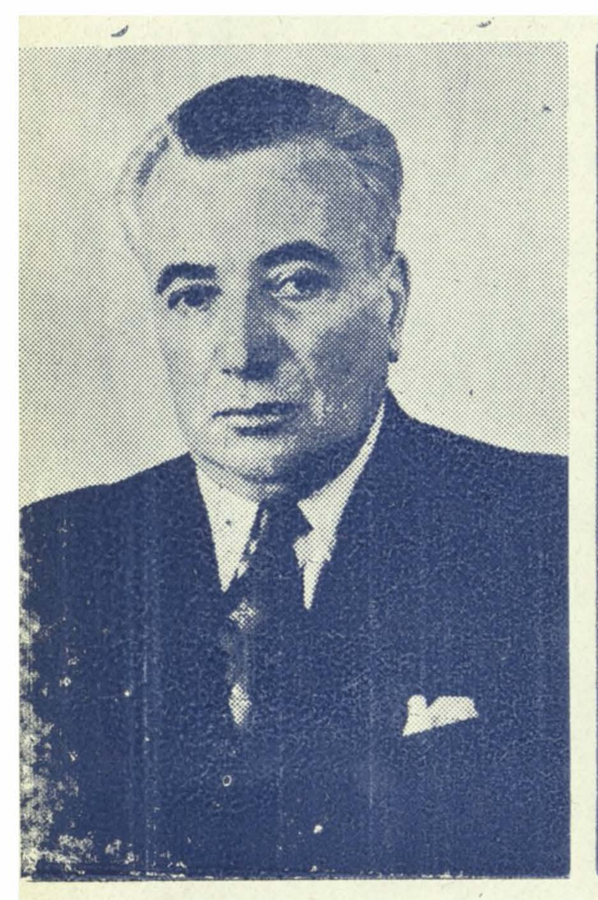
الاسباب الموجبة

كان الركنان الأساسيان لسياسة العراق الخارجية منذ تأسيس كيانه هما خدمة الأهداف العربية وتأمين سلامة العراق باعتباره دولة لها — بحكم موقعها الجغرافي — ظروفها الخاصةالتي ينبغي مراعاتها للمحافظةعلى سيادتها واستقلالها وبقائها عضواً نافعاً من مجموعة الدول العربية . ولذلك فقد دأب العراق على توطيد



صاحب المعالي عبدالوهاب مرجان

رئيس مجلس النواب العراقي



صاحب المعالي رفيق قوالتان

رئيس المجلس الوطني التركي الكبير

علاقاته بجاراته وبالدول الكبرى التي ارتبطت مصالحها بمصالح العراق . وقد قام منذ سنة ١٩٢٦ بعقد سلسلة معاهدات مع تركيا كان آخرها معاهدة الصداقة وحسن الجوار المعقودة فى ١٩٤٦ التي أقرت ان السلم والأمن في البلدين مندمجان في السلم والأمن لشعوب العالم وخاصة لشعوب الشرق الأوسط .

وبالنظر الى الأحوال العالمية القائمة وضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لصيانة سلامة العراق واستتباب الأمن والسلم في المنطقة بصورة عامة ، وكذلك لتنظيم علاقات العراق بالدول الغربية بعدأن أصبح التعاون مع هذه الكتلة مبدأ مقبولا أقرته الدول العربية فى مختلف المناسبات ، ونظراً لما ورد في الاتفاق (المصري — البريطاني) الاخير الذي اعتبر أي هجوم مسلح يقع على احدى دول الجامعة العربية أو على تركية خطراً يهدد سلامة المنطقة بأجمعها ويوجب عودة القوات البريطانية إلى قاعدة قنال السويس ، فقد أرتيء عقد ميثاق يستند إلى المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة التي اعترفت بالحق الطبيعي للدول الأعضاء فيها — فرداً وجماعات — في الدفاع عن أنفسها عند وقوع أي هجوم مسلح عليها . وقد ترك الباب مفتوحاً فى هذا الميثاق لانضمام الدول العربية والدول المجاورة وكذلك لانضمام الدول الأخرى التي يهمها أمر السلم والأمن في هذه المنطقة .

ويجوز فيما بعدعقد اتفاقات خاصة بين الدولتين أو اكثرمن الدول الموقعة او المنظمة بغية تحديد التدابير التى تقتضيها طبيعة التعاون بينهما . ومن شأن هذا الميثاق والحالة هذه أن يؤدي الى تصفية علاقات العراق مع دول الغرب وتنظيمها على أسس جديدة تقتضيها مصالحها المتبادلة . وقد أخذ بنظر الاعتبار عدم تعارض هذا الميثاق مع التزامات العراق بوصفه عضواً في معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية — الضمان الجماعي العربي — التي تستندهي الأخرى الى المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة .

كما أن هذا الميثاق لا يتعارض مع التزامات العراق الدولية بموجب ميثاق الامم

المتحدة وميثاق الجامعة العربية بل انه يعززها ويخدم اهدافها

ونظراً لحرص العراق الشديـد على قضية فلسطين التي كرس لخدمتها والدفاع عنها جهوداً متواصلة فقد أرفقت بالميثاق كتب متبادلة تعهد فيها الطرفان بالتعاون الوثيق على اتخاذ الاجراءات التي تضمن تنفيذ قرارات الامم المتحدة حول قضية فلسطين .

لما كانت علاقات الصداقة والأخوة السائدة بين العراق وتركية في نمو مطرد واستكمالا لما جاء في معاهدة الصداقة وحسن الجوار المعقودة بين صاحب الجلالة ملك العراق وحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية التركية الموقع عليها في انقره في (٢٥ آذار ١٩٤٦) ألتي أقرت أن السلم والامن بين البلدين جزء لا يتجزأ من السلم والامن لشعوب العالم وخاصة شعوب الشرق الاوسط واساساً لسياستها الخارجية »

« ولما كانت المادة الحادية عشرة من معاهده الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين الدول الجامعة العربية تنص على أن ليس في احكامها ما يمس أو يقصد به ان يمس بأية حال من الاحوال الحقوق والالتزامات المترتبة أو التي قد تترتب للدول الاطراف فيها بمقتضى ميثاق هيئة الامم المتحده ، ونظراً لادراكهما عظم المسئولية الملقاة على عاتقها بوصفهما عضوين في هيئة الامم المتحده يهمهما استتباب الأمن والسلم في منطقة الشرق الاوسط مما يوجب اتخاذ التدابير اللازمة لذلك وفقاً الاحكام المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحده .

فقد اقتنعنا بضروره عقد ميثاق يحقق هذه الاهداف وعينا لهذا الغرض مندوبين مفوضين :

عن حضره صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني ملك العراق : صاحب الفخامة السيد نوري السعيد رئيس الوزراء صاحب المعالي السيد برهان الدين باش اعيان

وكيل وزير الخارجية

عن حضرة صاحب الفخامة جلال بايار رئيس الجمهورية التركية : صاحب الفخامة عدنان مندرس رئيس الوزراء . صاحب المعالى البروفسور فؤاد كوبرلي وزير الخارجية .الذين بعد ان قدم كل منهم اوراق تفويضه الى الآخر ووجدها صحيحة ومطابقة للاصول)

مواد المعاهدة هي :

المادة الاولى :—

(يتعاون الفريقان الساميان المتعاقدان لغرض صيانة سلامتها والدفاع عن كيانها وفقاً لاحكام المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة ويجوز ان تثبت التدابير التي يتفقان على اتخاذها لجعل هذا التعاون نافذاً باتفاقات خاصة تعقد بين احدها والآخر) .

المادة الثانية : —

(لغرض تحقيق التعاون المنصوص عليه في المادة الاولى اعلاه والعمل على تأمينه تقوم السلطة المختصة لكل من الفريقين الساميين المتعاقدين بتحديد التدابير التي تنبغي اتخاذها وعند وضع هذا الميثاق حيز التنفيذ وتصبح هذه التدابير معمولا بـــها حال اقترانها بمصادقة حكومتي الفريقين الساميين المتعاقدين)

المادة الثالثة : —

(يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بالامتناع عن التدخل بأي شكل من الاشكال في الشؤون الداخلية لاحدها الآخر ويقومان بفض اي نزاع بينهما بالطريقة السلمية وفقاً لميثاق هيئة الامم المتحدة).

المادة الرابعة : —

(يؤكد الفريقان الساميان المتعاقدان ان ليس بأحكام هذا الميثاق مايتناقص والالتزامات الدولية التي يرتبط بها احدهما مع دولة او دول ثالثة كما انها لايمكن ان تخل أو ان تفسر بما يفهم منه الاخلال بتلك الالتزامات الدولية ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بان لايدخلا في اية التزامات دولية تتعارض وهذا الميثاق) .

المادة الخامسة : —

(يكون هذا الميثاق مفتوحاً للانضمام اليه من قبل اية دولة من دول الجامعة العربية وغيرها من الدول التى يهمها أمر السلم والامن في هذه المنطقة بصورة فعالة والمعترف بها اعترافاً كاملا من كلا الفريقين الساميين المتعاقدين ويصبح هذا الانضمام نافذاً اعتباراً من تاريخ ايداع وثائق الانضمام الدولة التى يخصها الامر لدى وزارة الخارجية العراقية . لاية دولة منضمة الى هذا الميثاق ان تعقد اتفاقات خاصة بموجب المادة الاولى منه مع دولة واكثر من الدول الاطراف فى هذا الميثاق . والسلطة المختصة لاية دولة منضمة ان تحدد هذه التدابير معمولا بها حال اقترانها بمصادقة حكومات الفريقين الذين يخصهم الامر)[١]

المادة السادسة : —

(يشكل مجلس دائم من وزراء العمل ضمن نطاق اهداف هذا الميثاق وذلك عندما يبلغ عدد الدول الاطراف في هذا الميثاق مالايقل عن الاربعة ويقوم المجلس بوضع نظامه الداخلى) .

المادة السابعة : —

---

(١) في اثناء طبع هذا الكتاب ، وفي تاريخ ٥ نيسان ١٩٥٥ أنضمت الحكومة البريطانية الى الميثاق التركي ـ العراقي كما انضمت حكومة باكستان فى تاريخ ١ـ٧ـ٥٥ الى الميثاق نفسه بعد زيارة الجنرال ايوب خان وزير الدفاع الباكستاني لانقرة

(يكون هذا الميثاق نافذاً لمدة خمس سنوات ويعتبر مجدداً لمدداخرى كل منها خمس سنوات ولاى طرف متعاقد أن ينسحب من الميثاق بابلاغ الاطراف الاخرى تحريرياً برغبته في ذلك قبل ستة اشهرقبل انتهاء أية من المدد المذكورة اعلاه ، ويبقى فى هذه الحالة نافذاًبالنسبة للاطراف الاخرى).

المادة الثامنة : —

(يتم ابرامهذا الميثاق من قبل كل من الفريقينالساميين المتعاقدين ويجري تبادل وثائق الابرام في انقرة باسرع ما يمكن ويعتبر نافذاً من تأريخ تبادل وثائقالابرام).

كتب بنسختين في بغداد فى اليوم الثاني من شهر رجب سنة ١٣٧٤ هـ الموافق اليوم الرابع والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٥٥ م باللغات العربية والتركية والانكليزية ويكون النص الانكليزي هو المعول عليه في حالةالاختلاف.

عدنان مندرس	نوري السعيد
عن صاحب الفخامة رئيس الجمهورية التركية	عن صاحب الجلالة ملك العراق
فؤاد كوبرولو	برهان الدين باش اعيان
عن صاحب الفخامة رئيس الجمهورية التركية	عن صاحب الجلالة ملك العراق

فيما يلي نص الـكتب المتبادلة بشأن الميثاق بين رئيس وزراء الدولتين :ـ

بغداد في ٢٤ شباط سنة ١٩٥٥ .

حضرة صاحبالفخامه السيد عدنان مندرس رئيس وزراء تركيا ـ بغداد

صاحب الفخامة :

(عطفاً على الميثاق الذي وقعنا عليه في هذا اليوم أتشرف بأن اسجل تفاهمنا على أن هذا الميثاق سيمكن بلدينا من التعاون فى سبيل صد أي اعتداء موجه ضد أي منهما . وتأميناً لحفظ السلم والأمنفي منطقة الشرقالاوسط

قد اتفقنا على العمل متعاونين تعاوناً وثيقاً من أجل وضع مقررات الامم المتحدة بشأن فلسطين موضع التنفيذ . وتفضلوا ياصاحب الفخامة بقبول فائق الاحترام) .
(نوري السعيد)

بغداد في ٢٤ شباط سنة ١٩٥٥

حضرة صاحب الفخامة السيد نوري السعيد رئيس الوزراء ـ عراق ـ بغداد

(صاحب الفخامة ـ تشرفت بتسلم كتاب فخامتكم بتأريخ اليوم والذي ينص على ما يأتي : ـ

(عطفاً على الميثاق الذي وقعنا عليه في هذا اليوم اتشرف بأن اسجل تفاهمنا على ان هذا الميثاق سيمكن بلدينا من التعاون في سبيل صد اي اعتداء موجه ضد اي منهما وتأميناً لحفظ السلم والامن في منطقة الشرق الاوسط قد اتفقنا على العمل متعاونين تعاوناً وثيقاً من اجل وضع مقررات الامم المتحدة بشأن فلسطين موضع التنفيذ وأود ان اؤكد موافقتي على محتويات الكتاب المذكور .

وتفضلوا ياصاحب الفخامة بقبول فائق الاحترام) . (عدنان مندرس)

ومن بواعث السرور والمحبة والاخاء هو قيام صاحب الفخامة جلال بايار رئيس جمهورية تركيا وفي صحبته وزير الدفاع ووزير اللجنة الخارجية في المجلس الوطني التركي بزيارة الى العراق في ٥ مارت سنة ١٩٥٥ م حيث زاد توطيد العلائق بين البلدين . وبالحرى بين الامتين حيث تمكنوا من تبادل الاراء على ضوء تأمين مصلحة الطرفين مع صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم وزعماء العراق عن قريب وجهاً بوجه ، وندرج ادناه الخطبتين اللتين تبودلت بين صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني وبين فخامته في حفلة رائعة اقيمت على شرف الضيوف الكرام . حيث القى فيها حضرة صاحب الجلالة كلمته الترحيبية السامية الممتازة وهذا نصها

فخامة الرئيس :

(من بواعث اغتباطنا العظيم ان تتاح لنا هذه الفرصة السعيدة للترحيب بفخامتكم ترحيباً صادراً من الاعماق وأنه لمما يسرنا ويثلج صدورنا أن تصادف زيارة فخامتكم لبلادنا في وقت توثقت فيه بين الشعبين الشقيقين التركي والعراقي روابط الصداقة والود وتحقيق تعاون وثيق بينهما .

واما ميثاق تعاوننا المتبادل الذى وقع بين مندوبنا في الشهر الماضي في بغداد ليس الا خطوة جديدة في تاريخ العلاقات الودية التى تسود بين بلدينا حكومة وشعباً وان اتفاقنا على العمل متعاونين تعاوناً وثيقاً من اجل وضع مقررات الامم المتحدة بشأن فلسطين موضع التنفيذ لواجب التقدير ولابد ان ستكون هذه الخطوة التي خطتها الشقيقة تركيا اثرها في تعضيد الجامعة العربية التي نحرص كل الحرص على تقويتها وصيانتها وانا لنرجو مخلصين ان يكون هذا التعاون محققاً لآمالنا المشتركة فى سبيل استمرار جو الصفاء والثقة المتبادلة المبنيتين على اسس كيانها الحقة والرغبة الصادقة في توحيد السلم في الشرق الاوسط والمساهمة في ابعاد خطر الحرب على شعبينا وشعوب العالم المحبة للسلام لكيما يتاح لنا المشي قدماً في تنفيذ وتنمية مشاريعنا الانشائية الكثيرة التي شرعت حكومتينا بالاضطلاع بها لرفع مستوى العيش بين افراد شعبنا والتحقيق الاقتصادي على الوجه الأكمل بيننا وبين جيراننا واصدقائنا .

واننا فى الوقت الذى نعمل فيه سوية لتوثيق غرس الصداقة والأخوة بين الشعب التركي النبيل وشعبنا وشعوب شقيقاتنا البلاد العربية نكون قد قمنا بواجبنا تجاه الاجيال القادمة التى ستنظر الى هذه الرحلة التأريخية كفترة من تاريخ بلدينا اتسمت بعزم جديد لوضع التعاون المتبادل يستند على دعائم وطيدة وايمان راسخ في مستقبل زاهر للجميع .

وختاماً نكرر ترحيبنا بفخامتكم والسيدةبايار ونرجوا ان تنعموا فى زيارتكم لبلادنا بطيب الاقامة والهناء) . انتهى

كلمة فخامة رئيس الجمهورية التركية : —

صاحب الجلالة :

(اشكر جلالتكم بكل حرارة على استقبالكم الودى والصميمي . ان قدومي الى العراق الشقيق من دواعى اغتباطي العظيم . وقد كنت بانتظار هذا اليوم السعيد بفارغ الصبر .

لقد اسعدني كثيراً ما تفضلتم به جلالتكم من الاعراب عن سروركم لمجيء زيارتي هذه على اثر توقيع اتفاقنا الذي جعل من بلدينا حليفين و بهذه الصورة رأينا مرة اخرى مبلغ اشتراكنا في الشعور اذ يخالجني ايضاً مثل هذا السرور .

والحق ان رابطة التعاهد التي تأسست بيننا لها مغزى عميق وبعيد جداً . ان عواطف الاخوة والصداقة القائمة بيننا منذ القديم قد تعززت اليوم وزادت رسوخاً باتفاقية ربطت مقدراتنا في حالتي السلم والحرب .

اننا نحيا في زمن لا يكفي فيه ان نكون محبين السلم مراعين لحقوق الآخرين واستقلالهم وكيانهم او بكلمة واحدة مخلصين للمبادىء السامية الواردة في ميثاق الامم المتحدة — فمن الضروري التعهد ببعض المسؤوليات للدفاع عن المبادىء ان الذين يحسنون القيام بالمسؤوليات الملقاة عليهم حين يعملون على صيانة كيانهم يقدمون في الوقت نفسه خدمة فى سبيل صيانة كيان غيرهم من الامم التي لها نوايا حسنة .

واننا — كدولة وكأمة — لم نقف عند ادراك هذه الحقائق فحسب وانما عرفنا كيف نؤسس عرى الاتفاق التى تستلزمها ايضاً . وبهذه الصورة اوجدنا

فى الشرق الاوسط اتفاقاً كان من نتائج النصيرة والواقعية بأتم معانيها كما اننا اثبتنا مبلغ اخلاصنا في نوايانا وحبنا لخير الجميع بان تركنا هذا الاتفاق مفتوحاً — وبشروط المساواة التامة — لجميع الدول الحسنة النية التي تعتزم التعاون الفعلي. ان الخدمة التي اسديناها لقضايا السلم والامن والعدالة بهذه الاتفاقية كبيرة جداً هذا ماسيسجله التأريخ.

ان معاني الود والخير العظيمة التي ينطوي عليها اتفاقنا نحو العالم العربي — الذي يشكل العراق ركنا ممتازاً ثميناً فيه — لا يمكن ان تفسدها اية دعاية سلبية.

اننا نأمل ان نجعل اتفاقنا شاملا لميادين أوسع وان نسير به نحو الكمال.

عند ما جرى توقيع هذه الوثيقة المباركة كنت موجوداً في الباكستان صديقتنا وشقيقتنا المشتركة ، ولقد اسعدني ان اشهد هنالك ايضاً انهم يشاطروننا مخلصين شعورنا بالسرور والاغتباط وخالجتني الرغبة ان ابادر بارسال برقية اعرب فيها لجلالتكم عن تهاني . وافي الآن اكرر تهاني شفاها واجدني سعيداً جداً بان تتاح لي الفرصة لأؤكد ثانية اخلص تمنياتي لرفاه الشعب العراقي الشقيق وارتقائه وسيادته لصحة جلالتكم وولي العهد المعظم والأسرة المالكة الكريمة) . انتهى

أذاع السيد جلال بايار رئيس الجمهورية التركية بمناسبة مغادرته العراق في ١٠ ـ ٣ ـ ١٩٥٥ الكلمة الآتية : —

(في اللحظة التي اترك فيها بلادكم الجميلة يسرني ان انتهز هذه الفرصة لأعبر عن انطباعاتي للصحافة العراقية وبواسطتها الى الشعب العراقي النبيل وأود اولا أن اعبر عن شكري على الحفاوة والكرم الذين لمسناه انا وقرينتي وصحبي في اثناء الايام التى قضيناها في بلادكم والتي ستبقى ذكراها الجميلة في نفسي على

الدوام .

ان زيارتي قد ازدادت اهمية اذ جاءت على اثر الوصول الى مرحلة خطيرة في تاريخ امتينا المجيد .

ان ميثاق التعاون المتبادل الذي وقع عليه قبل ايام خلت والذي صودق عليه بحماس وتقدير من قبل برلماني بلدينا ما هو الا تعبير عن عزم شعبينا على التعاون لصيانة حريتها واستقلالها ولضمان الأمن والهدوء في هذه المنطقة التي يسكنانها والتي تكون منطقة استراتيجية عظيمة و كذلك لخدمــة السلم العالمي بصورة اعم .

ان التوصل الى عقد هذا الميثاق في هذه المدة القصيرة وبروح الوفاق التام بالرغم من الصعوبات الكثيرة التي اثيرت حوله من قبل اولئك الذين يتجاهلون اهدافه السامية وفوائده العملية ليثبت ان روح التفاهم كانت موجودة اصلا في ضمير امتينا . .

ان هذا العمل التأريخي لم يكن ليتحقق الا بأدارة صاحب الجلالة السامية وارشاد صاحب السمو الملكي ولي العهد ، ولبعد النظر والسياسة الحازمة التي يتجلى بها رجل الدولة العظيم نوري باشا السعيد رئيس وزراء العراق . وكذلك بتأييد رجال السياسة المحترمين في العراق .

ان المحادثات والاتصالات التي قمت بها مع الشخصيات الممتازة قد رسخت عقيدتي مرة اخرى في صلابة ومستقبل وحدة مقاصدنا التي تم التوصل الى ابرازها بين امتينا . لقد حملني الشعب التركي اعمق شعور الود وخالص الثقة للامة العراقية واني سأحمل معي اليه شعور الود الأخوي الخالص الذي شاهدته بنفسي من الشعب العراقي الكريم .

واود ان اعبر عما يخالجني من أمنيات لسعادة ونجاح صديقنا وحليفنا

الشعب العراقي) . انتهى

فيما يلي برقية رئيس الجمهورية التركية فخامة السيد جلال بايار الى صاحب الجلالة الملك المعظم بمناسبة عودته لبلاده بعد زيارته للعراق فى ١٠ ـ ٣ ـ ١٩٥٥ ـ

حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثانى المعظم : ـ

(رأيت حال عودتي الى الوطن ان أول واجب اقوم به هو أن ابادر فأبعث الى جلالتكم برسالتي هذه معبراً بها عما يخالجني من شعور الامتنان للانطباعات الطيبة التي سوف لا تمحوها الأيام والتي ولدتها في نفسي زيارتي للعراق الحليف الشقيق الذي غادرت أرضه منذ ساعات قليلة .

انني مازلت متأثراً جداً عن لقيناه انا وزوجتي واصدقائي من جلالتكم ومن صاحب السمو ولي العهد من كرم الوفادة وحسن الضيافة التي فاقت كثيراً حدود المجاملات الرسمية كما اود ان انوه بانني لمست نفسي هذا الشعور من الشعب العراقي النبيل ومن مختلف الاوساط التى اتصلنا بها .

ان الزيارة التي قمت بها للعراق قد قوت اعتقادي بان المواثيق التي بيننا هي نتيجة الرغبة المنبثقة من الفكر السليم والتصميم الصادق الذي يشعر به شعبانا ذلك التصميم الذي سوف ينمو ويزداد والذي ليس له من هدف غير خدمة امتينا والمنطقة التى تضمها وخدمة السلم والأمن الدولي .

في الوقت الذي اتقدم الى جلالتكم معرباً عن احر الشكر وعن اخلص تمنياتى الطيبة لصحة وسعادة جلالتكم وان تعاون شعبينا الوثيق مما يبهج نفوسنا ويبعث الامل فينا أرجو للشعب العراقي كل خير وفلاح . منتظراً زيارة جلالتكم لتركيا التي تفضلتم بقبول الدعوة اليها مصحوبين بصاحب السمو الملكى ولي العهد الاسرة المالكة الكريمة) (جلال بايار)

فجاوبه حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني المعظم ببرقيته الآتية .

حضرة صاحب الفخامة جلال بايار : —

(تحسست كثيراً ببرقية فخامتكم الرقيقة لقد كان لعواطفكم الكريمة وما عبرتم عنه من الشعور الفياض اعمق الأثر في نفسي ونفس خالي سمو ولي العهد فأنتهز هذه الفرصة الطيبة لابعث الى فخامتكم بخالص الشكر وفائق التقدير لعواطفكم النبيلة وارجو ان تتأكدوا أن ما قمت به وحكومتي من الترحيب بفخامتكم والسيدة الجليلة قرينتكم وما اظهره شعبي نحوكم ما هو الا ما تقتضي به روابط الصداقة وشعور الود الذي تكنه لشخص فخامتكم وللشعب التركي الشقيق .

ان زيارة فخامتكم للعراق وما حققته الجهود الصادقة من اجل تعاون شعبينا الوثيق لما يبهج نفوسنا ويبعث فيها الرجاء فى توطيد السلم العالمي وصيانة الأمن وضمان الاستقرار في منطقتنا .

واني في الوقت الذي اعرب لفخامتكم وللسيدة الجليلة قرينتكم عن اصدق التمنيات لسعادتكم وصحتكم ارجو للشعب التركي النبيل التقدم والازدهار كما اني وصاحب السمو الملكي ولي العهد تترقب زيارتنا المقبلة لتركيا في المستقبل القريب [1] — « فيصل » .

---

١ ــ كان كتابنا هذا تحت الطبع لما قرر أمر هذه الزيارة الميمونة فقد غادر حضرة صاحب السمو الملكي الامير عبدالاله ولي العهد المعظم بغداد بعناية الله يوم ١٩ ـ ٦ ـ ١٩٥٥ الى بيروت ليكون في شرف استقبال صاحب الجلالة الملك المفدى فى طريقه الى تركيا .

ثم غادر صاحب الجلالة يوم ٢٢ ـ ٦ ـ ١٩٥٥ بطريق الجو الى بيروت ومنها استقل بجلالته وولي عهده المعظمين والحاشية الكريمة (يخت الملكة عالية) متوجهاً الى تركيا .

واذاع راديو انقرة يوم ٢٥ ـ ٦ البرنامج الخاص لاستقبال جلالة الملك =

وقبل ان اختم كتابي راجياً من المولى القدير ان يجعل الخير للشعبين

= المعظم وولي عهده الأمين .

وعند وصول اليخت الملكي الى (جناق قلعة) استقبلته مدمرتان من الاسطول التركي بالمراسيم المعتادة ثم تابع اليخت ومعه المدمرتان المسير الى ميناء استانبول . وعند وصول اليخت الملكي حيته وحدات الاسطول التركي فاطلقت ٢١ طلقة ثم حيت مدفعية (قشلاق) السلمية اليخت الملكي بـ ٢١ طلقة اخرى .

واستقبله في اليخت دولة السيد عدنان مندرس رئيس الوزارة التركية وفخامة السيد نوري باشا السعيد وسفير العراق في انقره معالي الدكتور ابراهيم عاكف الآلوسي ومحافظ استانبول الدكتور فخر الدين كوك آى . والسفير التركي ببغداد امير اللواء الجوي (مظفر كوك سنن) وسائر الشخصيات . وعند نزول جلالته فتش حرس الشرف العسكري ثم استقل به قطار خاص وتابع السفر الى انقرة .

وعند وصول جلالة الملك المفدى وولي عهده المعظم الى محطة انقرة فاطلقت المدفعية التركية ٢١ طلقة تحية الملك المعظم وكان في استقبالهما فخامة الرئيس جلال بايار رئيس الجمهورية التركية فرحب بهما اجمل ترحيب ثم قدم جلالته رجال موكبه الى فخامة الرئيس جلال بايار وبعد ذلك صدحت الموسيقى التركية بالسلام الملكي العراقي والنشيد الوطني التركي ثم استعرض الشرف العسكري .

كان في محطة انقره جماهير غفيرة هرعت من ساعات مبكرة لتؤدي التحية باروع مظاهر الود والمحبة . ومر الموكب الملكي السامي بين تصفيق الجماهير المبتهجة بمقدمه حتى وصل الى قصر الضيافة .

وقد طاف جلالته وسمو ولي عهده بعد ذلك في شوارع انقرة التي زينت =

(العربي — والتركي) كما اود بهذه المناسبة السعيدة ايضاً ان ادرج الابيات

= بأقواس الظفر وقد كتبت عليها بالعربية (نحيي جلالتكم باطيب التحية) و (اهلا وسهلا بالظيف المعظم) و (اسعد الله الشعب الشقيق) .

وأقيمت بأنقرة بأمر فخامة السيد جلال بايار حفلة عشاء رسمية على شرف جلالة الملك المعظم حضرتها الشخصيات العراقية المرافقة لجلالته في هذه الزيارة واعضاء الوزارة التركية وكبار قادة وضباط الجيش التركي وبعد تناول العشاء في اطباق من الذهب الخالص تكلم فخامة الرئيس التركي فقال : ياصاحب الجلالة ياصاحب السمو : (ان الزيارة التي شرفتما بها بلادنا قد هزت نفوسنا من الاعماق وجعلنا سعداء جداً ان الشعب التركي يرحب بشخصيتكما العظيمين وهو يكن لكما شعوراً عميقاً من الاحترام والمودة ، انه يرحب بالرجال الممتازين بخدماتهم الشعب العراقي النبيل ومصلحته العليا) ، وقال فخامة السيد بايار (اعتقد ان لاحاجة بي لابراز الاهمية الكبرى التي علقها الشعب التركي على صداقة العراق وانني واثق بان الفرصة ستتاح لكما لتلمسا ذلك شخصيا خلال زيارتكما التي تفخر بها بلادنا كثيراً) ثم قال فخامة الرئيس التركي (ان توقيعنا ميثاق بغداد قد جعل لصداقتنا اتجاهاً سيمكننا من القيام بفعاليات مفيدة لحاجات الشرق الاوسط وبالتالي للعالم العربي ومنطقة البحر الابيض المتوسط باكملها على احسن سيرة مستطاعة وقد جاء هذا الميثاق الى ابعد من كونه مجرد تصريحات متبادلة وتأكيدات حتى اتضح انه نتيجة طيبة لحسن النية وبعد النظر وانه يرمي الى توطيد السلم وتقوية الامن والتآزر بين الامم مع احترام واستقلال حقوق كل منها للاخرى في مساواة تامة مقبولة)

ثم قال فخامة السيد بايار (انني مازلت اقدس الذكرى الطيبة والسارة التي خلفتها زيارتي للعراق الصديق الشقيق وخلال تلك الزيارة لاحظت شخصياً ان =

التالية التي اقتطفتها من قصيدتين وردتا في كتاب (الدر المنظم في السر الاعظم)

= اهل العراق والذين يديرون مقدراته بحكمة عظيمة عازمون مثلنا على سلوك نفس الطريق الصحيح والسليم والحقيقة المهمة السارة التي اثارت اغتباطي هي ان الاستقرار الاجتماعي والسياسي الذي ثبت عليها العراق بفضل نظامه الدستوري المستند الى العرش قوي جداً والحق ان البلد الذي ينعم باستقرار وطمأنينة يعتبر نعمة لاتقدر بثمن لاصدقائه وحلفائه)

ثم ختم فخامة الرئيس التركي خطابه بان عاد فحيا ثانية جلالة الملك وولي العهد والحاشية الكريمة وكرر اخلص تمنياته لصحة جلالته وسموه والاسرة المالكة ورفاهية وتقدم الشعب العراقي النبيل .

وبعد ان انتهى فخامة السيد بايار من القاء خطابه تفضل جلالة الملك المعظم بالقاء الخطاب السامي الآتي : —

فخامة الرئيس ان مالقيناه من حفاوة وترحيب بالغين من قبل تركيا الجارة الحليفة العزيزة حكومة وشعباً قد ترك في نفوسنا ابلغ الاثر وان الكلمات الترحيبية البليغة التي تفضلتم فعبرتم بها عن شعوركم السامي تجاهي وتجاه خالي ولي العهد وتجاه الشعب العراقي اؤكد لفخامتكم انه يقابلها شعور اخوي صميم لايقل عنه مانتحسس به تجاه فخامتكم وتجاه الشعب التركي النبيل .ان الانطباع الممتاز الذي حصل عندي في اول زيارة لي لهذه البلاد العزيزة الجميلة قد ثبت بل زاد في عقيدتي عن ما كنت اسمع به كثيراً عن كرم اهلها ولطفهم وما اصابوه من تقدم وازدهار في كافة النواحي الحيوية . لقد ظهرت لي هذه الحقائق المهمة عن هذه البلاد على قصر المدة التي قضيتها فيها حتى الآن ولاشك عندي بأن تقديري هذه النواحي سيزداد كلما طال زمن مكوثي فيها فاسمحوا لي يافخامة الرئيس =

للشيخ كمال الدين ابو سالم محمد بن طلحة . والابيات هـــذه تدل على انها تنبؤات

= ان اعرب لكم عن عظيم اعجابي وتقديري وان اشكركم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن خالي ولي العهد وعن رفاقنا على ماغمرتمونا به من لطف وكرم وشعور فياض ونهنئكم والشعب التركي الاصيل على ما اصبتموه من تقدم وعزة . وانه ليس بالغريب على شعبين جارين .اخوين جمعها دين واحد وقوى اواصر القربى بينهما تاريخ مشترك امتد الى عدة قرون وتجمعها الان علاوة على ماتقدم مصالح حيوية قوية متبادلة ان يغمرها شعور الزهو والفرح اذ ما تعاونا فى المجالات العامة واذا ما تبادل الزيارات الودية بينهما قادتها ورجال الرأى فيها .

ان اول زيارة قام بها الى هذه البلاد العزيزة مؤسس كيان العراق جدنا المغفور له له الملك فيصل الاول على عهد مجـدد نهضة تركيا الحديثة المغفور له اتا تورك وكانت فاتحة عهد سعيد في تأسيس وتوثيق الروابط الودية بين البلادين وقد استمرت هذه الروابط الودية والاخوية بيننا وازدادت قوة ووثوقاً على مر الايام وكان من ثمرات هذه الزيارات الميثاق العراقي ـ التركي الذي نأمل ان يكون اساساً متيناً للسلام والاستقرار والتقدم ليس لبلادينا فقط بل واعما للعالم العربي والشرق الاوسط ايضاً ، ان الموقف النبيل الذي تقفه تركيا من قضايا العرب وخاصة مشكلة فلسطين وما اظهره وفدها في مؤتمر باندونغ من تأييد لوجهات النظر العربية ومن تعاون مع الوفد العراقي والوفود العربية قد استوجب تقدير وشكر العراق حكومـــة وشعباً ، ان العراق هو جزء اساسي من المجموعة العربية ومرتبط معها بميثاق الجامعة العربية وميثاق الضمان الجماعي العربي نأمل قوياً ان يكون فى تحالف مع تركيا قد عمل على تقوية الكيان العربي عن هذا الطريق واضاف قوى جديدة



جلالة الملك المعظم اثناء الاستعراض الكبير الذي جرى في انقرة على شرف جلالته وبجانبه صاحب الدولة السيد جلال بايار . وحضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم يسجل بعض مشاهد الأستعراض على شريط سينمائي . وفخامة نوري باشا وفخامة السيد مندرس في المقصورة الملكية .

محتملة الوقوع ، ونظراً لأهميتها وملابستها مع موضوع كتابنا هذا فيما يتعلق بثمرة

= تدعم المجموعة العربية وتقويها تجاه ما يهددها من اخطار من داخل المنطقة ومن خارجها ، انه أمل ان يكون في قيامه بهذا العمل البنائي الايجابي قد فتح آفاقاً جديدة لكل من يرغب من الدول الشقيقة والصديقة ان يتعاون في خدمة السلام والاستقرار والتقدم في هذا الجزء الحيوى من العالم ، هذا واسمحو يافخامة الرئيس ان أكرر جزيل شكرنا وامتناننا على ما حبوتمونا به جميعاً من كرم الوفادة وخالص العواطف وان أرجو لفخامتكم الصحة التامة والهناء وللشعب التركي العزيز التقدم والعز) .

وعقب حفلة العشاء فى قصر (جان قايا) حفلة استقبال كبيرة فى حديقة القصر امتدت حتى ساعة متأخرة من الليل ، وقد زينت باجمل زينة ولمعت فيها الأضواء البراقة وكانت الصواريخ والسهام النارية تملا السماء بألوانها الزاهية الجميلة وفي هذا الجو البديع دارت شتى الاحاديث عن الصداقة العراقية — التركية والعلاقات التي تربط بين الشعبين الصديقين .

وقد تشرف بزيارتها في قصر الضيافة السيد كمال أيزين على رأس وفد نيابة عن محافظ أنقرة فاستقبلهم صاحب الجلالة فيصل الثاني وسمو ولي عهده المعظمان وبعد التعارف ألقى السيد كمال أيزين الكلمة الآتية :

جلالة الملك . سمو الامير المعظمين :

يشعر ممثلو المجلس البلدي لمدينة انقرة بعظيم السرور والافتخار بان يحيوا جلالة ملك الشعب العراقي الصديق الحليف وسمو ولي العهد المعظمين . وانني بهذه المناسبة اباهي وافاخر بتقديم اسمى ايات الاحترام والتعظيم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن اهالي انقرة ومجلسها البلدي .

ان انقرة وأهاليها يباهون بهذه المدينة التي أحبها اتاتورك وهي المدينة =

(التعاون بين العراق وتركيا) لاسترداد فلسطين كما اسأل الله تعالى ان يحقق في

= التي ضمت أرضها جثة اتاتورك الطاهر الزكي بمدوفاته هذه المدينة التي وجه اليها جميع الشعب التركي اهتماماً خاصاً . ان ما اظهر اهالي انقرة من المحبة والاحترام الصادر عن الصميم بعميق الابتهاج والسرور لوجود جلالة الملك وسمو الامير المعظمين رمزي الشعب العراقي الشقيق الصديق فاسمحوا لي ياصاحب الجـــلالة وياصاحب السمو مرة اخرى بتقديم اطيب تمنيات اهالي انقرة لسعادة شخصياتكم السامية وسعادة الشعب العراقي وبلدية العراق ورفاهيته وعمرانه) .

وعلى اثر انتهاء كلمة محافظ انقرة اعرب جلالة الملك فيصل الثاني المعظم عن امتنانه لما راه جلالته من بالغ الحفاوة والاهتمام ورائع الاستقبال منذ وطأت قدماه ارض الوطن التركي . ثم اعرب جلالته عن تقديم اخلص ايات الشكر القلبية على تلك المظاهر الرائعة واسمى ايات المحبة والاهتمام التي ابداها أهالي انقرة تجاه جلالته . وقد طلب جلالته الى سعادة محافظ انقرة ابلاغهم شكر جلالته .

وبعد ذلك قدم سعادة المحافظ الى جلالة الملك المعظم هدية رسم عليها صورة بارزة لضريح الزعيم الخالد اتاتورك في صندوق نفيس ثمين كما قدم لصاحب السمو الامير طقماً للمكتب رسم عليه رسماز بارزان الاول للضريح وقد رسمت على السطح الثاني (قلعة انقرة) . وقد صنعه فنانوا انقرة ورجامن جلالة الملك وسمو الامير قبول هذه الهدايا . وهنا اعرب جلالته وسموه عن اهتمامها لهذه الهدايا النفيسة التي لها قيمتها المعنوية واعربا عن شعورهما بالابتهاج في المحافظة على هذه الهدايا الى الابد .

وقد ثابر الضيوف الكرام على القيام باستقبالاتهم ودراساتهم التدقيقية . فقد زار جلالة الملك وسمو الامير يصحبهما فخامة السيد نوري السعيد =

= وسائر أفراد الحاشية الكريمة قبيل الظهر مدرسة الفنون للبنات .

واقام فخامة السيد عدنان مندرس رئيس وزراء تركيا والسيدة عقيلته على شرف الضيفين العظيمين حفلة استقبال كبير ، وقد زينت حديقة فندق (انقرة بالاس) وتبودلت خلال الحفلة الاحاديث الودية .

والذي هو جدير بالذكر ومثار للاعجاب وقوف آلاف من الاتراك على طول الطريق وهم يحيون عاهل العراق عند مرور موكب جلالته ويهتفون بحياته وحياة ولي عهده المعظم معلنين استبشارهم بأزدهار العلاقات التركية ـ العراقية .

وجرى استعراض عسكري كبير في انقرة على شرف جلالة الملك وسمو وولي العهد المعظمين . وقد حضر العرض فخامة السيد جـلال بايار وفخامة السيد نوري السعيد وفخامة السيد عدنان مندرس وكبار الشخصيات من اتراك وعراقيين ، وقد غصت الشوارع والطرقات المؤدية الى ميدان العرض بالاف الاتراك الذين لم يتمكنوا من متابعة الموكب اينما اتجه وليهتفوا لعاهل العراق وللصداقة المتينة التي تربط بين الشعبين الشقيقين . وقرب المقصورة التي وقف فوقها جلالته وسموه المعظمان وكبار الشخصيات كان هنالك السلك الدبلوماسي العربي والاجنبي وعقيلاتهم والملحقون العسكريون للدول التي لها تمثيل دبلوماسي في انقرة وبدأ الاستعراض الكبير بمرور طائرات تدريب مصنوعة في تركيا من فوق المقصورة الملكية حاملا اعلاماً عراقية تكريماً لجلالة الملك المعظم وتحية للعراق ثم اعقب ذلك فصائل القوات التركية الثلاث الجيش والبحرية والطيران . وكان يتقدم كل فصيلة علمها الخاص وعندما تمر من امام جلالة الملك تؤدي التحية لجلالته . وكان جلالة الملك وسمو ولي العهد المعظمين يرتديان البزة العسكرية وقد سجل سمو ولي العهد بعض مشاهد الاستعراض على شريط سينمائي . =

= وتعاقبت القطعات يتلو بعضها بعضاً فمرت اولا فصائل من المشاة اعقبها رتل من مدفعية الهاون المحمولة على ظهر البغال ففصائل متعاقبة من الفرسان فرتل من سيارات الجيب ساحبة من مدافع الميدان الثقيلة الضخمة ورتل من المدافع الضخمة للدبابات وآخر من المدافع المضادة للطائرات وهي من طراز ضخم حديث اعقبه رتل من المدافع المضادة للطائرت متوسطة الحجم وبعد ذلك رتل من المدافع الرشاشة المضادة للطائرات . واعقب ذلك الارتال رتل من الساحبات والرافعات فالسيارات الكبيرة الناقلة للجنود ثم رتل من سيارات الجيب . وجاء دور الدبابات من حجوم مختلفة واعداد هائلة هزت الميدان بزمجرتها هزاً وكانت بينها الدبابات المتوسطة والدبابات الثقيلة والدبابات الناقلة للصواريخ وكانت كل دبابة تمر من امام جلالة المعظم تؤدي التحية لجلالته ثم مرت سيارات كبيرة تحمل الجنود ثم ارتال ميكانيكية وهندسية لسيارات الهلال الاحمر . وقد استغرق العرض العسكري ساعة ونصف الساعه وكان ممتعاً في تصوير بأس تركيا الشديد وقوة جيشها العتيد . وخلال العرض كانت الطائرات النفاثة بانواعها المختلفة من احدث طراز تذرع السماء ذهاباً وجيئة . ولقد هنأ الجميع رجال الجيش والمسؤولين الاتراك على الجهد المبذول في سبيل رفع مستوى جيشهم وابلاغه هذه الدرجة التي تبعث على الغبطة وتثير في النفس عوامل الاعزاز . وكان جميلا ان يقول معالي السيد (مكرم سارولد) وزير الدولة للصحفيين العراقيين عند اجتماعه بهم :

(ان هذا الجيش الذي رأيتموه هو جيشكم ، جيش العراق وان اي اعتداء يتعرض له البلد الشقيق سيحمل الجيش التركي على الرد عليه بالقوة ، ان لكم ان تقولوا في يقين وثقة تامة ان جيش تركيا هو جيش العراق . =



رافق الموكب الملكي في زيارة جلالته لتركيا وفد صحفي برئاسة صاحب السعادة الاستاذ خليل ابراهيم مدير التوجيه والاذاعة العام ، وترى في الصورة الوفد ورئيسه يتوسطهم صاحبا المعالي السيد تحسين قدري رئيس التشريفات الملكية والسيد رفيق كورالتان رئيس المجلس الوطني التركي الكبير

من القصيده الأولى :

فلسطين تلاقي وقعة تذر الطفل من الهول يتيما
وعلى القدس ترى أعلامهم خافقات تعتلي البيت الكريما
ثم يأتي جحفل يقدمه من بني الاتراك مقداماً كريما

من القصيدة الثانية

حتى اذارأت الاتراك قد نشرت وأقبلوا بسهام ذات اطراق
باتوا صغار عيون ثم اوجههم من دونها كجنات واطباق
كم من قتيل يرى فى الارض منجدلا في رستن بدم كالماء هراق
ولاتزال جيوش الترك سائرة حتى تحل بارض القدس عن ساق
حتى اذا وصلوا البيت الكريم غدوا عليه فيه باحراق وابراق

٥ ـ الكلمة الختامية :

وكلمتنا الختامية لهذا الكتاب التأريخي الذي سيقرؤه أبناء العراق والبلاد

= وبعد إتمام منهاج زيارة صاحب الجلالة لانقرة غادر الموكب الملكي الى (قرق قلعة) وهناك شاهد جلالته المعامل الصناعية حيث اطلع جلالته وسائر افراد الموكب الملكي على سير العمل وكميات انتاج هذه المعامل وقد قدمت ادارة هذه المعامل والمصانع (مسدسين وبندقيتين) من صنعها هدية الى صاحب الجلالة الملك المعظم وصاحب الفخامة السيد نوري باشا السعيد .

ثم واصل الموكب الملكي السفر الى زونغولداق فشاهـد جلالته مناجم الفحم المنتشرة هناك ثم غادر جلالته بصحبة فخامة الرئيس التركي جلال بايار والحاشية الكريمة على ظهر المدمرتين التركيتين في طريقهم الى استانبول وبعد زيارة جلالته معالم الحضارة القديمة والحديثة في هذه المدينة العظيمة التأريخية انتهت زيارة جلالته الرسمية وذلك في ٦ ـ ٧ ـ ١٩٥٥

العربية في كافة اقطارهم وسيقرؤه الاتراك ايضاً فضلا عن أنه سيبقى خالداً ثم تقرؤه الاجيال القادمة من ابناءالامتين ، نص الوثيقة التأريخية التي كتبها سيادة (المقدم جمال عبد الناصر) رئيس وزراء الشقيقة العزيزة مصر فى مقدمة كتاب عنوانه(تركيا والسياسةالعربية) وهي تدل دلالةواضحة كوضوح الشمس فيضحى النهار على مافيها من صدق القول وحقيقة الواقع التي تربط العرب بالأتراك في الماضي والحاضر وتؤيد ضرورة توطيد أواصر الصداقة بين الامتين الكريمتين

اما الموقف الذي وقف به سيادته ـ ورفقاؤه الكرام ـ عندما علم بـ (ميثاق التعاون بين العراق وتركيا) الذي جرى اعلانه ببغداد في شباط ١٩٥٥ يعتبر موقفاً سياسياً موقتاً لان العراق والجارة العزيزة مصر جزئين لايتجزآن من الوطن العربي الكبير كما وان سيادته يأمن – كما اظهره في كلمته ـ بتآخي الامتين العربية والتركية وبضرورة التعاون فيما بينهما للحصول على فوائد مشتركة وعليه نعتقد كل الاعتقاد على زوال عاصفة التعكير السياسي من جو البلدين في القريب العاجل انشاء الله

قال سيادته :

(مهما يكن الامر بيننا وبين تركيا ، في الماضي او في الحاضر ، فهي منا ونحن منها ، كان أبونا وأبوها اخوين فى التأريخ ، تشاركا في سراء الحياة وضرائها وتقلبا معاً في نعماها وفي بؤسها ، وحاربا جنباً الى جنب فى ميدان واحد قروناً عدة لنصرة المثل العليا ، وحين تألبت قوى البغي والعدوان لتزحزحنا عن مكاننا في التأريخ ، كانت تركيا هي الهدف الاول لكل رام من

اهل البغي والعدوان وكنا نحن من ورائها . . .

وطننا ووطنها قطعتان من هذا الشرق العربي ، فهي دولة اسيا وان كان وجهها لاوربا .

ولغتنا ولغتها لفظان في « قاموس » مشترك ، فهي كلام من كلامنا وان كتبت باللاتينية !

وقرآننا وقرآنها واحد ، نزل به الوحي الامين على محمد فى مكة والمدينة ، وفسره مفسره في بغداد والشام ومصر ، وكتبه كاتبه بقلم النسخ في استنبول ، وما يزال يتلوه بلساننا ، أو بلسان غير لساننا ، قراء مسلمون فى أطنة ، وفي انقرة ، وفي ديار بكر ، وفي ازمير . . .

وماضينا وماضيها فصلان من كتاب واحد في تأريخ العرب والاسلام ، بدأنا معه في بخارى وتبريز ، وسار وسايرناه الى بغداد والموصل ، وأوى وأوينا الى جواره في سهول الأناضول ، وتفيأ ظل اسوار القسطنطينية وتفيأنا معه ظلها ضيوفاً على أبي أيوب ، ويوم وطئت اقدام الترك ارض أوربا لتقيم امبراطورية عثمانية على انقاض امبراطورية قسطنطين ، كان شعار المحاربين من العرب والترك يومئذ واحد على كل لسان ، هو « الله اكبر » يهتف به المصلون في : « أياصوفيا » ، فيتردد صداه على مآذن المسجد الاموي بدمشق ، والجامع الأزهر بالقاهرة ، وجامع الزيتونة في القيروان ، ومساجد اخرى في بغداد والكوفة وصنعاء ، وفى غرناطة وفاس وعلى شاطيء المحيط الأطلسي . .

ثم كانت محنتنا القريبة ومحنة تركيا على يد عدو واحد مشترك ، نظر الينا جميعاً نظرة العدو فلم يفرق بين عربي وتركي ، فأذا جيوشه تطأ بلادنا وبلاد الترك ، واذا احتلاله يجثم على صدورنا وصدور الترك واذا المستعمر فى أزمير ، والمستعمر في دمشق ، والمستعمر في القاهرة يتداعون جميعاً الى مائدة مشتركة من طعامنا

وشرابنا والعرب والترك واقفون جميعاً وراء الأبواب لا يؤذن لهم في الدخول .

ونحن الى كل ذلك أنسباء وأقرباء ، وأصهار ، ففى كل دار من دور العرب على اتساع بلادهم عربي يمت الى الترك بخؤولة ، وفي كل دار من دور الترك برغم اعتزالهم في ديارهم تركي يمت الى العرب بعمومة ، فقد اختلطنا نسباً وصهراً ومواريث ثابتة ومنقولة ، وان قامت بيننا الحدود والسدود والأسلاك الشائكة !

ونحن اليوم من تركيا كما كنا فى الماضي ، اخوة مخلصون لأخت خالصة العرق والنسب . فرقت بيننا وبينهم الأيام التي لا تبقي على شمل مجتمع ، ولكن فى قلبها — على البعد — حنين الأخت البرة ، وفى قلوب اخوتها اليها مثل ذلك الحنين . . .

وطننا ووطنها قطعتان من « منطقة الشرق الاوسط » التي ترسم لها الخطط وتدبر التدابير . . .

وبحرنا وبحرها هو هذا البحر المتوسط الذي تنعقد على شواطئه اسواق المساوات الدولية ويتربص الأصدقاء والخصوم . . .

ومضايقنا ومضايقها على البحرين الأسود والابيض هي مفتاح الأمان والسلام للبشرية ، او معبر لقوات الهدم والخراب والتدمير . . . .

ومواردنا ومواردها هي الكنز الذي يتقاتل على الظفر به الاقوياء المتنافسون في الشرق الداني وفي الغرب البعيد .

والشر الذي يتربص بتركيا اليوم على حدودها القريبة ، هو الشر الذي يتربص بنا وأن تودد المتربصون ألينا وأليها تودد الجار الصديق !

واذا سلمت تركيا سلمنا ، ، واذا نحن كنا من القوة بحيث يحسب العدو حسابنا فقد سلمت تركيا ، فنحن لها الدرع الواقية وهي فى موقعها بأزاء العدو درع لنا ، فقد اتحدت الاخوة في مصايرنا أذن على الحالين وارتبطت أواصرنا ،

وهي في البأساء والنعمة في الحاضر كما كانت في الماضي وكما لا بد أن تظل ابداً . . .

الشعب التركي يؤمن بهذه الحقائق منذ كان فلم يكفر بها يوماً ، وهي بعض أيمان الشعوب العربية . . .

ليت شعري ماذا يأمل الأعداء من حكوماتنا ومن ورائها مثل أيمان هذه الشعوب ؟) (انتهى)

وبالختام نرجو من القراء مشاركتنا في الدعاء الذي كان يدعو به

سيدنا محمد (ص) في العشي والضحى

« اللهم ارنا الاشياء كما هي »

تم

لقد تم طبع هذا الكتاب بعون الله تعالى في تموز سنة الف وتسعمائة
وخمس وخمسين وبهذه المناسبة اقدم جزيل شكري الى
الصديق السيد عبد العزيز محمد الجوالي الذي
ساعدني في تخطيط مسودات
الكتاب والى الاخ السيد
محمد طاهر توفيق الذي
اشرف على طبعه.

محتويات الكتاب

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الصفحة

الفصل الرابع

عودة الصداقة بين العرب والاتراك

اسماء الكتب التي ذكرت

في هذا الكتاب

جدول الخطأ والصواب

على رغم الجهود الذي بذلناه في التصحيح ، فقد وقعت بعض الاغلاط المطبعية وتنويراً للقارىء الكريم اوردنا هذا الجدول .

الخطأ	الصواب	ص	س
القراق	العراق	١٢	٢٠
الجارة	للتجارة	١٩	٥
او بة	آو به	٢٢	٨
المقيد	المفيد	٢٣	٩
المشرق)	المشرق ...)	٢٣	١١
جيشه	جيشها) . وفي بعض الروايات ذلك الجيش)	٢٣	١٧
الكفا	الكفار	٢٤	٨
ديوان اغات الترك	ديوان لغات الترك	٢٤	١٦
ج ١	ج ١ ص ٣	٢٤	١٦
ج ص ٢٤٦	ج ٣ ص ٢٤٦	٢٥	٢١
فتنقضوا	فتنفضوا	٢٦	١٠
عهد	عهده	٢٧	١٤
مرو الروود	مرو الروز	٢٨	١
ومر	ومن	٢٨	٧

الخطأ	الصواب	ص	س
كنجارى	ك (بخارى)	٢٩	٩
نجارى	بخارى	٢٩	١٧
حلبت	جلبت	٢٩	١٨
يـ مى	يرمى	٣٥	١٤
دروه	دروزة	٣٦	٢٢
القاطرل	القاطول	٣٨	٧
منحصنا	متحصنا	٣٨	١٤
والبس	والبسه	٣٩	٢
باذغيل	باذغيس	٤٢	٥
ظهور الاسلام	ظهر الاسلام	٤٢	٢٠
المقتضى	المقتفى	٤٦	٩
فعلينا	فملنا	٥١	١٧
بارتولى	بارتولد	٥٢	١٨
الخفيفة	النجفية	٥٢	٢٠
لارتولد	بارتولد	٥٢	٢١
لارتولد	بارتولد	٥٢	٢٢
البوزيون	البوذيون	٥٥	٢
النصارى	والنصارى	٥٥	٢
جال	رجال	٥٧	٤
بالاخلاص	بالاخلاق	٥٧	١٢
كاللقب	كالطب	٦٤	١٨

الخطأ	الصواب	ص	س
مشردين الأسلامي	مبشرين لدين الاسلامي	٦٤	٢٠
نورد	نود	٦٥	١
تاريخ الحصرة	تاريخ الحضارة	٦٥	٢٢
افراسبات	افراسياب	٧١	٢٠
وفضينا	وقضينا	٧٩	١٧
واعطى	واعطاه	٨٢	٥
تسلم ادارة امارة امارته	تسلم ادارة امارته	٨٣	٤
حمبر	جمبر	٨٤	٢
كولجك	كوجك	٨٥	٩
لم يتأجر	لم يتجاوز	٨٥	١٣
قطب الدين مورود	قطب الدين مودود	٨٦	٧
القـــاء	القى	٨٦	٩
مودودين	مودود بن	٨٦	١٤
لابن الفوطي	لابن الفوطي ص ١٩ و٢٧	٨٩	١٨
لمؤرخ اخر ص ١٩ و٢٣	لمؤرخ آخر	٨٩	١٩
ليدفن	ليدفن في مكه	٨٩	٢٢
وادانيهم	ودانيهم	٩١	٦
الخليفة ملك الخليفة	الخليفة ملك الخليفة	٩٣	١٥
ترجم	برجم	٩٦	١٣
فقتلوه قيل	فقتلوه قبل	٩٧	٦
الامير ترجم	الامير برجم	٩٧	١٥
وبين ترجم	وبين برجم	٩٧	١٦

الخطأ	الصواب	ص	س
سار	سار الى مصر	١١٤	١٨
وسيف الخيفة	وسيف الخليفة	١١٥	١٠
قوجى حصار	قوجا حصار	١١٦	١٢
عندا	عندما	١١٦	١٥
للدولة	الدول	١٢٣	١٣
بقوله	بقول :	١٢٥	٤
ومصريا	ومصريون	١٢٦	٨
ارادة سنة	ارادة السنية	١٢٩	٦
ان مسئلة من	ان مسئلة الحجاز من	١٣١	٨
ساكن	ساكن الجنان	١٣٢	٣
تاريخ المسأملة	تاريخ المسئلة	١٣٥	٢١
حكم اجبارى	حكم جبارى	١٣٦	١١
واللى يه	زواللى يه	١٣٨	٥
تبه سنى	تيمه سنى	١٣٨	٩
كما سببا	كما سببوا	١٣٩	١١
سنة ١٨٦	سنة ١٨٦٠	١٤٢	٧
(١)	(D)	١٤٢	٢٠
الجملة الخامسة	(D)	١٤٥	٦
ان يذكرها	ان يذكر	١٤٩	١١
لدينا كتب	لدينا كتيب	١٥١	٦
٩٦٠ـ١٤٦	٩٦٠ و١٤٦	١٥٢	٢ ، ٣
جريدةالاساسي	جريدةالاساس الموصلي	١٥١	٢٢
حرة مبينة	حرة مبنية	١٦٦	١٦
جزئين	جزآن	٢٠٨	١٠

صور الشخصيات التي يضمها الكتاب

CHAPTER III. ALLEGFD ANTAGONISM BETWEEN ARABS AND TURKS

CHAPTER IV. THE RESUMPTION OF ARABO - TURKISH FRIENDSHIP.

TABLE OF CONTENTF

HISTORY

OF

TURCO - IRAQI FRIENDSHIP

" THE WATERS OF THE TIGRIS AND THE EUPHRATES BIND IRAQ AND TURKEY TOGETHER IN ETERNAL BROTHERHOOD "

BY

COLONEL SHAKIR SABIR

AUTHOR'S PERMANENT ADDRESS

COL. SHAKIR SABIR,

SHATARLOO, KIRKUK (IRAQ)

DAR AL-MA'RIFAH PRESS

BAGHDAD

1955